فتح المجيب في حكم الاحتفال بمولد النبي الحبيب ﷺ

تأليف

الشيخ محمد باي بلعالم

منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

فتح المجيب في حكم الاحتفال بمولد النبي الحبيب ﷺ

ISBN:978-9931-384-48-9

السداسي الثاني 2022

فتحُ المجيبِ
في حكمِ الاحتِفالِ
بمَولدِ النَّبيِّ الحبيبِ صلى الله عليه وسلم

فتحُ المجيبِ

في حُكمِ

الاحتِفالِ بمَولدِ النَّبيِّ الحبيب صلى الله عليه وسلم

تأليف

الشّيخ العلامة محمَّد باي بلعالم رحمه الله

(1348-1430هـ- 1930/-2009م)

منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

تقديم معالي السيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف
الدكتور يوسف بلمهدي

سُئِل الوليُّ العارف بالطريقة والحقيقة الخطيب الشيخ الصالح العالِم أبوعبد اللهّ سيدي محمد ابن إبراهيم بن عباد. -فيما نقله الونشريسي في المعيار [1] عمّا يقع في مولد النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم من وقود الشمع وغير ذلك لأجل الفرح والسرور بمولده عليه السلام.

فأجاب: ((الذي يظهر أنه عيدٌ من أعياد المسلمين، وموسمٌ من مواسمهم، وكلُّ ما يقتضيه الفرحُ والسرورُ بذلك المولد المبارك، من إيقاد الشمع، وإمتاع البصر، وتنزه السمع والنظر، والتزيُّن بما حَسُن من الثياب، وركوب فاره الدواب، أمرٌ يُباح لا ينكر، قياساً علىٰ غيره من أوقات الفرح، والحكمُ بأن هذه الأشياء لا تسلم من بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه سرُّ الوجود، وارتفع فيه عَلَمُ العهود، وتَقَشَّع بسببه ظلامُ الكفر والجُحود، يُنْكَرُ علىٰ قائله، لأنه مقت وجمود. وادعاءُ أن هذا الزمان ليس من المواسم المشروعة لأهل الإيمان، ومقارنةُ ذلك بالنيروز والمهرجان، أمرٌ مستثقل تشمئز منه النفوس السليمة وتردُّه الآراء المستقيمة)).

فهذه إحدىٰ الفتاوىٰ الجليلة المحفوظة عن عالِم من علمائنا.

---

(1) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوىٰ أهل إفريقية والأندلس والمغرب (11/ 278-289).

إن الباحث في خزائن الخافقيْن، لا يمكنه أن يحصي مهما حاول الكتب المؤلفة في المولد النبوي[1]، فلا تزال المطابع تقذف بين الفينة والأخرى بالدفاتر التراثية المؤلفة في مولده صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا.

فبالأمس القريب وفق الله تعالى أ. د. عبد الله حمادي إلى نشر كتاب تراثي هامّ، هو "الدر المنظم في مولد النبي المعظم" للإمام محمد بن أحمد العَزَفي اللخمي السبتي الأندلسي [2] ؛ ومما طبع أيضا حديثا كتاب "بهجة السامعين والناظرين بمولد سيد الأولين والآخرين" للحافظ نجم السنة الغيطي [3] ؛

بل من أغرب ما صدر كتاب [4] من تأليف الإمام الحافظ الخطيب أبي عبد اللهّ ابن مرزوق التلمساني ت781هـ، سمّاه: **"جنا الجنتين في شرف الليلتين"**، ذهب فيه إلى إيثار ليلة مولده عليه السلام على ليلة القَدْر، واحتجّ بإحدى وعشرين وجهاً.

---

(1) انظر: "تجريد الكتب المؤلفة في المولد"، رسالة المسجد: السنة الرابعة-العدد الثالث-ربيع الأول 1430هـ-مارس 2008م. و"التآليف المَولدية" للعلامة محمد عبد الحي الكتاني.

(2) طبع دروب ثقافية للنشر والتوزيع-الأردن2016م.

(3) طبع لأول مرة في مؤسسة "العصر" بمناسبة شهر النصرة 2014، ثم طبع في ربيع الأول 1442هـ=أكتوبر/ نوفمبر2020م، بتحقيق مكتب إحياء التراث الإسلامي بمشيخة الأزهر الشريف.

(4) طبع دار الضياء-الكويت2016م.

وهذا أيها القارئ كتابٌ نطبعه اليوم إن شاء الله ولأول مرّة، يضاف إلى ببليوجرافيا الكتب الخاصة المؤلفة في المولد النبوي الشريف. وهو كتاب صاحبُه شيخ في العلم مكين، ومؤلف أديب من الصالحين، هو الفقيد باي بلعالم رحمة الله تعالى عليه وعلى أئمتنا أجمعين، كان من منارات الهدى في قلب الصحراء الجزائرية، شاع نور تعليمه وإرشاده حتى شمل القريب والبعيد.

هو كتاب ينبع من قلب تراثنا الديني العتيق، ويخدم ما ندعو إليه ونذكّر به من مرجعيتنا الدينية الوطنية بما يرعي أمننا الفكري، ويوافق اجتهاد الأئمة الأعلام في وطننا العزيز المحمي بالله.

ولابد لنا أن نشكر في هذا التقديم من بادر وقام بإعداد الكتاب، ومراجعته، ليكون صالحا للنشر، وكذا من قام على متابعة أعمال طبعه ليخرج في أحسن حلة تليق بمقام سيرة سيدنا الحبيب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا.

إن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تحرص كما هو مسطر في برنامج عمل الحكومة على تعزيز المرجعية الدينية الوطنية وتكريس الهوية الوطنية من خلال نشر المؤلفات المرجعية الدينية. وإننا نرجو –بهذه المناسبة مناسبة المولد النبوي الشريف– أن يكون اختيارنا لكتاب الشيخ باي بلعالم اختيارا موفقا، والعزم على طبعه وتعميمه قرارا سديدا صائبا. ليكون من جملة مظاهر الاحتفال، سائلين المولى أن ينفع بمحتواه قارئه وكلّ من سعى فصبر على بث العلم النافع والحث

على العمل الصالح. وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الحمدُ لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رَسول الله صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا كثيرا، وبعد:

فقَد جَرت العادة في أَغلب البلدان الإِسلامية منذ عهود سبقَت بالِاحتفالِ بالمولدِ النبويِّ الشَّريف، ومِن أَعظم مظاهر هذا الاحتفال انتشار الفرح والسُّرور بِذكرىٰ مولد سيِّد الخلق علىٰ الإِطلاق ﷺ، وشكرِ الخالقِ سُبحانه وتعالىٰ علىٰ نِعمة بعثتِه وإِرسالِه وهدايته، فكانَت سيرته في شَهر الأَنوار تُتلىٰ في المدارسِ والمساجِد، وفَضائله الفضيلة وشَمائله الحميدة تتعطَّر بِها أَجواءُ المعاهِد والمشاهِد.

قال المؤلِّف (رحمه الله تعالىٰ) في **رحلته العلية** في فصل يحملُ عنوان (**عيد المولد النَّبويِّ**): «قبلَ حلُول شَهرِ المَولدِ النَّبويِّ رَبيع الأَوَّل مِن كلِّ سنَة، جَرت عادةُ أَسلافِنا (رحمهم الله) أَنَّهم يتأَهَّبون لِاستِقبالِ الذِّكرىٰ الغالية الذِّكرىٰ العَزيزة علَىٰ كلِّ مسلم، فيُقبِل النَّاسُ علَىٰ المساجِد والمدارسِ لتِلاوة الأَمداح النَّبويَّة ابتداءً مِن النِّصفِ في صفَر بِالنِّسبة لبعضِ الجِهات، أَمَّا في بَعضِها، فإِنَّ الِاستِعدادَ يَبدأُ مِن طُلوع هِلالِ شَهرِ المَولدِ النَّبويِّ، ويَستَمِرُّ ذلك إِلىٰ ليلة (12)، وفي ليلة الثَّاني عشر يقَعُ حفلٌ عظيمٌ يتَناسَبُ وجلالَة الذِّكرىٰ، تَهتزُّ لَه القلوب، وتَنشرِحُ لَه النُّفوس، وتَتجاوَب معَه الكائِنات، فَلا تَسمَع أَحدًا إِلَّا وهو يُصلِّي علَىٰ صاحبِ

الذِّكرىٰ، ولا يتَخلَّف عَن الحضور أَيّ أَحد، يَدومُ الحفلُ بِتلاوة القَصائِد المديحيَّة وإِلقاءِ الدُّروسِ الدِّينيَّة في سيرة صاحبِ الأَخلاقِ المَرضيَّة ﷺ إِلىٰ الفَجر، وتُقدَّم إِلىٰ المُحتفِلين أَلوانٌ مِن الأَطعِمة والأَشرِبة، وفي بَعضِ الجِهاتِ يحتفِلون بِذكرىٰ يَومِ سابع المولدِ بِمثلِ احتفالِ ذِكرىٰ المَولد» (1).

ثمَّ مع مُرور الزَّمن وفسادِ أَهلِه ظَهرت بِدَع ومخالَفات شوَّهت طهارة هذه المناسبة، وذهبَت بريح مقصدِها النقيِّ الزَّاهر، فتصدَّىٰ العلماء لردِّ هذه الحملة وحسمِ مادَّتها بسلوكِ مسلكَيْن، وانتهاج سبيلَين، فمنهم مَن نشدَ طريق الإِنكار بنبذِ الاحتفال بهذا المولد واعتباره مِن الحوادث والمحدَثات، ومنهم مَن نزَع إِلىٰ الإِبقاءِ عليه وتوجيه مَن أَحدَث فيه إِلىٰ أَرشَد السُّبل وأَقوَمه، واغتنامِ شهر ولادتِه شفاءً في التَّعريف بحقوقه، وروضة أُنفٍ لإِملاءِ دلائل نبوَّته، وأنموذجا لإِمتاع الأَسماع بعَرضِ غزواته ومعجِزاته، ووَسيلةً لشَرح عيون آثاره ومستَعذب أَخباره، مع اتِّفاقِ الفريقَين علىٰ عدَم اعتبار هذه المناسبة عيدا تُشرع فيه العبادات المحضة، كتخصيصه بصلاةٍ أَو صيام أَو قيام أَو نحوِ ذلك.

ومِن المؤلَّفات البديعة الصُّنع، المحكمة الوَضع، التي تناولت هذا الموضوع مِن أَطرافه، وتعرَّضت إِلىٰ بيان ما يتعلَّق به مِن مَسائل مع الجواب عمَّا قَد يتطرَّق له هذا الأَمرُ من اعتراضات، كتاب (**فتح المجيب في حكم الاحتفال بمولد**

(1) الرِّحلة العليَّة (2/ 272) لمحمَّد باي بلعالم، دار المعرفة الدولية (الجزائر)، ط/1، سنة2015م.

الحبيب ﷺ)، لعلَّامة جنوب الجزائر ومفخرة شَمالها، ودُرَّة عِقدها الجامع بين مشرِقها ومغربها، الشَّيخ العلَّامة محمَّد باي بلعالِم (رحمه الله تعالى)، الذي نسعَد بخِدمته، ونغتبِط بِنَشره والتَّقديم له.

هذا، ويمكن تقسيم الكتب المؤَلَّفة في مَولدِ النَّبيِّ ﷺ إلى أَربعة أَقسام:

القسم الأوَّل: كتبٌ جمع فيها أَصحابُها الأَحاديثَ والآثار الواردة في مولدِ النَّبيِّ ﷺ، وبعضُهم يضيفُ إلى مادَّةِ كتابِه فصولا يناقِشُ فيها بعضَ المسائل المتعلِّقة بسيرته ﷺ، مع التَّحذير مِن بعض المخالفات التي تحدُث في هذه المناسبة.

القسم الثَّاني: كُتب أُلِّفت لتُقرأَ في مجالِس الموالد التي تعقد بمناسبة مَولد النبيِّ ﷺ، يُراعي فيها مؤلِّفوها حسن صياغة أَلفاظها، يستهِلُّونها بذِكر إرهاصات المولد، وما وقع في حَمله ومولده مِن الآيات والمعجزات، مع عَرض نسبِه الشَّريف، وذكر مبدأ أمره ونزُول الوَحيِ عليه، وذكر وفاتِه ﷺ، وبعضُهم يضيفُ إلى ذلك أَهمِّ غَزواته وأَشهر أَيَّامِه (عليه الصلاة والسَّلام).

وأمَّا **القسم الثَّالث**: فهو شبيه بالقسم الثَّاني، وهي عبارة عَن قَصائد شِعريَّة أَو موشَّحات مولوديَّة تُصنَّف خصِّيصا لهذه المناسبة، موضوعها مدح النبيِّ ﷺ وذكر فضائله وشمائله ومعجِزاته [1].

---

(1) انظر: القصائد الجزائريَّة في محامد خير البريَّة، جمع ودراسة وإعداد:الأُستاذ مراد بن علي وُعمارة، منشورات وزارة الشُّؤون الدِّينية والأَوقاف، سنة 2015م.

قال العلَّامة **أَحمد بن عمَّار** في رحلتِه الشَّهيرة: (**نِحلة اللَّبيب بِأَخبار الرِّحلة إِلى الحبيب**): «وقَد جَرت عادة أَهلِ بلدِنا الجزائر، حَرسَها الله مِن الفِتَن، وحاطَها مِن الدَّوائر، أَنَّه إِذا دخلَ شهر ربيع الأول انبَرىٰ مِن أُدبائها وشُعرائها مَن إِليه الإِشارة وعلَيه المُعوَّل، إِلىٰ نَظمِ القَصائِد المديحيَّات، والمُوشَّحاتِ النَّبويَّات، ويلحِّنونَها علىٰ طَريقِ الموسيقىٰ بِالأَلحانِ المُعجَبة، ويقرؤُونَها بِالأَصواتِ المُطرِبة، ويَصدَعون بِها في المحافِل العَظيمة، والمجامع المَحفوفةِ بِالفُضلاءِ والرُّؤَساء والنَّظيمة، مِن المساجِد والمكاتبِ والمَزارات، وهُم في أَكملِ زينة وأَجملِ زيٍّ وأَحسنِ شارات، تَعظيما لهذا الموسِمِ الذي شرُف بِه الإِسلام، واحتِفالًا بِمَولدِه (عليه الصَّلاةُ والسَّلام)» [1].

و**القسم الثَّاني** و**الثَّالث** هي التي يجِبُ أَن تُصنَّف ضِمنَ كتُبِ الموالد [2]، وهي الذي جرت العادة بِقراءتها بضُروبٍ مِن الأَلحانِ وبِأَصواتِ السَّجيَّة في المساجِد والمشاهِد.

وأَمَّا **القسم الرَّابع**: فيُخصِّصه أَصحابه لعرضِ الأَدِلَّة وسرد الحجَج المدعِّمة لرأيِ مَن انتصَر لجواز الإِحتفال بالمولد النَّبويِّ الشَّريف، مع ردِّ الإِعتراضات

---

(1) نحلة اللبيب (ص: 15 ـ 16).

(2) انظر مقال: تجريد الكتُب المؤلَّفة في المولد، مجلَّة رسالة المسجد، الصَّادرة عن وزارة الشُّؤون الدِّينية والأَوقاف، السَّنة 7، العدد: 3، ربيع الأوَّل 1430هـ/ مارس 2009م، ص: 7 ـ 27.

التي ساقها المخالِف [1].

وهذا الكتابُ الذي نقدِّمه للنَّشر، هو مِن هذا القسم الأَخير، وقَد قسَّمه مؤلِّفه (رحمه الله تعالىٰ) إِلىٰ مقدِّمة وخاتمة وأَربعة فصول، خصَّص الفصلَ الرابع منه للحديث عن محطَّاتٍ من سيرة النبيِّ ﷺ وغزواته، وذلك حتىٰ لا يخلو كتابه من بركة ذكر ما اعتاد العلماء مِن عَرضِه في كتُب الموالد.

فالكتاب في الجملة هو ثمرة محبَّة، وعُربون صِدق ومودَّة، في ذاتِ ولذاتِ النَّبيِّ ﷺ، الذي سخَّر الشَّيخ **محمَّد باي بلعالم** (رحمه الله تعالىٰ) قلَمه ونفيسَ أَوقاتِه في سَبيلِ نُصرة دينه وخدمةِ سنَّته ﷺ.

هَذا، وقَد توجَّه النَّظر في خدمة هذا الكتاب إِلىٰ تقسيمه علىٰ النَّحو التَّالي:

---

(1) وينبغي أَن نشير هنا إِلىٰ وجود مؤلَّفات عِدَّة تقابِل هذا القسم، صنَّفها أَصحابها للرَّدِّ علىٰ مَن يقول بِجواز الاحتفال وبيانِ أَنَّه من المحدثات، ونحن لم نصنِّف هذا النَّوع من المؤلَّفات ضِمن أَقسام ما كُتِب في الموالد لأَنَّ غرضَ أَصحابها إِنكار الاحتفال بالمولد.

القسم الأوّل: القسم الدِّراسي:

الفصل الأوَّل: في التَّعريف بِالمؤلِّف.

الفصل الثَّاني: في التَّعريف بآثاره.

الفصل الثَّالث: في التَّعريف بكتابِه (فتح المجيب).

القسم الثّاني: قسم تَحقيق النَّصِّ:

أولا: التَّعريف بالنُّسخ المعتمدة في تحقيق الكتاب.

ثانيا: خطوات تحقيق الكتاب.

القسم الثّالث: ملاحق

والله الهادي إِلى سَواء السَّبيل، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وأَصحابِه أَجمعين.

وكتبه: أ.عبد الرَّحمن دويب

الاثنين: 22 ربيع الأوَّل 1441هـ، الموافق لـ: 18 نوفمبر 2019م.

القسم الأوَّل:
القسم الدِّراسي

وقسَّمنا مادَّته على فصولٍ ثلاثة، وهي:

الفصل الأوَّل: في التَّعريف بالمؤلِّف.

الفصل الثَّاني: في التَّعريف بآثاره.

الفصل الثَّالث: في التَّعريف بكتابه (فتح المجيب).

الفصل الأوَّل:
التَّعريف بالمؤلِّف [1]

- هو العلَّامة الفقيه اللُّغوي الشَّيخ محمَّد باي بلعالِم بن محمَّد عبد القادر بن محمَّد بن المختار بن أَحمد العالِم القبلوي الفلَّاني الجزائري، الشَّهير بـ: الشيخ باي بلعالِم.
- ينتهي نسبه إِلىٰ قَبيلة فُلَّان، التي اختلفت الآراء في أُصولها، غير أَنَّ المشهور والمعتمد كما حرَّره المؤلِّف في غير ما تأليفٍ أَنَّ أُصولها تعود إِلىٰ قبيلة حِميَر العَربية المستَوطنة بِاليمَن.
- وُلد (رحمه الله تعالىٰ) سنة 1930م، في قَرية ساهل (بلدية أقبلي)، التابِعة لدائرة أَوْلَفْ، ولاية أَدرار.
- له أَربعة إِخوة، هو خامِسُهم في العدَد، وثالثهم في التَّرتيب.
- نشأَ الشَّيخ في أُسرة اشتَهرت بِالعلم والمعرفة، حرِصَت علىٰ تعليمه وتربيَّته، فبدأَ تعليمه في مسقطِ رأسه في مدينة ساهل أقبلي.

---

(1) انظر ترجمته في: الشَّيخ محمَّد باي بلعالِم (حياته ومؤلَّفاته)، بقلم تلميذه عبد الله حامد لمين، مجلَّة الثَّقافة الإِسلامية (الجزائر)، الصَّادرة عن وزارة الشُّؤون الدِّينية والأَوقاف، العدد: 6، سنة2010م، ص: 77، والعلَّامة محمَّد باي بلعالِم القبلاوي (رحلات علميَّة وآثار جليَّة)، منشورات وزارة الشؤون الدِّينية والأوقاف، أعمال ملتقىٰ أدرار، سنة 2013م.

- وبها حفِظ القرآن الكريم على يد الحافظ لكتاب الله الشَّيخ محمَّد بن عبد الرَّحمن ابن المكِّي بن العالِم (ت: 1365هـ).

- ثم شَرع في قراءة مبادئ العلوم، فدرسَ على يد والده المبادئ النَّحوية والفقهية، ولازم مدَّة مِن الزَّمن الشَّيخ محمَّد عبد الكريم المغيلي (ت: 1369هـ).

- ثمَّ انتقلَ سنة 1366هـ إلى زاوية الشَّيخ مولاي أحمد بن عبد المعطي السباعي، ومكثَ فيها سبع سنَوات، قرأَ عليه فيها الفِقه المالكي وأُصوله، والنحو، والفرائض، والحديث، والتَّفسير.

- تحصَّل على عددٍ كبير من الإِجازات، منها: إِجازة عامَّة مِن الشَّيخ الطاهر بن عبد المعطي، وإجازة عامَّة من الشَّيخ الحاج أَحمد بن محمد الحسن، وإجازة من الشَّيخ علي البوديلمي في الحديث، إجازة من الشيخ محمَّد علوي المالكي المكي، وإِجازة مِن الشَّيخ عبد الرَّحمن الجيلالي، وإِجازة من الشَّيخ محمَّد الصَّالح الصدِّيق، وعن غيرهم مِن الأَعلام.

- بعدَ تخرُّجِه من الزَّاوية انتقل إلى مدينة أولف، وقام بتأسيس مدرسة للعلوم الشرعية، سمَّاها: **مدرسة مصعب بن عمير الدِّينية**، وكان ذلك في عهد الاستعمار الفرنسي، ولا تزال هذه المدرسة قائمة إِلى يومنا هذا.

- وفي مرحلة الثورة الجزائريَّة وفي ظروفٍ أَمنيَّة قاهرة، قام الشَّيخ (رحمه الله تعالى) بإِغلاق المدرسة مؤَقَّتا خَوفا على طلبته، وبعد الاستقلال أعاد فتحها مِن

جديد، واستأنفَ نشاطه فيها إلى غاية وفاتِه (رحمه الله تعالى).

- وفي سنة 1964م التحقَ بوزارة الأَوقاف والشُّؤُون الدِّينية، فأصبح إماما وخطيبا ومفتيا ومدرِّسا لمسجد أنس بن مالك، ومديرا ومدرِّسًا بِمدرسة مصعب بن عمير الدِّينية.

- وفي سنة 1971م شارك في مسابقة وزارة الأَوقاف، فتحصَّل على شهادة تعادل شهادة اللِّيسانس في العلوم الإِسلامية.

- وفي سنة 1981م قام بتَوسيع مدرستِه الشَّرعيَّة، وأضاف إليها قسما جديدا خاصًّا بالإِناث، فأَصبحَت تَستقبِل أَعدادا كبيرة مِن الفتيات، وتَستَوعب أَيضا طلَّابا مِن خارج البِلاد.

- رحلَ الشَّيخ (رحمه الله تعالى) في سبيل طلب العلم إِلى عِدَّة بلدان، داخل الوطَن و خارجه، وكانت له في جميع رحلاتِه لقاءات مع نخبةٍ من العلماء ومن طلبة العلم، مفيدا ومستفيدا، منها: تونس، والمغرب الأَقصى، وليبيا، والمملكة العربية السعودية، وغيرها من البلدان.

- قام بِأَداء فريضة الحج عام 1964م، وعام 1974م، ثمَّ صار لا يتخلَّف عن أداء هذه الفريضة إلى أن توفَّاه الله تعالى.

- كان (رحمه الله تعالى) يعقِد في مَواسم الحجِّ جلسات عِلميَّة في الحرم المكِّي، وفي مخيَّمات مِنى، وبعضُ أَخبارها مدوَّن في كتابِه: (**الرِّحلة العلية**).

- شاركَ في كثير مِن الملتقياتِ والمؤتمرات في عدَّة بلدان، وله مجالس عامرة بالنُّصح والتَّوجيه والفَتوى.

- وكانت له عناية كبيرة بالشِّعر، فنظَم عِدَّة قصائد، في موضوعاتٍ مختلِفة وأَغراضٍ متنوِّعة.

- وللشَّيخ (رحمه الله تعالى) أَوقاف في مكتبة الحرم النَّبوي الشَّريف، منها: مجموعة كبيرة من مؤلَّفاتِه المطبوعة والمخطوطة، ولوحة للقرآن الكريم مكتوبٌ فيها: ثُمن: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُومِنِينَ﴾ (آل عمران: 171)، ولوحة مكتوبٌ فيها ما يُكتب للطِّفل عند دُخوله أوَّل مرَّة للكُتَّاب، وبعض أَدوات الكتابة (قلم، ودواة... إلخ)، وقد خصَّص له القائمون على شؤُون الأَوقاف بالمسجِد النبويِّ جناحا خاصًّا بِه يُسمَّى بـ: معرض الشَّيخ باي بلعالم، يضمُّ كلَّ ما حبَّسه على مكتبة المسجِد.

- توفي الشَّيخ (رحمه الله تعالى) في بيته عشيَّة يوم السَّبت 22 ربيع الثاني 1430هـ الموافق لـ: 18 أفريل 2009م، ودفن يوم الاثنين بمسقط رأسِه.

الفصل الثّاني:
آثاره و مؤَلّفاته

اهتمَّ الشَّيخ (رحمه الله تعالى) اهتماما بالِغا بِمَيدان التأليف، فخلَّف تُراثًا متنوِّعا في فنون عديدة، فاق عددُ مؤَلَّفاته بين الصَّغير والكبير (40) مؤلَّفا، ومع ذلك فإنَّه كان يقول عَن كتبه التي أَلَّفها: «إنَّ هذه الكتُب التي ألَّفتُها، ليسَت مِن كلامي ولا مِن رأيي، ولا مِن بناتِ أَفكاري، وإنَّما جَمعتُ فيها ما ذكَره العلماءُ في كتُبِهم».

وقَد جمعَ عناوين مؤلَّفاته الشَّيخ الوالي بن دوينة بن سعيد الحسني في منظومة بليغة، نُشِرت في مقدِّمة كتابِه: **زاد السَّالك شرح أَسهل المسالك**، وهذه بعضُ آثاره نلخِّصها فيما يلي:

- **مرجع الفروع للتَّأصيل مِن الكتاب والسنَّة والإجماع الكفيل شرح نظم الشَّيخ خليفة بن حسن السُّوفي على مختصر خليل**: (10) أَجزاء، طبع بدار الوعي (الجزائر) بِدَعم مِن وزارة الثَّقافة الجزائرية في إِطار مشروع ألف كتاب وكتاب لسَنة 2008م، وقدَّم له الشَّيخ ناصر بن عبد القادر بونيف الإِدريسي الحسني.

- **إقامة الحجة بالدليل شرح على نظم بن بادي على مهمات خليل**: (4) أَجزاء، طبع بدار ابن حزم (بيروت)، ط/ 1، سنة 1428هـ/ 2007م.

- **فتح الرَّحيم المالك في فقه الإمام مالك**: منظومة في الفقه تقع في مجلَّد واحد، مشتَمِلة على (2509) أَبيات، منشورة بِمطبعة عمار قرفي (باتنة).

- **ملتقى الأَدِلَّة الموضّح للسَّالك على فتح الرَّحيم المالك**: (4) أجزاء، وهو شرحٌ على منظومته: (فتح الرَّحيم المالك)، طبع بدار ابن حزم (بيروت)، ط/ 1، سنة1430هـ/ 2009م.

- **الكَوكب الزَّهري نظم المختصَر الأَخضَري**: منظومة مطبوعة بدار ابن حزم (بيروت)، ط/ 1، سنة 1431هـ/ 2010م.

- **الإشراق البدري على الكَوكب الزَّهري نظم المختصَر الأَخضري**: وهو شرح على نظمه السَّابِق على مختصر الأَخضري، طبع بِمطبعة عمار قرفي (باتنة).

- **المباحِث الفِكريَّة على الأُرجوزة البكريَّة**: كتاب شرح فيه منظومة: أُرجوزة الأَوَّليات، المعروفة بالأُرجوزة البكريَّة، التي جمعت ثلاثة فنون (التَّوحيد والفقه والتصوُّف)، للإمام العلَّامة محمَّد البكري بن عبد الرَّحمن (ت: 1339هـ/ 1921م)، طبع بِمطبعة عمار قرفي (باتنة).

- **زاد السَّالك على أَسهل المسالك**: هو شرح على نظم (**أَسهل المسالك لنظم ترغيب المريد السالك على مذهب الإمام مالك**)، للشَّيخ محمَّد البشَّار، طبع في مجلَّد واحد بدار ابن حزم (بيروت)، ط/ 1، سنة 1429هـ/ 2008م.

- **السَّيف القاطع والرَّدُّ الرَّادع لمن أَجاز بِالقُروض المنافع**: وهو ردٌّ علَى مَن

أَفتىٰ بِجَواز أَخذ الفوائد الرِّبويَّة، طبع بدار هومة (الجزائر)، سنة 2007م.

- **الجواهر الكنزية لنظم ما جمع في العزِّية:** أُرجوزة في الفقه المالكي، نظم بها كتاب: (**المقدِّمة العزيَّة** للجماعة الأَزهريَّة) في الفقه المالكي، للعلَّامة الفقيه أَبي الحسن علي بن محمَّد المنوفي المصري (ت: 939هـ/ 1532م)، طبع بدار هومة (الجزائر)، سنة 2002م.

- **السَّبائك الإِبريزية شَرح على الجواهر الكنزيَّة**: وهو شرحٌ علىٰ نظمه السَّابِق، طبع بدار ابن حزم (بيروت)، ط/ 1، سنة 1433هـ/ 2012م.

- تحفة الملتَمِس علىٰ الضَّوء المنير المقتبس في مذهب الإِمام مالك بن أَنس: في (4) أَجزاء، مخطوط لم يُطبع.

- الاستدلال بالكتاب والسنَّة النَّبويَّة علىٰ نشر ونظم العزِّيَّة: طبع بدار هومة (الجزائر)، في جزء واحد، سنة 2002م.

- **كشف الجلباب شَرح على جوهرة الطلَّاب في عِلمَي الفُروض والحساب:** وهو شرحٌ علىٰ نظم الشَّيخ عبد الرَّحمن السكوتي في الفَرائض، طبع بمطابع عمار قرفي (باتنة)، من غير ذكر لسنة الطَّبع.

- **مركب الخائض شرح على النِّيل الفائِض**: في علم الفَرائض، طبع بمطابع عمار قرفي (باتنة)، من غير ذكر لسنة الطَّبع.

- **كشف الدِّثار على تحفة الآثار**: جزء صغير في مصطلح الحديث، شرح فيه

منظومة تحفة الآثار للشَّيخ، طبع بمطابع عمار قرفي (باتنة)، من غير ذكر لسنة الطَّبع.

- **ضياء المعالم على ألفية الغريب لابن عالم**: وهو شرح على ألفية الشيخ بلعالم الزَّجلاوي في غريب القرآن، طبع في جزأين بمطابع عمار قرفي (باتنة)، من غير ذكر لسنة الطَّبع.

- **المفتاح النُّوراني على المدخل الربَّاني للمفرد الغريب في القرآن**: شرح فيه نظم الشيخ الطاهر التليلي السوفي في غريب القرآن، طبع بمطابع عمار قرفي (باتنة)، من غير ذكر لسنة الطَّبع.

- **الدُّرَّة السَّنية في علمِ ما تَرِثُه البَرِيَّة**: منظومة في علم الفرائض، طبع بدار ابن حزم (بيروت)، ط/ 1، سنة 2010م.

- **الأَصداف اليمية شَرح الدُّرَّة السَّنية**: في علم الفرائض، غير مطبوع، ويقع في حوالي 50 ص.

- **فَواكه الخريف شَرح بُغية الشَّريف في علمِ الفَرائض المُنيف**: وهو شَرح على منظومة الشَّيخ محمَّد ابن بادي المسمَّاة: **بغية الشـَّريف في علم الفرائض المنيف**، طبع مطبعة عمار قرفي (باتنة)، في حوالي 90 ص.

- **ركائز الوصول على منظومة العمريطي في علم الأُصول**: وهو شرح مقتضب على منظومة العمريطي في أُصول الفقه، طبع بِمطبعة عمار قرفي (باتنة)،

ويقع في حَوالي: 70 ص.

- **ميسَّر الحصول على شرح سفينة الأُصول**: طبع في دار هومة (الجزائر)، ط/ 1، سنة: 2001م.

- فتح المجيب في حكم الاحتفال بمولد النَّبيِّ الحبيب: وهو كتابُنا هذا.

- **اللُّؤلؤ المنظوم على نثر ابن آجرُّوم:** وهو شَرح وضعه الشَّيخ (رحمه الله تعالىٰ) علىٰ متن الآجرُّوميَّة في علم النَّحو، طبع بِدار ابن حزم (بيروت)، ط/ 1، سنة: 1430هـ/ 2010م.

- عَون القيوم علىٰ كشف الغُموم علىٰ مقدِّمة ابن آجروم: مخطوط في علم النَّحو، يقع في حوالي 140 ص.

- **الرَّحيق المختوم شرح نزهة الحلوم:** في علم النَّحو، طبع بمطابع عمار قرفي (باتنة)، من غير ذكر لسنة الطَّبع.

- **اللؤلؤ المنظوم نظم مقدِّمة ابن آجروم:** منظومة وضعَها الشَّيخ علىٰ متن الآجرُّومية، غير مطبوعة بِمُفردها.

- **كفاية المنهوم شرح اللؤلؤ المنظوم نظم مقدِّمة ابن آجروم:** طبع بمطابع عمار قرفي (باتنة)، مِن غير ذكر لسنة الطَّبع، ويقع في حوالي: 110 ص.

- **التُّحفة الوسيمة شرح الدرة اليتيمة: في علم النَّحو،** طبع بمطابع عمار قرفي (باتنة)، مِن غير ذكر لسنة الطَّبع، ويقع في حوالي: 60 ص.

- الرِّحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات: طبع في جزأين (2)، عِدَّة طبعات.

- **أَنوار الطَّريق لمن يريد حج البيت العتيق:** جزء صغير في مناسِك الحجِّ، طبع بدار هومة (الجزائر)

- **فتح الجواد شرح على نظم العزيَّة لابن باد**: شرح مختصَر على نظم العلَّامة محمَّد ابن بادي الكنتي على المقدِّمة العزيَّة، طبع بمطبعة عمار قرفي (باتنة)، وقام بدراسته وتحقيقه الطالب عمر بن عراج بدراسة وتحقيق هذا الكتاب، وتقدَّم بِه لنَيل شهادة دكتوراه علوم في تحقيق المخطوطات، بِكلية العلوم الإِنسانية والاجتماعيَّة، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان)، سنة 1438 ـ 1439هـ/ 2017 ـ 2018م.

- **قَبيلة فُلَّان في الماضي الحاضر وما لها مِن العلوم والمعرفة والمآثر**: كتاب في تاريخ الفلَّانيِّين، طبع بالجزائر سنة 2004م، في 514 ص، من غير ذكر لاسم دار النَّشر.

- **إِرشادُ الحائر لمعرفة فلَّان في الجزائر**: مخطوط، وهو اختصار للكتاب السَّابق، مع زيادات كثيرة عليه.

- **مِنحة الأَتراب على ملحة الإِعراب**: وهو شرح مختصر على نظم (**ملحة الإِعراب**) للشَّيخ أَبي محمَّد القاسم بن علي الحريري البصري (المتوفَّى سنة516هـ/ 1112م)، في علم النَّحو، طبع بِدار هومة (الجزائر)، ط/ 1،

سنة2001م.

- **الغصن الدَّاني في تَرجمة وحياة الشَّيخ عبد الرَّحمن بن عمر التنلاني**: طبع بِدار هومة (الجزائر)، الطبعة الثانية، سنة 2002م.

- **انقشاع الغمامة والإلباس عَن حكمِ العمامة واللِّباس مِن خِلال سؤَال سعيد هرماس**: قام الطَّالب عمر بن عراج بدراسة وتحقيق هذا الكتاب، وتقدَّم بِه لنَيل شهادة الماجستير في تحقيق المخطوطات، بِكلية العلوم الإِنسانية والاجتماعيَّة، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان)، سنة 1433 ـ 1434هـ/ 2012 ـ 2013م.

- وله محاضرات كثيرة حاضَر بِها في مختلَف المساجد والمراكز العلميَّة الموزَّعة علىٰ أَنحاء الوطن، أَلقاها في عدة مناسبات وملتقيات، وهي كلُّها في الدَّعوة والتَّوجيه والإِرشاد، لا يمكن حصر عدَدها.

- وله أَيضا قصائد كثيرة في موضوعات متنوِّعة، وأَغراض مختلِفة، منها:
  - قصيدتان في الردِّ علىٰ أَلغازٍ بعثَ لَه بِها الشَّيخ أَحمد الطاهري السّباعي.
  - قصيدة في الرَّدِّ علىٰ الزِّنديق سلمان رشدي.
  - قصيدتان في رثاء الشَّيخ مولاي أحمد الطاهري السباعي.
  - مرثية الشَّيخ مولاي محمَّد الرقاني الفقيه.

- مرثية الشَّيخ الطالب الزَّاوي.
- مرثية الشَّيخ عبد العزيز شيخ مهدية.

الفصل الثَّالث:
في التَّعريف بِكتاب (فَتح المجيب)

[1] سَببُ تأليف الكتاب:

ذكر المؤلِّف (رحمه الله تعالىٰ) في مقدِّمة كِتابِه أنَّه شارك في نَدوة عقدَها التلفزيون الجزائري تحتَ إِشرافِ (**وزارة الشُّؤُون الدِّينية**)، في اليوم الخامِس مِن رَبيع الأوَّل عام1413هـ الموافق ليوم: 2 سبتمبر 1992م، موضوعُها: **الاحتفال بالمولد النَّبوي الشَّريف**، وحَضرَها مجموعة من الأَساتِذة، منهم:

- الشَّيخ أَحمد حمَّاني (رئيس المجلس الإِسلامي الأَعلىٰ) و (رئيس لجنة الإِفتاء).
- والشَّيخ عبد الرَّحمن **الجيلالي** (عضو لجنة الإِفتاء).
- والأُستاذ السَّيد **العربي زكُّور** (إِمام وخطيب بِالمسجِد الكبير).
- والسيد **محمَّد التواتي** (إِمام وخطيب).
- والسيد **محمَّد بونعَّاس** (إِمام وخَطيب).
- والعبد الضَّعيف **محمَّد باي بلعالم**.
- ومنشِّط النَّدوة الأُستاذ الشَّيخ **محمَّد الطاهر ڤـريـڤـه**.

وصادفت المناسبة كما قال المؤلِّف (رحمه الله تعالىٰ): «أَوضاعًا سيِّئةً يَعيشُها شعبُنا الجزائري وكثيرٌ مِن الشُّعوب الإِسلامية، والحالة الأَمنية في خطَر، كدَّر علَىٰ المسلمينَ عَيشَهم وحَياتَهم، فنفُوسٌ تُزهَق بِدون سَبب، ومؤسَّسات تخرَّب، وأَشجارٌ

تُحرق، وأَموالٌ تَضيع، وكأنَّ الناسَ على أَعتابِ القيامة، فبدَل أَن يفرَحوا كعادَتِهم بهذِه الذِّكرى العَظيمة، مُستَبشرين مُطمئنِّين، تغلَّبت الأَحزانُ والأَتراحُ علَى الأَفراح، ولهذِه الأَسباب كان مَوضوع النَّدوة يتَمحوَر حولَ النِّقاطِ الآتية:

1) الاحتِفال بذِكرى المولدِ النَّبوي ووُجوه اتِّباع سيِّدنا محمَّد في كلِّ الأُمور، ومِن ذلك الرَّأفة والرَّحمة... إلخ.
2) التَّنديد بِسَفك الدِّماء وتحريم أَموالِ الأُمة... إلخ.
3) كيف تعامَل الرَّسولُ ﷺ معَ المجتَمع الجاهلي المتناقِض ؟
4) لِمَ يحتفِل المسلمون بِذكرى مولدِه ؟ وما الغاية ؟ وهل الاحتفال بها بِدعة ؟
5) ما هو منهاج الرَّسول ﷺ ومعاملته مع أَصحابِه وأَعدائِه ؟
6) كلُّ الشَّرائع الإِسلاميَّة جاءَت بِالكلِّياتِ الخمس (الحفاظ على: الدِّين، والنَّفس، والعرض، والعقل، والمال».

وكان السؤَال المطروح حولَ هاتِه الكليَّات: «ما حكمُ الشَّريعة الإِسلامية فيمَن ينتَهِك هاتِه الحرُمات ؟».

وكان الحِوارُ في النَّدوة جاريا بين الحضور في تقرير هذه المسائل، و«أُعطيت هاتِه النِّقاط ما تستَحِقُّه مِن الشَّرح والتَّوضيح والبيان، وتكلَّمَ كلٌّ مِن الأَساتِذة على الأَوضاع السَّائِدة في بلدِنا».

كما تطرَّقوا للكلامِ عَن «حكمِ الاحتفالِ بالمولدِ النَّبويِّ وغايته، وتاريخ

مبدأ الاحتفال، ونَتائجِه المُفيدة»، وهنا وقعَت مناقشة بين المؤلِّف (رحمه الله تعالىٰ) وبين الشَّيخ الأُستاذ **أَحمد حمَّاني** [1] (رحمه الله تعالىٰ) حولَ البِدعة الحسنة، وذلك أَنَّ المؤلِّف (رحمه الله تعالىٰ) قرَّر: «أَنَّ عملَ المولد **بِدعة حَسنة** حَسبَما نصَّ علَيه الكثيرُ مِن العلماءِ الأَعلام»، فأَجابه الشَّيخ **أَحمد حماني** (رحمه الله تعالىٰ) بِأَنه: «لا تُوجَدُ بِدعةٌ حسنة، بل كلُّ بِدعةٍ ضَلالة، كما جاءَ في الحديث المشهور»،

---

(1) هو أَحمد بن محمد بن مسعود بن محمد حماني الميلي، الشَّيخ العلاَّمة الأُصولي الفقيه المفتي، ولد ببلدة (الميلية) بولاية (جيجل) سنة 1915م، حفظ القرآن الكريم وأخذ المبادئ الأولىٰ في الفقه والتَّوحيد بِمسقطِ رأسِه، ثمَّ سافر إلىٰ مدينة (قسنطينة) حيث انضمَّ في سلك طلبة الشَّيخ ابن باديس لمدة (3) سنَوات، وبعدها انخرط في (جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين)، سافر إلىٰ تونس حيث انتظم في سلك طلبة (جامع الزَّيتونة) لمدَّة (10) سنوات، وحصل خلالها علىٰ: شهادة الأَهلية، ثمَّ شهادة التَّحصيل، ثمَّ شهادة العالمية، عاد إلىٰ (الجزائر) وعمل في التَّدريس، وأَسهم بكتابات كثيرة في (مجلَّة الشِّهاب)، و(البصائر)، وكانت تربطه علاقة وطيدة برجال (الجمعية) وبشخصيات وطنية من مختلف الأحزاب والأطياف، مع بداية الثورة التحريرية الكبرىٰ شارك فيها بكلِّ قوَّة، حيث اعتِقل وعذِّب لمدَّة 4 سنَوات إِلىٰ غاية الاستقلال سنة 1962م، وبعد الاستقلال عمِل مديرا لـ (معهد ابن باديس)، ثم عيِّنَ أُستاذا بـ (جامعة الجزائر) لمدَّة (10) سنَوات، وفي سنة 1972م عيِّن رئيسا لـ (المجلس الإِسلامي الأَعلىٰ) إلىٰ حين تقاعدِه سنة1989م، اشتَهر بالإِفتاء، فكان محلَّ تقدير كبار العلماء، شارك في مؤتمرات وندَواتٍ بِمُحاضراتٍ كثيرة ومتنوِّعة، داخل وخارج الوطن، واصَل نشاطَه الدَّعوي رغم كِبَر سنِّه، ويعتبر مِن أبرز العلماء المصلِحين الذين عرفَتهم (الجزائر)، مِن أهمِّ مؤَلَّفاته: فتاوىٰ الشَّيخ أَحمد حماني، والأَدلَّة البادية، والإِحرام لقاصدي البيت الحرام، وصراع بين السُّنة والبدعة، توفي (رحمه الله) سنة1998م.

مشيرًا إلى قول النبيِّ ﷺ: «كلُّ بِدعة ضلالة».

وكان كثيرٌ مِن المشاهِدين يُتابعون وقائع هذه النَّدوة، فَطلَب بعضهم مِن المؤلِّف «تَوضيحًا حولَ هاتِه المُحاوَرة والأَدلَّة علَى ذلك، حتَّى لا يكونَ ذلك المعنَى مِن عِنديات، بل له ما يبرِّره مِن أَقوالِ العلماءِ ومُصطلَحاتِهم، فأَحببتُ أَن نُثبِتَ المراجع والمصادِر الدَّالَّة علَى ما قلتُه، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأَنفال: 43)».

فهذِه هي الأَسباب التي حَملَت المؤلِّف (رحمه الله تعالى) علَى جَمع ونظم فصول هذا الكتاب وتحريره.

[2] عنوان الكتاب:

العنوان الذي وردَ في نُسختنا الخطيَّة هو الذي اعتمدناه في تحقيقنا لهذه الرِّسالة، وهو الذي وضَعناه على غلاف هذا العمل، وهو: «فتح المجيب في حكمِ الاحتِفالِ بمَولدِ النَّبيِّ الحبيب»، وهو في الجملة موافِق لمضمون الكتاب ومُناسِبٌ للغرضِ الذي وزَّع المؤلِّفُ (رحمه الله تعالى) مادَّة كتابِه على فصوله.

ثمَّ إِنَّنا وقَفنا على نُسخة أُخرى للكتابِ مَرقونة علَى جِهاز الكومبيوتر، رقِمت في حياتِه وبِها مجموعة من التَّصويبات وضعها عليها بعدما قُرِأت عليه، والعنوانُ المثبَت بها هو: «**فتح المجيب في سيرة النبيِّ الحبيب**»، وهي متأَخِّرة عن النُّسخة الأُولى، لأَنَّها نُقِلت عنها بِطلبٍ من المؤلِّف (رحمه الله تعالى).

ولَمَّا سأَلنا عن سبب تصرَّف المؤلِّف في تغيير عنوانها ـ وهو حقٌّ مشروع له ـ قال لنا حفيدُه الدكتور **محمَّد بن محمَّد عبد الله بن باي بلعالم** (حفظه الله تعالىٰ) بِأَنَّ مِن عادة الشَّيخ أَن يحبِّس مؤلَّفاتِه علىٰ مكتبتَي الحرمَين الشَّريفَين.

وأَنَّه لَمَّا كان يعلَم بِأَنَّ المُشرِفين علىٰ المكتبتَين لا يسمَحان بضمِّ تأَليفٍ ينوِّه بِفَضل ليلة المولد إِلىٰ رَصيد المكتبتَين، قام بِتَغيِير عنوان الكتاب، ثمَّ أَودعَه فيهما علىٰ سبيلِ الوقفِ علىٰ عادتِه في تحبيسِ مؤلَّفاتِه (رحمه الله تعالىٰ) علىٰ المكتبتَين المذكورتَين.

وهذا العنوان موافقٌ أَيضا لمضمون الكتاب، إِذ يشتمل الفصل الرَّابع منه علىٰ لمحةٍ مِن السِّيرة النَّبويَّة عَبر التَّاريخ.

[3] مضمون الكتاب:

قسَّم المؤلِّف (رحمه الله تعالىٰ) كتابه إِلىٰ: مقدِّمة وخاتمة وأَربعة فصول، خصَّص الفَصل الأَوَّل منه للكلامِ عن السُّنةِ والبِدعة، وأَقام فيه الأَدِلَّة الصَّريحة علَىٰ أَنَّ مِن البِدَع ما يُسمَّىٰ: بِدعة حَسنة، وكانت هذه المسأَلة هي نقطة الخلاف ومنشأ النِّزاع التي مِن أَجلها قام المؤلِّف بِتَحرير هذا الكتاب.

إِذ لم يقَع نزاع بين المؤلِّف وبين الشَّيخ **أحمد حماني** في قضيَّة مشروعيَّة الاحتفال بالمولد النبويِّ الشَّريف، لأَنَّ كتابات هذا الأَخير ومحاضراته وتاريخه كلُّ ذلك مصرِّحٌ بِأَنَّه كان يرىٰ مشروعية ذلك، وأَنَّه أَسهم في كثير من المناسبات في إِحياءِ هذا المولد.

ويكفي أَن نذكرَ في هذا المقام ما وردَ في مقالٍ له يحملُ عنوان: **رائعة ابن العابد (يوم محمَّد)**، قال فيه: «كان يوم المولد النَّبوي مِن أَروَع أَيامِ القسنطينيِّين، رِجالا ونساءً وأَطفالا، وكانت أَناشيد المولد توزَّع علَيهِم، ومَصدرها **(المطبعة الإِسلامية الجزائرية)**، وهي مطبعة **(الشِّهاب)**، تبدأ بـ: طلع البدر علينا (نشيد بنات النجَّار)، وتختم بـ: **المُنفَرِجة**، وهي جزائرية صميمة:

اِشتدِّي أَزمةُ تَنفَرِجي قَد آذنَ لَيلُكِ بِالبَلَج

وفي الثَّلاثينيات نهضت **(مدرسة التَّربية والتَّعليم)**، وكان مِن أَساتِذَتها: **محمَّد بن العابد السماتي الجلَّالي**، أَعظم معلِّمي الجيل، وأوَّل مَن مارسَ التَّعليم العربي الحرّ بِطَريقةٍ عَصريَّة، ومِن أَنجَبِ تَلاميذ **ابن باديس**، فأَنشأَ نَشيدا مَولديًّا جَديدا، وأَذاعَه في تَلاميذ وتلميذاتِ المَدرسة، ودرس فيه الإِشادة بِالوطَن ووُجوب حُبِّه وخِدمتِه، يقول فيه :

أَنتَ يا يَوم محمَّد جِئْتَ بِالنُّور المجدّد
فابعَثِ النَّخوةَ لَحنا فَهْيَ في الأَكوانِ معنَىٰ
وامْلأ الدُّنيا فِخارا واشهَد في الكَونِ هَزارا» [1]

وهناك نقول كثيرة يمكن أَن نعزِّز بها رأيه الموافق لرأيِ المؤلِّف وينصرُه في مسألة مشروعيَّة المولد، يجِدها القارئ مبثوثة في **آثاره**.

(1) انظر: محاضرات ومقالات الشَّيخ العلَّامة أحمد حماني (2/ 119) جمع وإعداد: عبد الرَّحمن دويب، دار عالم المعرفة (الجزائر)، ط/ 1، سنة 2015م.

أمَّا الفصل الثَّاني من هذا الكتاب فقد ضمَّنه المؤلِّف مجموعة مِن الأَدِلَّة في بَيان جَواز الاِحتفالِ بِالمولد، وتكلَّم فيه عن أوَّلِ مَن أَحدَثَه.

وفي الفصل الثَّالِث ذكر المؤلِّف جملةً مِن المصنَّفاتِ حَولَ الذِّكرىٰ، وأَبان فيه كيفية الاِحتفال بهذا المولد، وساقَ فيه بعض العَوائد المتعلِّقة بهذه المناسبة، مع عرضِ نَماذج مِن بعضِ البِلادِ الإِسلامية التي تصوِّر طريقة الاِحتفالِ بِه.

وتعرَّض في الفصل الرَّابع إلىٰ بسطِ سلسلة مِن أَحداث السِّيرة النَّبويَّة عَبر التَّاريخ.

وختمَ كتابه بفصلٍ خامسٍ لخصَ فيه جميع ما سبقَ ذكر، وعاد فيه للحديث عن الكلِّيات الخمس التي يقرِّرها الإِسلام بتَشريعاته في شتَّىٰ المجالات.

فهذا باختِصار محتَوىٰ هذا الكتاب الذي جمعه مؤلِّفه بعد مُرور شهر وخمسة أَيامٍ من تاريخ انعقادِ النَّدوة المشار إِليها سابِقا.

[4] مصادر الكتاب:

اعتمدَ المؤلِّف (رحمه الله تعالىٰ) في تحرير هذا الكتاب علىٰ عِدَّة مصادر ومراجع، علىٰ رأسِها القرآن الكريم، ثمَّ مصادر كثيرة ومتنوِّعة في حديث النبيِّ ﷺ، كما أَوردَ في سجلِّ قائمة المصادر التي اعتمدَها مجموعة من المؤلَّفات الفقهية والتَّاريخية، كما استعان أَيضا بِمجموعة مِن الجرائد والمجلَّات، يجدُ عناوينها كلَّها في آخر هذا الكتاب.

القسم الثّاني:
قسم تحقيق النَّصِّ

هذا القسم خصَّصناه أَصلا لعرض النَّصِّ المحقَّق، ثمَّ قدَّمنا له بِوَصف النُّسخ المعتمدة في تحقيق هذا النَّصِّ، مع ذكرٍ لأَهمِّ الخطوات التي تدرَّجنا من خلالها للوصول بِالكتاب إلى ما نَرجو أَن يكونَ مُوافِقًا لِما كان يأمل المؤلِّف (رحمه الله تعالى) أَن يَراه عليه.

أولا: التَّعريف بالنُّسخ المعتمدة في تحقيق الكتاب.

ثانيا: خطوات تحقيق الكتاب.

أوَّلا: النُّسخ المعتَمدة في التَّحقيق

كان اعتمادُنا في تحقيقِ هذا الكتابِ أَساسًا على نُسخةٍ مصوَّرة عن نسخةٍ خطيَّة موجودٌ أَصلُها بِمكتبة الشَّيخ المؤلِّفِ الموقوفة على: **مدرسة مُصعَب بن عُمير**، بمدينة أولف (ولاية أَدرار).

وهذه بعضُ أَوصافِ المخطوط:

- عدَد صفحاتِ المخصوط: (84) صفحة.
- ومسطرتُه يمكِن تقدير معدَّلها بِحَوالي (21) سطرا في كلِّ صفحة.
- وأمَّا مقاسه فهو: (21 × 29، 7 سم).
- ناسِخه هو تلميذ المؤلِّف الشَّيخ الطَّالب **بلعروسي محمَّد**، وأمَّا قائمة المراجع الموجودة بآخر الكتاب، وكذا فهرسة المحتَويات، فهما بقلَم تلميذ المؤلِّف وخليفته الشَّيخ **أَحمد بن مالك**، المعروف بـ: **أَحمد الطَّالب** [1].

وعندَما أَشرفنا على إِتمامِ العمل وإِنجازه، أَطلَعَنا حفيدُ المؤلِّف الأُستاذ **محمَّد بن محمَّد عبد الله بن باي بلعالم** (حفظه الله تعالى) على نُسخة أُخرى مَرقونة علَى جِهاز الكومبيوتر، تقَع في: تسعين (90) صفحة، وقال بِأَنَّ راقِمَها اعتَمدَ في صفِّ حُروفها على النُّسخة التي سبقَ وَصفُها، وهي نُسختنا الأَصل.

---

(1) أَفادنا بهذه المعلومات حفيد المؤلِّف (رحمه الله تعالى) الأُستاذُ الباحث الدكتور محمَّد بن محمَّد عبد الله بن باي بلعالم (حفظه الله تعالى).

فكنتُ أَظنُّ في بِداية الأَمر بِأَنَّها مجرَّد فَرع عن أَصلٍ صُورتُه عندي، ولكنَّني عِندما وقفتُ عليها وأَمعنتُ النَّظر فيها، وجدتُ بِها مجموعة من التَّصحيحات، قال لي حفيدُ المؤلِّف بِأَنَّها قُرِأَت علىٰ الشَّيخ في حياتِه، وأُدرِجت التَّصحيحات بِهَوامش النُّسخة ـ وهي كثيرة ـ بقلَم وبخطِّ تلميذه الطَّالب الشَّيخ عبد ال**له حامد لمين**.

لهذا السَّبب أَعَدنا مقابلةَ العملِ علَىٰ هذه النُّسخة، واعتمدناها نُسخة ثانية فَرعيَّة، عزَّزنا بها تصويب بعض الكلمات، وأَقمنا بها صُلبَ بعضِ الأَلفاظِ التي لم يكُن رَسمُها في الأَصل واضِحا.

صورة عن غلاف المخطوط

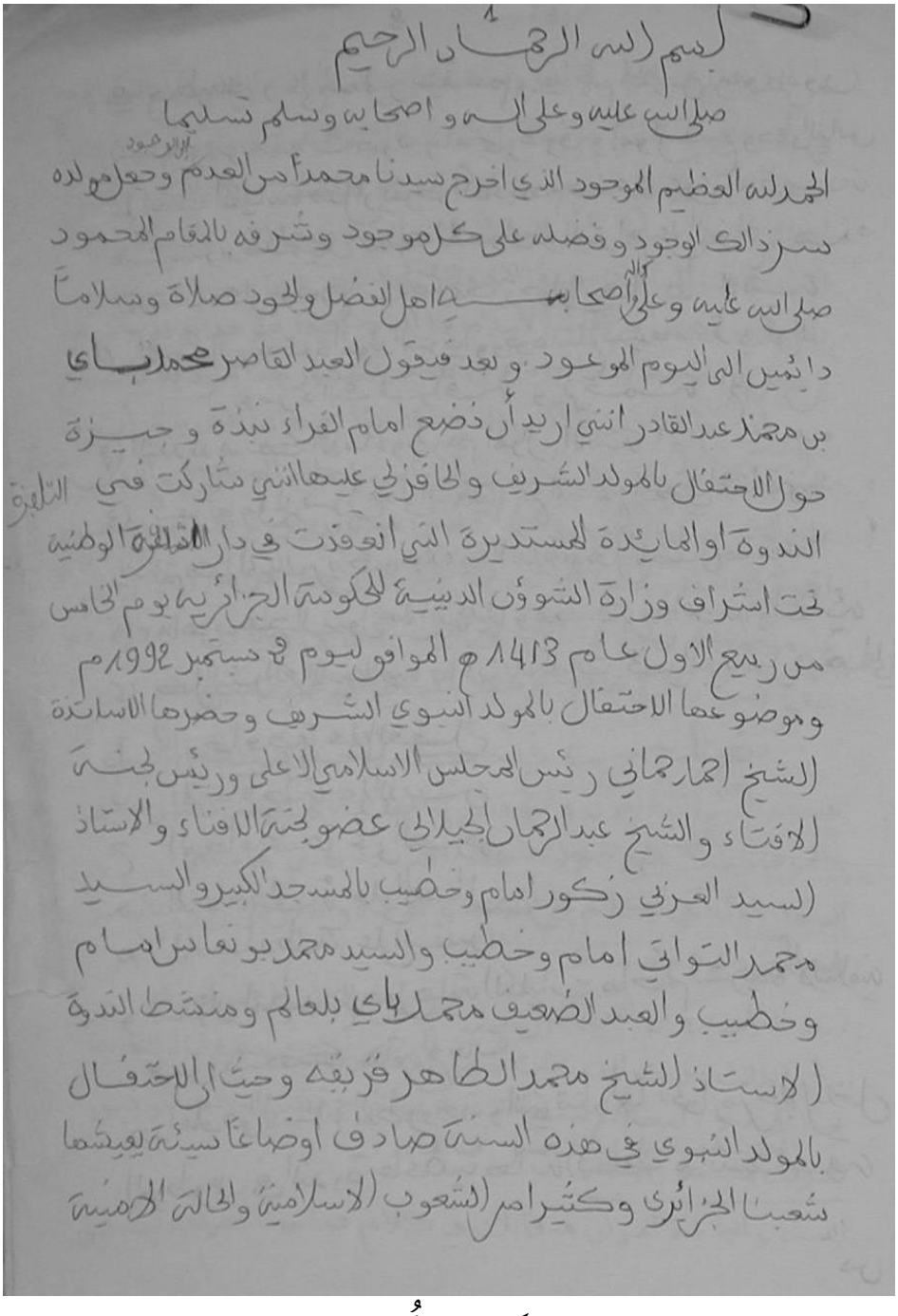
بسم الله الرحمان الرحيم

صلى الله عليه وعلى آله و اصحابه وسلم تسليما

الحمد لله العظيم الموجود الذي اخرج سيدنا محمدا من العدم وجعل مولده سر ذالك الوجود و فضله على كل موجود وشرفه بالمقام المحمود صلى الله عليه وعلى آله واصحابه اهل الفضل والجود صلاة وسلاما دائمين الى اليوم الموعود. و بعد فيقول العبد الفقير محمد باي بن محمد عبد القادر انني اريد أن ضع امام القراء نبذة و جيزة حول الاحتفال بالمولد الشريف والحافز لي عليها انني شاركت في الندوة او المائدة المستديرة التي انعقدت في دار الثقافة الوطنية تحت اشراف وزارة الشؤون الدينية للحكومة الجزائرية يوم الخامس من ربيع الاول عام 1413 هـ الموافق ليوم 4 سبتمبر 1992م وموضوعها الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وحضرها الاساتذة الشيخ احمد حماني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ورئيس لجنة الافتاء والشيخ عبد الرحمان الجيلالي عضو لجنة الافتاء والاستاذ السيد العربي ركور امام وخطيب بالمسجد الكبير والسيد محمد التواتي امام وخطيب والسيد محمد بو نعاس امام وخطيب والعبد الضعيف محمد باي بلعالم ومنشط الندوة الاستاذ الشيخ محمد الطاهر قريبه وحيث ان الاحتفال بالمولد النبوي في هذه السنة صادف اوضاعا سيئة يعيشها شعبنا الجزائري وكثير من الشعوب الاسلامية والحالة الامنية

صورة عن الصَّفحة الأُولى مِن المخطوط

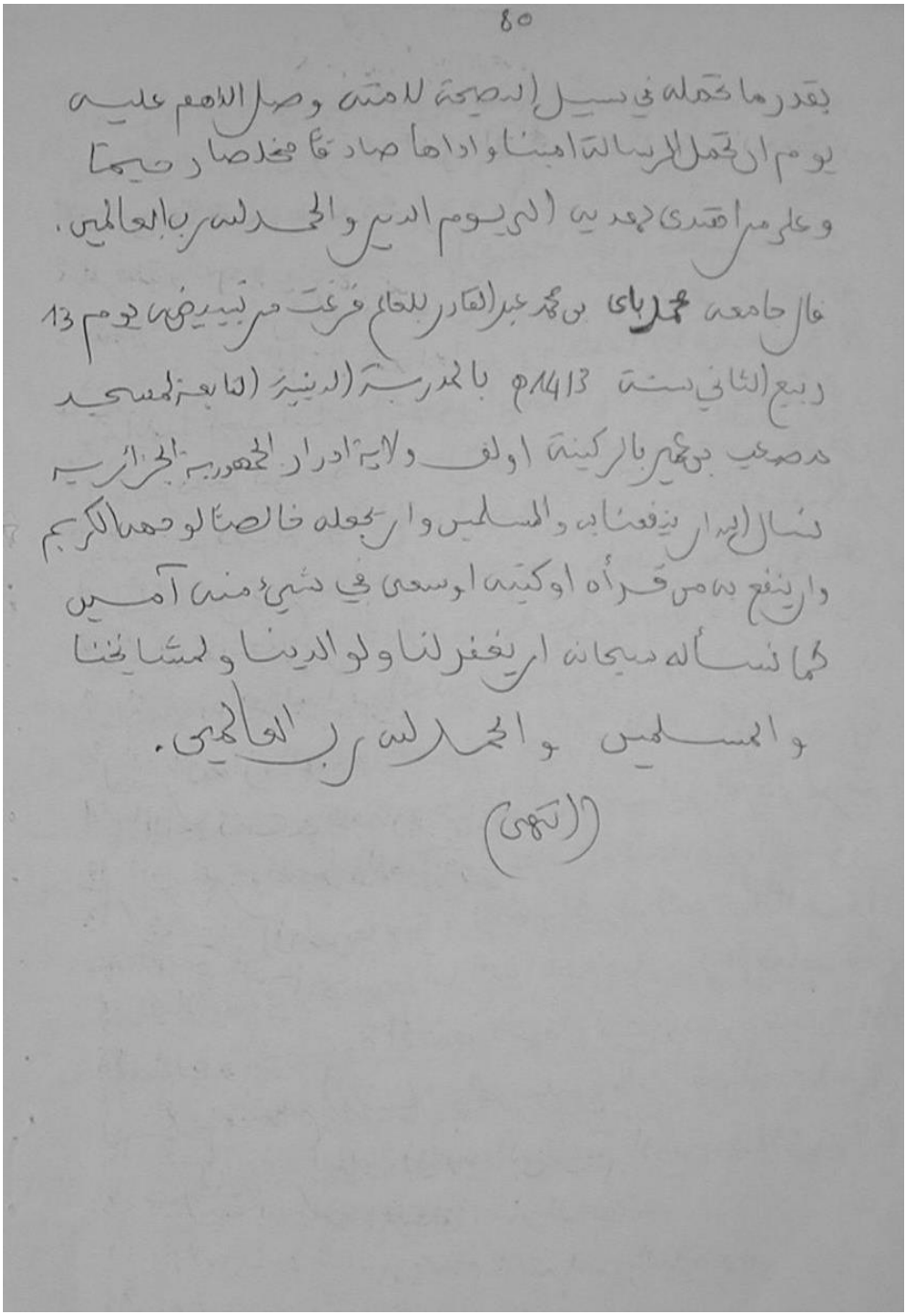
٨٥

بقدر ما تحمله في سبيل النصيحة للامة وصل اللهم عليه
يوم ان تحمل الرسالة امينا واداها صادقا مخلصا رحيما
وعلى من اقتدى بهديه الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

قال جامعه محمد باي بن محمد عبد القادر بلحاج فرغت من تبييضها يوم 13
ربيع الثاني سنة 1413هـ بالمدرسة الدينية التابعة لمسجد
مصعب بن عمير بالركينة اولف ولاية ادرار الجمهورية الجزائرية
نسأل الله ان ينفعنا به والمسلمين وان يجعله خالصا لوجهه الكريم
وان ينفع به من قرأه او كتبه او سعى في شيء منه آمين
كما نسأله سبحانه ان يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا
والمسلمين والحمد لله رب العالمين.

(انتهى)

صورة عن الصَّفحة الأخيرة من المخطوط

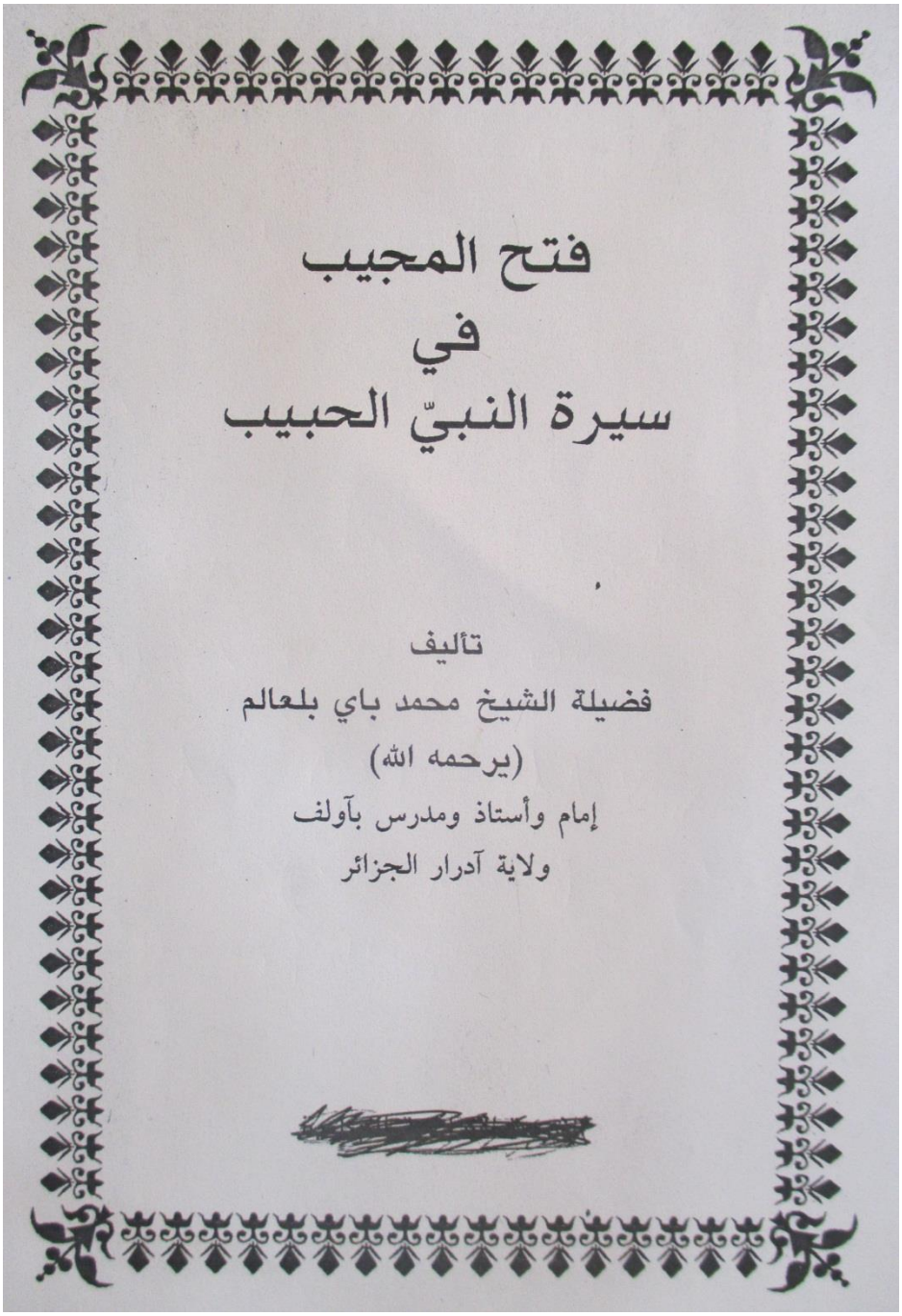

صورة عن غِلاف النُّسخة المنشورة

بسم الله الرحمن الرحيم

صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً

الحمد لله العظيم الموجود الذي أخرج سيدنا محمداً من العدم إلى الوجود، وجعل مولده سر ذلك الوجود وفضّله على كل موجود وشرّفه بالمقام المحمود، صلّى الله عليه وعلى وآله وأصحابه أهل الفضل والجود صلاةً وسلاماً دائمين إلى اليوم الموعود. **وبعد:**

فيقول العبد القاصر محمد باي بن محمد عبدالقادر: إنني أريد أن نضع أمام القراء نبذة وجيزة حول الاحتفال بالمولد الشريف، والحافز لي عليها أنني شاركت في الندوة أو المائدة المستديرة التي انعقدت في دار التلفزة الوطنية، تحت إشراف وزارة الشؤون الدينية للحكومة الجزائرية يوم الخامس من ربيع الأول عام ١٤١٣هـ الموافق ليوم ٢ سبتمبر ١٩٩٢م، وموضوعها: (الاحتفال بالمولد النبويّ)، الشريف وحضرها الأساتذة الشيخ أحمد رحماني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى ورئيس لجنة الإفتاء، والشيخ عبدالرحمٰن الجيلالي عضو لجنة الإفتاء، والأستاذ السيد العربي زكور إمام وخطيب بالمسجد الكبير، والسيد محمد التواتي إمام وخطيب، والسيد محمد يونعاس إمام وخطيب، والعبد الضعيف محمد باي بلعالم، ومنشط الندوة

صورة عن الصَّفحة الأولى من النُّسخة المنشورة

ثانيا: عملنا في تحقيق الكتاب

مِن أَجلِ تحقيق هذه الرِّسالة قُمنا بِجملة خُطوات، يمكنُ حَصرها فيما يلي:

- **قُمنا** أوَّلا بِإعادةِ كِتابةِ النَّصِّ، وحرصنا على ضَبط أَلفاظه، ومُقابلتِه على النُّسخة الخطيَّة المعتمدة في هذا العمل.
- أَحَلنا على أَماكنِ الآياتِ القرآنيةِ الواردةِ في النَّصِّ، وضَبطنا رسمَها على ما يوافق رواية أَبي سعيد عثمان بن سعيد المصري الملقَّب بـ: **ورش** (ت: 169هـ)، لأنَّ المؤلِّف جزائريٌّ ومتَّبعٌ للرِّواية التي نشأَ عليها في بلَدِه ولِما هو مشتهِرٌ ومنتَشِر في وطنِه.
- وقُمنا أَيضا بِتَخريج الأَحاديثِ المذكورةِ فيه، وذلك بِعَزوِها إِلى أُصولها بِاختِصارٍ غَير مُخِلٍّ بِفائِدةِ التَّخريج، وقابلنا النُّصوصَ التي نَقلَها المؤلِّفُ عَن أَصحابِها مِن مَراجِعها الأَصليَّة، ووثَّقناها بِذكرِ المرجع والجزءِ والصَّفحة، مع ذكرِ كلِّ ما يَتعلَّقُ بِذَلك من معلومات تخصُّ (سنة الطَّبع، ودار النَّشْر، واسم المحقِّق... إلخ)، جريًا على سَنَن فنِّ التَّحقيق.
- أَدرجنا بَعضِ التَّعليقاتِ التي رَأَيناها مُناسِبة، مِن غَيرِ أَن نُثقِلَ هامِشَ النَّصِّ بِزياداتٍ لا عَلاقةَ لها بِموضوع الرِّسالة، إِلَّا في بعضِ المواطن التي رأَينا أَنَّها تحتاجُ إِلى زيادةِ بيانٍ وتَوضيح، أَو تحتاج إِلى تعقيبٍ وتَصحيح.

- عرَّفنا بِالأَعلامِ الواردة أَسماؤُهم في النَّصِّ، معَ تجنُّبِ التَّعريفِ بِالمشَاهير مِنهم.
- وقُمنا أَيضا بِإِعداد **القسمِ الدِّراسي**، وقسَّمناه إلى مقدِّمة وفُصولٍ ثلاثة: **الفَصل الأوَّل** عرَّفنا فيه بمؤلِّف الكتاب والفصل الثَّاني خصَّصناه للتعريف بِآثاره، وأمَّا **الفصل الثَّالث** فخصَّصناه للتَّعريفِ بهذا الكتاب.
- وفي الأَخير أَلحقنا بأَصل الكتاب مُلحقَين رأَينا موضوعهما يُوافق الموضوع ويخدُم المقام.
- وقبلَ الخِتام ندعو النَّاظر في هذا العمل إِلى تأَمُّل ما فيه بِإِنصاف، فَما وجد فيه مِن سهو أَو خطأ فليصلِحه، وليدعو للمؤلِّف ولخادمِ كتابِه هذا بالرَّحمة والمغفرة.

ربَّ كتابٍ قَد تصفَّحتُهُ وقلتُ في نفسيَ صحَّحتُهُ

ثمَّ إِذا طالعتُـــهُ ثانيًـــا رأَيتُ تصحيفًا فأَصلحتُهُ

هذا، ونَسأَلُ الله تعالى أَن يوفِّقَنا لخدمة دينه، وأَن يسدِّد أَقلامنا لنشرِ شمائل نبيِّه ﷺ، وبعثِ آثار أَوليائِه وأَصفيائِه.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وأَصحابِه، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الذين يحبُّون الرَّسولَ البشير النَّذير ﷺ وآله وصحبِه أَكثرَ مما يحبُّون أنفسَهم وأولادَهم وآباءَهم وأمَّهاتِهم والنَّاس أجمعين.

إلى الذين تمتلئ أَفئِدتهم فرحًا وسُرورا عِند ذِكره، ويزدادُ فَرحُهم وسرُورُهم كلَّما هلَّ ربيع الأوَّل مِن كلِّ سنَة، وخُصوصًا في لَيلةِ الثَّاني عشَر منه.

إلى الذين يحتفِلون بِمَولده، ويتعرَّضون لنفَحاتِ الله في تلك الليلة الغرَّاء السَّعيدة.

إلى الذين يحبُّون أَن يطَّلِعوا علَى بَعضِ أَخلاقِ ذلك الرَّجلِ العَظيم، وعلَى عبادتِه وجِهادِه، وصِدقِه وحِلمِه وصَبره، ومُعاملَتِه وسِيرتِه العاليةِ العَطِرة.

أهدي هَذا البَحث المتواضِع الذي هو عبارة عَن نُقطةٍ مِن بَحر، وغَيضٍ مِن فَيض، سائِلا مِن المَولَى جلَّ وعَلا أَن ينالَ إِعجابَهم ورِضاهُم، والسَّلام.

المؤلِّف

بسم الله الرحمن الرحيم

صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليما

الحمدُ لله العظيم الموجود[1] الذي أَخرجَ سيِّدَنا محمَّدًا مِن العدَمِ إِلىٰ الوُجود، وجعلَ مَولدَه سرَّ ذلك الوُجود، وفضَّله علَىٰ كلِّ موجود، وشرَّفَه بِالمقامِ المحمود، ﷺ وعلَىٰ آلِه وأَصحابِه أَهلِ الفضلِ والجود، صلاةً وسلامًا دائِمَين إِلىٰ اليوم الموعود، وبعد:

فيقولُ العَبدُ القاصِر، محمَّد باي بن محمَّد عبد القادر:

إِنَّني أُريد أَن نضَع أَمام القرَّاء نُبذةً وَجيزةً حَولَ الاِحتفالِ بِالمولدِ الشَّريف، والحافزُ لي علَيها أَنَّني شاركتُ في النَّدوة أَو المائِدةِ المُستَديرة التي انعقدَت في **التَّلفزة الوطنيَّة** تحتَ إِشرافِ (**وزارة الشُّؤُون الدِّينية**) للحكومة الجزائرية يوم

---

(1) الموجود ليس مِن أَسمائه سبحانه وتعالىٰ، والمؤلِّف (رحمه الله تعالىٰ) أَطلقَ ذلك عليه وأَراد أَنَّها صِفة له سبحانه وتعالىٰ، إِذ وجوده معلومٌ باتِّفاقِ جميع المِلَل والنِّحل، قال الإِمام ابن قيِّم الجوزية(ت: 751هـ): «ما يُطلَق علَيه في بابِ الأَسماءِ والصِّفاتِ تَوقيفيٌّ، وما يُطلَق علَيه مِن الأَخبارِ لا يجِبُ أَن يكونَ تَوقيفًا، كالقَديم، والشَّيء، والموجود، والقائِم بِنَفسِه»، انظر: بدائع الفوائد(1/ 162)، دار الكتاب العربي (بيروت).

الخامِس مِن رَبيع الأوَّل عام 1413هـ الموافق ليوم: 2 سبتمبر 1992م، وموضوعُها: **الاحتفال بالمولد النَّبوي الشَّريف**، وحَضرَها الأَساتِذة:

- **الشَّيخ أَحمد حمَّاني** [1] (رئيس المجلس الإِسلامي الأَعلى) و (رئيس لجنة الإِفتاء).
- والشَّيخ **عبد الرّحمن الجيلالي** [2] (عضو لجنة الإِفتاء).

---

(1) انظر ترجمته في: الفَصل الثَّالث مِن القِسم الدِّراسي الأوَّل، والذي خصَّصناه للحديث عَن موضوع الكتاب.

(2) هو عبد الرَّحمن بن محمَّد الجيلالي: مؤرِّخ الجزائر وأبرز علمائها، ولد بعاصمتها سنة 1326هـ/ 1908م، ونشأ في مساجدها بين أحضان العلماء، من شيوخه بها: الشَّيخ المولود الزريبي، والشَّيخ عبد الحليم بن سماية، والشَّيخ الحفناوي، والدكتور ابن أبي شنب، وغيرهم، شارك في تحرير المقالات في مختلف الصُّحف الوطنية، وله إسهامٌ كبير في حركة التَّأليف ومشاركة قويَّة في عقدِ النَّدوات والمحاضرات، اشتهر ببرنامجه الإِذاعي: سؤال وجواب، توفي سنة1431هـ/ 2010م، مخلِّفا وراءه تراثا عِلميًّا، منه ما هو مطبوع، مثل: تاريخ الجزائر العام، وذكرى الدكتور محمَّد بن أبي شنب، وتاريخ المدُن الثلاث (الجزائر، المدية، مليانة)، وغير ذلك، ومنها ما هو غير مطبوع، مثل: شرح كتاب الجوهر المرتَّب في العمل على الرُّبع المجيَّب، ودراسة تاريخية عن الموسيقى، والإستِشراق الفرنسي والحضارات الشَّرقية، وهذا الأخير قمنا بتحقيقه وسيُنشر قَريبا ـ إِن شاء الله تعالى ـ انظر: أَعلام الفكر الجزائري (1/ 357 ـ 361) للأستاذ محمَّد بسكر، دار كردادة (بوسعادة)، طبعة خاصَّة، سنة 2013م، وإنباء الخلف برجال السَّلف (ص: 114) لأَبي بكر بوسام، دار المعرفة (الجزائر)، ط/ 1، سنة 2009م، والشَّيخ عبد الرَّحمن الجيلالي المؤرِّخ الفقيه ذو =

- **والأُستاذ السَّيد العربي زكُّور** (إِمام وخطيب بِالمسجِد الكبير).
- والسيد **محمَّد التواتي** (إِمام وخطيب).
- والسيد **محمَّد بونعَّاس** (إِمام وخَطيب).
- والعبد الضَّعيف **محمَّد باي بلعالم**.
- ومنشِّط النَّدوة الأُستاذ الشَّيخ **محمَّد الطاهر ڤـريـڤـه**.

وحيثُ إِنَّ الاحتفالَ بالمولدِ النَّبوي في هذِه السَّنة صادفَ أَوضاعًا سيِّئةً يَعيشُها شعبُنا الجزائري وكثيرا مِن الشُّعوب الإِسلامية، والحالة الأَمنية في خطَر، كدَّر علَىٰ المسلمينَ عَيشَهم وحَياتَهم، فنفُوسٌ تُزهَق بِدون سَبب، ومؤسَّسات تخرَّب، وأَشجارٌ تُحرق، وأَموالٌ تَضيع، وكأَنَّ الناسَ علىٰ أَعتابِ القيامة، فبدَل أَن يفرَحوا كعادَتِهم بهذِه الذِّكرىٰ العَظيمة، مُستَبشرين مُطمئنِّين، تغلَّبت الأَحزانُ والأَتراحُ علَىٰ الأَفراح، ولهذِه الأَسباب كان مَوضوع النَّدوة يتَمحوَر حولَ النِّقاطِ الآتية:

1) الاحتِفال بذِكرىٰ المولدِ النَّبوي ووُجوه اتِّباع سيِّدنا محمَّد في كلِّ [الأُمور] [1]، ومِن ذلك الرَّأفة والرَّحمة... إلخ.
2) التَّنديد بِسَفك الدِّماء وتحريم أَموالِ الأُمة... إلخ.

= القرن، صدر عن جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإِسلاميَّة (قسنطينة)، بمناسبة تخرُّج الدُّفعة 24، شعبان 1432هـ/ جويلية 2011م.

(1) في النُّسخة الأَصل يُوجَد بهذا الموضع بياض، وما أَثبتناه مأخوذٌ مِن النُّسخة المنشورة.

3) كيف تعامَل الرَّسولُ ﷺ معَ المجتَمع الجاهلي المتناقِض ؟

4) لِمَ يحتفِل المسلمون بِذكرىٰ مولدِه ؟ وما الغاية ؟ وهل الاحتفال بها بِدعة ؟

5) ما هو منهاج الرَّسول ﷺ ومعاملته مع أَصحابِه وأَعدائِه ؟

6) كلُّ الشَّرائع الإِسلاميَّة جاءَت بِالكلِّياتِ الخمسِ التي تَتمثَّل فيما يلي:

أ) المحافَظة علَىٰ العقل.

ب) المحافَظة علَىٰ الدِّين.

ت) المُحافظَة علَىٰ العرض.

ث) المحافظة علَىٰ المال.

ج) المحافظة علَىٰ النَّفس.

والسؤَال المطروح حولَ هاتِه الكليَّات: ما حكمُ الشَّريعة الإِسلامية فيمَن ينتَهِك هاتِه الحرُمات ؟

هذا ملخَّصُ الأَسئِلة المطروحة، والتي تَناولها الحِوارُ مِن خِلال تدخُّلِ المؤطِّرين في النَّدوة، فأُعطيت هاتِه النِّقاط ما تستَحِقُّه مِن الشَّرح والتَّوضيح والبيان، وتكلَّمَ كلٌّ مِن الأَساتِذة علىٰ الأَوضاع السَّائِدة في بلدِنا، بعدَ الكلامِ علىٰ حكمِ الاحتفالِ بالمولدِ النَّبويِّ وغايته، وتاريخ مبدإِ الاحتفال، ونَتائجِه المُفيدة، ولقَد وقعَت مناقشة بين الكاتبِ والشَّيخ الأُستاذ **أَحمد حمَّاني** (رئيس المجلس الإِسلامي الأَعلىٰ) حولَ البِدعة الحسنة، وذلك أَنَّني لَمَّا قلتُ أَثناءَ تدخُّلي في النَّدوة: «إِنَّ عملَ المولد بِدعة حَسنة حَسبَما نصَّ علَيه الكثيرُ مِن العلماءِ الأَعلام».

قال الشَّيخ **أَحمد:** «لا تُوجَدُ بِدعةٌ حسنة، بل كلُّ بِدعةٍ ضَلالة، كما جاءَ في الحديث المشهور» [1].

هَذا ما ردَّ به الشَّيخ **حمَّاني**، ثمَّ إِنَّ الشَّعبَ الكريمَ الذي كان يُتابع هاتِه النَّدوةَ قَد أَثَّرت علَيه هاتِه المناقشة، وطلَبوا تَوضيحًا حولَ هاتِه المُحاوَرة والأَدلَّة علَىٰ ذلك، حتَّىٰ لا يكون ذلك المعنَىٰ مِن عِنديَاتي، بل له ما يبرِّره مِن أَقوالِ العلماءِ ومُصطلَحاتِهم، فأَحببتُ أَن نُثبِتَ المراجع والمصادِر الدَّالَّة علَىٰ ما قلتُه، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيِيَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأَنفال: 43)، فهذِه هي الأَسباب التي حَملَتني علَىٰ جَمع نُبذةٍ في الموضوع سَمَّيتُها:

فتح المجيب في حكمِ الاحتفال بِمَولدِ النَّبيِّ الحبيب

مُستَمِدًّا مِن الله العَون والتَّوفيق، والهِدايةَ إِلىٰ أَقوَمِ الطَّريق.

والموضوعاتُ التي تَناولَتها هاتِه النُّبذة هي ما يلي:

الفَصل الأَوَّل: في الكلامِ علىٰ السُّنةِ والبِدعة، والدَّليل علَىٰ أَنَّ مِن البِدَع ما يُسمَّىٰ: بِدعة حَسنة.

الفصل الثَّاني: بَيانُ الأَدِلَّة علىٰ جَواز الاِحتفال بِالمولد، وأَوَّلُ مَن أَحدَثَه.

الفصل الثَّالِث: ذِكرُ المصنَّفاتِ حَولَ الذِّكرىٰ، وكيفَ ينبغي لنا أَن نحتفِلَ

---

(1) يشيرُ إِلىٰ حديث جابر (رضي الله تعالىٰ عنه) الذي في آخره: «وكلُّ بِدعة ضلالة»، وحديث العِرباض بن سارية (رضي الله تعالىٰ عنه) أيضا، وسيأتي تخريجهما قريبا ـ إِن شاء الله تعالىٰ.

بِها، وذِكرُ بعضِ العَوائد، ونَماذج مِن بعضِ البِلادِ الإِسلامية في الإِحتفالِ بِالمولد.

الفصل الرَّابع: لمحةٌ مِن السِّيرة النَّبويَّة عَبر التَّاريخ.

الفصل الخامِس: خاتمة.

فقلتُ، وبِالله التَّوفيق:

[الفصل الأوَّل:
تَعريفُ السُّنة والبِدعة [1]

السُّنَّة والبِدعةُ أَمرانِ مُتقابِلانِ في كلامِ صاحبِ الشَّريعة، بِمعنَىٰ أَنَّهما مُتغايِران، فلا يُعرف أَحدُهما إِلَّا بعدَ مَعرفةِ الآخَر، وقَد جرَىٰ كثيرٌ مِن المؤلِّفين إِلىٰ تحديدِ البِدعة دونَ أَن يقوموا بِتَحديد السنَّة أَوَّلًا، لأَنها الأَصل، فوقَعوا في ضيقٍ لم يستَطيعوا الخروجَ عنه، واصطدَموا بِأَدِلَّة تُناقِض تَحديدَهم للبِدعة، ولَو أَنَّهم سَبقوا إِلىٰ تحديدِ السُّنة لَخرجوا بِضابطٍ لا يتخلَّف [2]، والرَّسولُ ﷺ أَمرَ بِاتِّباع السُّنة قبلَ التَّحذير مِن البدعة، كَما في حَديثِ **جابر** وغَيره، وهو قَوله ﷺ: «وخَير الأُمور ما كان سنَّة، وشرّ الأُمور مُحدثاتها... إلخ» (الحديث) [3].

---

(1) نقلَ المؤلِّف هذا الفصل من كتاب: الرَّدُّ المحكم المنيع علىٰ منكرات وشبهات ابن منيع (ص: 119 ـ 145) للشَّيخ يوسف السيد هاشم الرِّفاعي، ط/ الأولىٰ، الكويت، 1404هـ/ 1984م، مع تصرُّف مِنه.

(2) في الأَصل: «لا يختلِف»، والتَّصويب مِن المصدَر الذي أَشرنا إِليه قبلُ.

(3) تصرَّف المؤلِّفُ في نقلَ هذا الحديث، وفي الرَّدِّ المحكم المنيع (ص: 119 ـ 120) ـ وهو =

وفي حَديث **العِرباض**: «فَعليكُم بِسُنَّتي وسنَّةِ الخلفاءِ الرَّاشِدين المهديِّين، عضُّوا علَيها بِالنَّواجِذ، وإِيَّاكُم ومحدثات الأُمور، فإِنَّ كلَّ بِدعةٍ ضَلالة» (1).

فالسُّنة في لُغةِ العَربِ والشَّرع هي الطَّريقة، وهي هديُ الرَّسول ﷺ في حَديثِ **جابِر**، ومنه قَولُ الرَّسول ﷺ: «لَتتبِعنَّ سننَ مَن كان قبلَكم» (2)، أَي:

= مصدَره الذي نقلَ عنه جملة ما في هذا الفصل ـ: «حديث جابر عِندَ مسلم: كان رسول الله ﷺ إِذا خطبَ احمرَّت عيناه... إلخ»، ، والحديث رواه مسلم (867) في الجمعة، باب تخفيف الصَّلاةِ والخطبة، ولفظه فيه: «كان رسول الله ﷺ إذا خطبَ احمرَّت عَيناه، وعَلا صَوتُه، واشتدَّ غَضبُه، حتَّىٰ كأَنَّه مُنذِرُ جَيش، يقول: صبَّحكُم ومسَّاكُم، ويقول: بُعِثتُ أَنا والسَّاعة كهاتَين ـ ويقرن بين إِصبعيه (السَّبَّابة والوُسطىٰ)، ويقول: أَمَّا بعد، فإِنَّ خَير الحديثِ كتابُ الله، وخَيرَ الهدي هَديُ محمَّد، وشرَّ الأُمور مُحدثاتُها، وكلَّ بِدعةٍ ضَلالة»، والحديث رواه أيضا أحمد في المسند (14984)، والنَّسائي (1578) في العيدين، باب كيف الخطبة، وابن ماجة (45) باب اجتناب البِدَع والجدَل، وغيرهم.

(1) رواه أَحمد في المسند (17144)، وأَبو داود (4607)، باب لزوم السنَّة، والتِّرمذي (2676)، باب ما جاءَ في الأَخذ بالسُّنة واجتنابِ البِدَع، وقال: حديث حسنٌ صحيح، وأَخرجه أَيضا ابن ماجه (42)، باب اتِّباع سنَّة الخلفاء الرَّاشدين، والدَّارمي (96)، باب اتِّباع السنَّة، وغيرهم.

(2) رواه أَحمد في المسند (11800)، والبخاري (7320) في الاعتِصام بالكتاب والسُّنة، باب قول النبي ﷺ: «لَتتبعنَّ سنَنَ مَن كان قبلكُم»، ومسلم (2669) في العلم، باب اتِّباع سَنَن اليهود والنَّصارىٰ، وغيرهم، مِن حديث أَبي سعيد الخدري (رضي الله تعالىٰ عنه).

طريقتهم، ومِن ذلك قَوله ﷺ: «مَن سَنَّ في الإِسلامِ سنَّةً حَسنة»، إِلى قَوله: «ومَن سنَّ سنَّةً سَيِّئة» (1)، أَي: طريقة.

قال **الأَصفهاني في (مُفردات القُرآن)** في مادة: **(سنن)**: «فالسُّنَن: جَمعُ سنَّة، وسنَّةُ الوَجه: طَريقتُه، وسنَّةُ النَّبيِّ ﷺ: طَريقتُه التي كان يتَحرَّاها، وسُنَّةُ الله تعالى: قَد تُقالُ لِطريقةِ حِكمته، وطَريقة طاعتِه، [نحو]: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ (الفتح: 23)، فلا شكَّ (2) أَنَّ فُروعَ الشَّرائع وإِن اختلفَت صُوَرها، فالغَرضُ المقصودُ لا يختلِف ولا يتَبدَّل، وهو تطهيرُ النَّفسِ وتَرشيحها لِلوُصولِ إِلى ثَوابِ الله وجِواره» اهـ منه (3).

وأَمَّا السُّنةُ في الشَّرع، فلَها تَعاريف عَديدة، بحَسَبِ اختِلافِ المقاصِد.

فعلماءُ الحديث يعرِّفونَها بِأَنها: كلُّ ما أُضيفَ إِلى النَّبيِّ ﷺ، قيل: أَو إِلى صَحابي أَو إِلى مَن دونَه، قَولا أَو فِعلا أَو تَقريرا أَو صِفة، كما في **(حاشية**

---

(1) أَخرجَه أَحمد في المسند (19174)، ومسلم (1017) في الزَّكاة، باب الحثِّ على الصَّدقَة ولَو بِشقِّ تَمرة أَو كلِمة طيِّبة، والنَّسائي (2554) في الزَّكاة، باب التَّحريض على الصَّدقة، مِن حديث جرير بن عبد الله البجلي (رضي الله تعالى عنه)، وغيرهم.

(2) في الأَصل المعتَمد: «فلا سنه»، وفي مفردات الأَصبهاني (ص: 429): «فتنبيه أنَّ فروع... إلخ»، ولعلَّ ما أَثبتناه هو مرادُ المؤلِّف، وهو الذي يخدم النصَّ.

(3) المفردات في غَريب القرآن (ص: 429) للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشَّامية (دمشق/ بيروت)، ط/ 1، سنة 1412هـ.

الأجهوري على البيقونية) [1].

وعلماءُ أُصولِ الفِقه يعرِّفونها بِأنَّها: كلُّ ما صدَر عَن النَّبيِّ ﷺ، غَير القرآن الكريم، مِن قَولٍ أَو فعلٍ أَو تقرير، ممَّا يَصلحُ أَن يكونَ دليلاً لحكمٍ شَرعيٍّ، كَما في **(شَرح المحلِّي علَى جَمع الجوامع)** [2].

وعلماءُ الفقهِ يعرِّفونَها بِأَنَّها: ما ثَبتَ عَن النَّبيِّ ﷺ ولم يكُن مِن بابِ الفَرضِ ولا الواجبِ في الطَّريقةِ المسلوكةِ في الدِّين، مِن غَير افتِراضٍ ولا وجُوب، لأنَّ مُهِمَّتهم البحثُ عَن الأَحكامِ الشَّرعية، مِن فرض... إلخ الأَحكامِ الخمسة، ومَعرفةُ أَفرادِ كلِّ حكم.

وعلماءُ الوَعظِ والإِرشادِ يُعرِّفونَها بِأَنَّها: ما قابلَ البِدعة، لأَنَّ مُهمَّتَهم العِنايةُ بكلِّ ما أمَر بِه الشَّرعُ أَو نَهى.

وهذا التَّعريفُ هو مقصودُنا في هذا الباب، والكلامُ طَويلٌ وعَريضٌ في الموضوع، ولا يمكنُ لنا أَن نَستَجلِبَ مِن النُّصوصِ أَكثَر، لِأَنَّه يخرِجُنا عَن الإِيجاز والاِختِصار.

---

(1) حاشية الأجهوري على شرح الزرقاني على البيقونية (ص: 32)، تعليق: صلاح محمَّد عويضة، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط/ 2، سنة 1425هـ/ 2004م.

(2) انظر: حاشية العطَّار على شَرح الجلال المحلِّي على جمع الجوامع (2/ 128)، طبعة دار الكتب العِلمية (بيروت).

والآن نَنتقِلُ إلىٰ تَعريفِ البِدعة التي تُقابِلُ السنَّة، فَنقُول:

البِدعةُ في اللُّغة: الأَمرُ الحادِثُ والمستَجدُّ، وأَصلُ مادَّة: «بدع »: اخترعَ علَىٰ غَير مِثالٍ سابِق.

قال في (**مختار الصحاح**) للشَّيخ **الرَّازي** في مادَّة: (**ب د ع**): «أَبدعَ الشَّيءَ: اختَرعَه لا علىٰ مِثال، والله بَديعُ السَّماواتِ والأَرض، أَي: مُبدِعُهما، والبديع: المبتَدع»، إلىٰ أَن قال: «والبِدعةُ: الحدَثُ في الدِّينِ بعدَ الإِكمال» اهـ باختصار [1].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (الأَحقاف: 8)، أَي: ما كنتُ أَوَّل مَن جاءَ بِالرِّسالةِ مِن الله إلىٰ العباد، بل تقدَّمني كثيرٌ مِن الرُّسل.

ويقال: ابتَدعَ فلانٌ بِدعَة، أَي: ابتَدأَ طَريقةً لم يَسبِقه إِليها سابِق.

قال الإِمامُ **الشَّاطبي** في (**الاعتِصام**): «ومِن هذا المعنَىٰ سُمِّيت البِدعةُ بِدعةً، فاستِخراجُها للسُّلوكِ علَيها هو الابتِداعُ، وهَيئتُها هي البِدعةُ، وقَد يُسمَّىٰ العملُ المعمولُ علَىٰ ذلِك الوَجه بِدعَة» اهـ مِن **الاعتصام** (ج1، ص: 36) [2].

وقال **ابنُ تَيمية** في تَعريف البِدعة: «ما خالفَت الكتابَ والسُّنةَ أَو إِجماعَ

---

(1) مختار الصحاح (ص: 30) للرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية (بيروت)، ط/ 5، سنة 1420هـ/ 1999م.

(2) الاعتصام (1/ 45) للشَّاطبي، تحقيق: د. محمد بن عبد الرَّحمن الشقير، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع (السعودية)، ط/ 1، سنة 1429هـ/ 2008م.

سلَفِ الأُمَّة مِن الاعتِقاداتِ والعبادات، كأَقوالِ الخوارج والرَّوافضِ [والقدريَّة] والجهمية، وكالذينَ يتَعبَّدون بِالرَّقصِ والغِناءِ بِالمساجِد» كما في (ج 18، ص: 346) مِن **(فتاويه)** [1].

وكما للسُّنةِ تَعريفات، كذلِك للبِدعة تَعريفات، كلُّها تَدورُ في فلكِ معنًى اصطِلاحي واحِد، وإِن تخالفَت مِن حيثُ الصِّياغةُ والأُسلُوب، واختارَ بعضُ العلماءِ المُعاصِرين [2] تَعريفَين عرَّفها بِهما الإِمام **الشَّاطبي**، وذلك لِسبَبين:

أَحدهما: أَنَّ **الشَّاطبي** يُعَدُّ في مقدِّمةِ مَن خدَمَ هذا البحثَ وتَناولَه بِالشَّرح والتَّحليلِ مِن جَوانبِه.

ثانيهما: أَنه يعَدُّ أَكثَر العلماءِ المتقدِّمين محاربةً للبِدعة، وتَشدُّدا في الابتِعادِ عنها.

التَّعريفُ الأوَّل: أَنَّها طَريقةٌ في الدِّينِ مختَرعة، تُضاهي الشَّريعة، يُقصَدُ بِالسُّلوكِ علَيها المبالغة في التَّعبُّدِ لله عزَّ وجلَّ.

---

(1) انظر: مجموع الفَتاوىٰ (18/ 346) لابن تيمية، جمع وإعداد: عبد الرَّحمن بن محمَّد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف (المدينة المنوَّرة)، سنة 1416هـ/ 1995م.

(2) هو الشَّيخ الدكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي (رحمه الله تعالىٰ)، مِن فَصلٍ يحمِلُ عنوان: ردًّا علىٰ الذين ينكِرونَ الاِحتفالَ بِالمَولدِ النَّبويِّ، نشره كامِلا الشَّيخ يوسف السيِّد هاشم الرِّفاعي في الفصل العاشر مِن كتابِه: الرَّدّ المُحكَم المنيع (ص: 149 ـ 154).

والتَّعريف الثَّاني: أنَّها طَريقةٌ في الدِّينِ مخترَعة، تُضاهي الشَّريعة، يُقصدُ بِالسُّلوك علَيها ما يُقصدُ بِالطَّريقةِ الشَّرعيَّة.

وإِنَّما ردَّدها **الشَّاطبي** (رحمه الله) بينَ هاذَين التَّعريفَين نظَرا لِرأيِ مَن حَصرَ البِدعةَ في العِبادات، ولرأيِ مَن عمَّمَها في سائرِ أَنواع السُّلوكِ والتَّصرُّفات، علَىٰ أَنَّه مالَ فيما بعدُ إِلىٰ أَنَّ البِدعةَ إِنَّما تَختصُّ بِالعِبادات، سَواء مِنها القلبِيَّة ـ وهي العقائِد ـ أَو السُّلوكية ـ وهي سائر أَنواع [العِباداتِ] الأُخرىٰ ـ.

والحاصِلُ أَنَّ الذي يَعنينا مِن كلامِه أنَّها: «طَريقةٌ في الدِّينِ مخترَعة»، إِذ كلُّ ما لا يقصدُ بِه الزِّيادة في الدِّينِ مِن أَعمالِ البرِّ والخير، لا يُقالُ له: بِدعة سيِّئة، فسائِرُ التَّصرُّفاتِ والأَفعالِ التي تَصدُر مِن الإِنسانِ دونَ أَن يتصوَّر أَنَّها جزءٌ مِن جَوهَر الدِّينِ أَو واحِدٌ مِن أَحكامِه، وإِنَّما يندَفع إِليها ابتغاءَ تَحقيقِ هدَفٍ أَو مَصلحةٍ له، دينيَّة كانت أَو دنيويَّة، فهي أَبعَد ما تكونُ عَن احتمالِ تَسميَّتها: بِدعة، وإِن كانت مُستَحدثة في حَياةِ المسلمين غَير مَعروفةٍ لهم، بل مآلها أَن تُصنَّف تحتَ ما سمَّاه رسولُ الله ﷺ: سنَّة حَسنة، أَو تحت ما سمَّاه: سنَّة سيِّئة، وأَنتَ تعلَم أَنَّه قال ﷺ فيما رواه **مسلم** وغَيره: «مَن سنَّ في الإِسلامِ سنَّةً حسَنة، فلَه أَجرُها وأَجرُ مَن عَمِلَ بها بعدَه، مِن غَير أَن ينقصَ مِن أُجورهِم شَيء، ومَن سَنَّ في الإِسلامِ سنةً سيِّئة، كان عليها وِزرها، ووِزر مَن عَمِلَ بها مِن بعدِه، مِن

غَير أَن ينقصَ مِن أَوزارهِم شيء» [1].

قالَ **ابنُ الأَثير** في (**النِّهاية**) كما نقلَه صاحب (**اللِّسان**): «البِدعةُ بِدعتان: بِدعةُ هُدىً، وبِدعةُ ضَلالة، فَما كان خِلافَ ما أَمرَ اللهُ بِه ورَسوله، فهوَ في حيِّز الذَّمِّ والإِنكار ـ وعلَيه يحمَل حَديث: «كلُّ محدَثةٍ بِدعة، وكلُّ بِدعَةٍ ضَلالة» [2]، وهي التي يَنصَرِفُ إِليها لَفظ البِدعة عِندَ الإِطلاق ـ وما كان واقِعًا تحتَ عُمومِ ما نَدبَ الله ورَسوله إِليه، وحضَّ الشَّارعُ علَيه، فهو في حيِّز المدح ـ وعلَيه يحملُ ما وردَ عَن **عُمرَ** في قيامِ رَمضان: «نِعمَت البِدعةُ هذه» [3] ـ وما لم يكُن لَه مِثالٌ مَوجودٌ، كنَوع [مِن] السَّخاءِ والجود، وفعلِ المَعروف، فهوَ مِن الأَفعال المَمدُوحة، ولا يجوزُ أَن يكونَ ذلك في خِلافِ ما وَردَ الشَّرعُ بِه، لأَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَد جعلَ له في ذلك ثَوابا، فقال: مَن سَنَّ سنَّةً حَسنة... إلخ، وقال في ضدِّه: ومَن سنَّ سنةً سيِّئة... إلخ، وذلِك إِذا كان في خِلافِ ما أَمرَ اللهُ ورَسوله بِه، ومِن هذا النَّوع ـ المَمدوح ـ قَول **عُمر**: نِعمَت البِدعةُ هذه، لَمَّا كانَت مِن أَفعالِ الخير،

---

(1) مسلم (1017) في الزَّكاة، باب الحثِّ على الصَّدقَة ولَو بِشقِّ تَمرة أَو كلِمة طيِّبة، وقَد سبقَ تخريجه.

(2) قِطعة مِن حديث العرباض (رضي الله تعالى عنه) السَّابق، ومِن حديث جابر بن عبد الله (رضي الله تعالى عنهما) الذي سبقَ تخريجه أيضا.

(3) رواه مالك في الموطأ (248) في الصلاة في رمضان، باب ما جاء في قيام رمضان، والبخاري (2010) في التَّراويح، باب فضل من قام رمضان.

وداخِلةً في حيِّز المدح سمَّاها: بِدعةً، ومدَحَها، لأَنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يَسنَّها [لهم]، وإِنَّما صَلَّاها ليالِيَ ثمَّ تركَها ولم يُحافِظ علَيها، ولا جَمعَ النَّاسَ لها، ولا كانت في زَمنِ **أَبي بكر**، وإِنَّما **عُمر** (رضي الله عنه) جَمعَ النَّاسَ علَيها وندَبَهم إِليها، فبِهذا سمَّاها: بِدعةً، وهي علَىٰ الحقيقةِ سنَّة، لقَوله ﷺ: علَيكُم بِسُنَّتي وسنَّةِ الخلفاءِ الرَّاشدينَ مِن بَعدي، [وقوله ﷺ: اِقتَدوا بِاللَّذَينِ مِن بعدي]: **أَبي بكر وعمر**» اهـ بتصرُّف وإِيضاح [1].

ويؤخَذُ مِن كلامِ **الشَّاطبي** في (**الاعتِصام**) أنَّ البِدعةَ لا تُطلقُ إِلَّا علَىٰ ما [لا] [2] يَشهدُ لَه أَصلٌ في الشَّرع، وهي بدعة الضَّلالة، ولا تُطلق البِدعة علىٰ ما يَشهدُ له أَصلٌ في الشَّرع إِلَّا مَجازا، كجَمع القرآنِ في المصاحف، وتَدوينِ الدَّواوين في عَهدِ **عمر**، وتَدوينِ الحديث وعلُومِ العربيَّةِ التي هي علُوم آلةٍ لفَهمِ القرآنِ والسنَّة.

---

(1) لسان العرب (8/ 6) لابن منظور، دار صادر (بيروت)، ط/ 3، سنة 1414هـ، وما وضعناه بين عارضتين هو مِن كلام المؤلِّف، وما أَدرَجناه بين معقوفتَين هو زيادة من المصدرَين المذكورَين، راجع: النِّهاية في غريب الحديث والأثر (1/ 106 ـ 107) لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية (بيروت)، 1399هـ/ 1979م، وجامع الأُصول (1/ 278) له أيضا، تحقيق: عبد القادر الأَرناؤُوط، مكتبة دار البيان، ط/ 1، سنة1389هـ/ 1969م.

(2) زيادة يقتضيها السِّياق.

وعُلِمَ ممَّا تقدَّم أَنَّ الشَّيخَ **أَحمد حمَّاني** (رئيس المجلس الإِسلامي الأَعلىٰ) باركَ الله فيه، وأَطالَ حَياتَه، كان مفهومُه للبِدعة الحسنَةِ مَفهومًا ضَيِّقا، تَبعًا لبعضِ العلماءِ القائِلين بذلك[1]، فعِندَما نَرىٰ أَنَّ العلماءَ المحقِّقين يقولون: إِنَّ البدعةَ التي يقولُ فيها ﷺ: «وكلُّ بِدعةٍ ضَلالة»، هذا لا يُطلق علَىٰ بِدعة الهُدىٰ كما تقدَّم في قَولِ **ابنِ الأَثير** وغَيره مِن الفَطاحِلة الذين لا نَبلغُ منهم نحن قُلامة ظُفر، قرَّروا هذا التَّقسيم، منهم: **النَّووي**، و**ابنُ عبد السَّلام**، و**القَرافي**، و**ابنُ العَربي**، وخاتمةُ الحفَّاظِ **ابن حجر**.

فهل هؤُلاءِ لا يَفهمون كلامَ الله، وكلامَ الرَّسول، وقَول الرَّسول: «وكلّ بِدعةٍ ضَلالة» ؟

هذِه الكلِّيَّة تقتَضي عِندَهم شُمولَ الضَّلالة لِكلِّ محدَث، ولعلَّ الذين

(1) ويمكِنُ أَن يقالَ عَن المخالِف هنا أَيضا، بأَنَّ مفهومَه للبِدعة وتقسيمَه لها إِلىٰ خَمسةِ أَقسامٍ فيه نَوعٌ مِن التَّوسُّع، فَهذه المسائل وأَضرابها لا ينبغي أَن يُنظر إِليها بمثلِ هذه الإِعتبارات، لأنَّ لكلِّ صاحب رأيٍ حجَّة لا تُنقض إِلَّا بحجَّة أَقوىٰ منها وأَبلغ، وهذه المسأَلة ـ أي: تعريف البِدعَة وتقسيمها ـ ما يزَالُ الخِلافُ فيها قائما علىٰ ساق، وكثيرٌ مِن العلماء، وإِن اختلفوا صوريا في تحديد المصطلحات، إِلَّا أَنهم متَّفِقون في كثير مِن النتائج والأَحكام، وأَحسنُ مثالٍ علىٰ ذلك هذه المسأَلة، فالشَّيخ أَحمد حماني والشَّيخ باي بلعالِم (رحمهما الله تعالىٰ) لا يتَّفِقان في تحديد مصطلح البِدعة وتقسيمها، ولكنَّهما عِند إِعمال النَّظر في بِناءِ الفُروع علىٰ الأُصول، نَجِدهما متَّفِقَين في النَّتيجة والحكم، فالاحتفالُ بِالمولد النَّبويِّ الشَّريف عِندَهما جائزٌ ومشروعٌ.

اقتَصروا علَىٰ هذه الكلِّية لا يَعرفون قَواعِد الأُصول، لِأَنَّ في كلامِ الله وكلامِ رَسوله كثيرا مِن الكلِّيَّات والعُمومات، مِن العامِّ المخصوص، أَو العامِّ الذي أُريدَ بِه الخصوص، ومعَ كلِّ هذا، فإِنَّ لهم تَقسيما آخَر: البِدعة المكفِّرة، والبِدعةُ المكروهة تحريما، والبِدعة المكروهة تَنزيها، ولِم يُدخلوا[1] الحكمَ الخامس، وهو: البدعة المباحة، لأَنَّهم يرَوا البِدعَ مخصوصة بِالعبادة، فهُم يقسِّمونَها إِلىٰ دينيَّةٍ ودنيويَّة، وكأَنَّ المباحَ ليس مِن أَحكامِ الدِّين، وكأَنَّ البِدعةَ التي تكونُ في غَير العباداتِ لا يشمَلُها الحديث، وهذا تخصيصٌ منهم لهذه الكلِّيَّة التي يرفُضون أَن يقبلَ فيها تخصيص، والنَّبيُّ ﷺ يقول: «مَن أَحدثَ في أَمرِنا ما ليسَ منه، فهو ردٌّ»[2]،

---

(1) في الأَصل: «لم يدخل»، وهو مأخوذٌ مِن كلام الشَّيخ الرِّفاعي في ردِّه علىٰ الشَّيخ ابن منيع، والمؤلِّف (رحمه الله تعالىٰ) في تضمينه لكلام الشَّيخ الرِّفاعي تصرَّف كثيرا في فقَراته، وسدَّد سِهام كتاب (الرَّدّ المحكم المنيع) كلَّها نحو الشَّيخ أَحمد حماني ومَن سار علىٰ نهجِه، ولعلَّ ما أَثبتناه هو المناسِب للسِّياق.

(2) أَخرجه بهذا اللَّفظ أحمد في المسند (26329)، والبخاري (2697) في الصُّلح، باب إِذا اصطلحوا علىٰ صلح جور فالصُّلح مَردود، ومسلم (1718) في الأَقضية، باب نقض الأَحكام الباطلة وردِّ محدثات الأُمور، وأبو داود (4606) في كتاب السنَّة، باب في لزوم السُّنة، وابن ماجه (14) في المقدِّمة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والتغليظ علىٰ من عارضه، كلُّهم مِن حديث عائشة (رضي الله تعالىٰ عنها).

وفي رِواية: «دِيننا» (1).

وشَرعُ الله ودينُه شامِلٌ لِكلِّ تصرُّفاتِ المسلم: عباداته، ومُعاملاته، وأَحكامه، وأَقضيَّته، وأَنكِحته، ومَواريثه، وكلّ أَعمالِه، وكلُّها تَدخلُها البِدعُ المحرَّمة، ومِن أَخطَرِ هاتِه البِدَع: العقائِد التي خَرجَت بِها طَوائف مِن الدِّين، وبدَع الحكمِ، وأَخطَرُها الخروجُ عَن شَريعةِ الله.

الحاصِلُ أَنَّني أَقول للشَّيخ **أَحمد حمَّاني** ـ معَ احتِرامي لَه وشكري لَه علَى ما بذَله في سبِيلِ العلم ـ أَقولُ له: إِنَّ قَولَه ﷺ: «كلّ محدثَةٍ بِدعة، وكلّ بِدعةٍ ضَلالة» (2):

«إِنَّ هذا الحديثَ عامٌّ أُريدَ بِه الخصوص، لأَنَّه يخالِفُ حوافز (3) النُّصوصِ التي تَدلُّ علىٰ النَّظرِ في حكمِ الحادِثة واستِنباطِ الأَحكامِ واستِخراجِها مِن الكتابِ والسنَّة، وهما يستَوعِبانِ كلَّ أَحكامِ الحوادث بِواسِطة دُخولها في مَضامين الكلام، منطوقًا أَو مفهوما، أَو عُمومًا أَو خُصوصا، أَو نصًّا أَو ظاهِرا، أو غَير ذلك.

وقَد وردَ في الكتابِ العزيز والسُّنة المطهَّرة العموم الذي أُريدَ بِه الخصوص، فقَوله تعالىٰ: ﴿وَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مِن الآية: 44 مِن (الأَنعام)،

(1) رواه بهذا اللَّفظ الإِمام البغَوي في شَرح السُّنة (103).

(2) تقدَّم تخريجه.

(3) في الأَصل المخطوط: «لا يخالِف النُّصوص»، وفي النُّسخة المنشورة: «تخالِف النُّصوص»، وما أَثبتناه مأخوذٌ مِن المصدَر المنقول عنه.

فإنَّه لم يفتَح لهم أَبوابَ الرَّحمة، وقَوله تعالىٰ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ الآية 25 مِن (الأَحقاف)، لم تُدمِّر الجبالَ والسَّماواتِ والأَرض، وقَوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية: 23 مِن **(النَّمل)**، لم تُوتَ عَرشَ **سليمان**.

وفي **البخاري** و**الموطأ** قَوله ﷺ: كلُّ بني آدمَ يأكلُه التُّراب، إِلَّا عَجْب الذَّنَب [1]، فالأَنبياءُ والشُّهداءُ مِن بني آدم لا تأكلُهم التُّراب.

قال **ابن عبد البر** في **(التَّمهيد)**: ظاهِرُ هذا الحديثِ وعُمومُه يوجِبُ أَن يكونَ بنو آدم كلُّهم في ذلك سَواء، إِلَّا أَنَّه قَد رُوي أنَّ أَجسادَ الأَنبياءِ والشُّهداءِ لا تأكلُها [2].

والعمومُ بِمَعنَىٰ الخصُوصِ كثيرٌ في لسانِ العَرب، كما قالَه **القُرطبي** في تَفسير [3] **(سورة الرُّوم)** عِندَ قَوله تعالىٰ: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ

---

(1) أخرجه البخاري (4935) بِمعناه، في التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: 18]، ومالك بِنَحوه أَيضًا في الموطأ (48)، في الجنائز، مِن حَديث أَبي هريرة (رضي الله تعالىٰ عنه).

(2) التَّمهيد لما في الموطأ مِن المعاني والأَسانيد (18/ 173) لابن عبد البر، تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأَوقاف والشؤون الإسلامية (المغرب)، سنة1387هـ.

(3) تفسير القرطبي (14/ 26 ـ 27)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية (القاهرة)، ط/ 2، سنة 1384هـ/ 1964م.

عَلَيْهَا﴾ (الرُّوم: 29)، واستَشهدَ علَىٰ ذلك بِالآياتِ التي تقدَّم ذِكرُها.

وقَد جاءَ تَخصيصُ العمومِ في كثيرٍ مِن الآياتِ القُرآنية، حتَّىٰ قيل: ما مِن عامٍّ إِلَّا خُصِّص، وقال جَماعةٌ مِن العلماء: لا يُعملُ بِالعامِّ إِلَّا بعدَ البحثِ عمَّا يخصِّصُه» اهـ مِن **(الرَّد المحكَم)** [1] للشَّيخ **هاشم الرِّفاعي.**

قلت: [وفيه أَيضا] [2] تحتَ عنوان: (رأيٌ وَجيهٌ في شُذوذِ الشَّاطبي عَن الجمهور في تَقسيمِ البِدعة):

«أَقول: وحيثُ إِنَّه طالما تذرَّعَ المخالِفون لجمهور أَهلِ السُّنةِ والجماعة في مَفهومِ تَقسيمِ البِدعة بآراء **الشَّاطبي** صاحب **(الاعتصام)**، وتترَّسوا بِها لردِّ آراءِ الجمهور في هذه المسأَلة، أَحببتُ أَن أُورِدَ رأيًا وَجيهًا للمحدِّث الشَّيخ عبد ال**له محمَّد الصدِّيق** [3] حَيث يقول في ردِّه علىٰ كتاب: **(القَول المتين)** [1]: قسَّمَ **عزُّ**

---

(1) انظر: الرَّدُّ المحكم المنيع علىٰ منكرات وشبهات ابن منيع (ص: 140 ـ 142) للشَّيخ يوسف السيد هاشم الرِّفاعي.

(2) ما بين المعقوفتَين زيادة تخدُم النَّصَّ.

(3) هو أَبو الفضل عبد الله بن محمَّد بن الصدِّيق الغماري الحسني الإِدريسي، المحدِّث الفقيه، ولد بمدينة طنجة سنة 1328هـ/ 1910م، تلقَّىٰ مبادئ التَّعليم عن شقيقه أحمد، وعن خالِه أحمد بن عجيبة، ثمَّ رحلَ إِلىٰ فاس، والتحق بجامع القرويِّين، وأخذ عن شيوخه، ثمَّ رجع إِلىٰ طنجة فدرس علىٰ والده الشيخ محمد بن الصديق، ثم التحقَ بمصر سنة 1349هـ/ 1930م، فدرس بالجامع الأَزهر، وعمل هناك مفتِّشا للدُّروس بوزارة الأَوقاف، ثمَّ عاد إِلىٰ المغرب =

الدِّين ابنُ عبد السَّلام في (قَواعِدِه الكبرى) [2] البِدعةَ بِاعتبارِ اشتِمالِها علَىٰ المصلحةِ والمفسدَة أَو خلُّوِها عَنهما إِلىٰ أَقسامِ الحكمِ الخمسة: الوجُوب، والنَّدب، والحرمة، والكراهة، والإِباحة، ومثَّلَ لكلِّ قسمٍ مِنها، وذكَر ما يَشهدُ له مِن قَواعِد الشَّريعة، وكلامُه في ذلك كلام ناقدٍ بَصير أَحاطَ خُبرًا بِالقواعِد الفِقهية، وعرَّفَ المصالحَ والمفاسِدَ التي اعتبرَها الشَّارعُ في تَرتيبِ الأَحكامِ علَىٰ وفقِها.

=

سنة1390هـ/ 1970م، وبقي بمدينته طنجة يدرِّس ويخطب بالزاوية الصديقية، توفي سنة1413هـ/ 1993م، مخلِّفا عدَّة مؤلَّفات، طبعت جلُّها في موسوعة: الأَعمال الكامِلة للإِمام عبد الله بن الصدِّيق الغماري، في 18 مجلَّدا، بإِشراف: د. محمود سعيد ممدوح، صدرت عَن دار السلام (مصر)، وللتوسُّع في معرفة ترجمته انظر: سبيل التَّوفيق في ترجمة عبد الله بن الصدِّيق، وهي ترجمة ذاتية، نشرت بِمذبعة دار البيان (مصر)، سنة 1985م، وأَفردَه بالتَّرجمة تلميذه فاروق حمادة في كتابٍ بِعنوان: عبد الله بن الصدِّيق الغماري الحافِظ النَّاقد، طبع بِدار القلم (دمشق)، ط/ 1، سنة 2006م، وانظر أَيضا: تَتِمَّة الأَعلام (2/ 23 ـ 26) تأليف: محمَّد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم (بيروت)، ط/ 2، سنة 1422هـ/ 2002م.

(1) انظر: الرَّدُّ المحكَم المتين علىٰ كتاب القَول المبين (ص: 107 ـ 109) لأَبي الفضل عبد الله بن الصدِّيق الغماري، مطبعة العهد الجديد (مصـر)، ط/ 2، سنة 1374هـ/ 1955م، ردَّ فيه علىٰ كتاب: القَول المبين في حكمِ دعاءِ ونِداءِ الموتَىٰ مِن الأَنبياءِ والأَولياءِ والصَّالحين، للشَّيخ محمَّد مخيمر.

(2) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (2/ 204 ـ 205) عز الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام الدِّمشقي، راجَعه وعلَّق عليه: طه عبد الرَّؤُوف سعد، مكتبة الكليات الأَزهرية (القاهرة)، سنة1414هـ/ 1991م.

ومَن مِثل **سلطانِ العلماءِ** في مَعرفةِ ذلك !؟

فجاءَ تَقسيمُه للبِدعةِ مؤسَّسًا علَىٰ أَساسٍ مِن الفِقهِ وقَواعده متين، ولذا وافقَه علَيه الإِمامُ **النَّووي** والحافِظ **ابن حجر** وجمهورُ العلماء، وتلقَّوا كلامَه بِالقبول، ورأَوا أنَّ العملَ بِه متعيَّنٌ في النَّوازل والوقائع التي تحدثُ معَ تَطوُّر الزَّمانِ وأَهلِه، حتىٰ جاءَ صاحبُ **(الاعتصام)** فخَرجَ عن جَمهرة العلماء، وشذَّ بإِنكارِ هذا التَّقسيم، فبَرهنَ بِهذا الإِنكار علَىٰ أَنَّه بَعيدٌ عَن مَعرفةِ الفِقه، بَعيدٌ عَن فَهمِ قَواعدِه المبنيَّة علىٰ المصالح والمفاسِد، لا يعرفُ ما فيه مصلحة فيُطلَب تَحصيلُها بفعلِه، ولا يَدري ما فيه مفسدَة فيُطلبُ اجتنابُها بتَركِه، ولا ما خَلا عنهما فيجُوز فِعلُه وتَركُه علَىٰ السَّواء، وأَخيرا بَرهنَ علىٰ أَنه لم يتذوَّق عِلمَ الأُصول تذوُّقا يمكِّنُه مِن مَعرِفة وُجوهِ الإِستنباطِ وكيفيةِ استعمالها، والتَّصرُّفِ فيها بما يُناسِبُ الوقائع، وإِن كان لَه في الأُصول كتاب: **(الموافقات)**، فَهو كتابٌ قليلُ الجدوَىٰ، عديمُ الفائدة[1]، وإِنَّما هو بارعٌ في النَّحو، له فيه شرحٌ علىٰ **أَلفية ابن**

---

(1) قال الشَّيخ أحمد بابا التنبكتي عن هذا الكتاب: «كتاب (الموافقات) في أُصول الفِقه، كتابٌ جليلُ القَدرِ جِدًّا، لا نَظيرَ له، يدلُّ علىٰ إِمامتِه وبُعدِ شأوِه في العلوم، سيما علم الأُصول، قال الإِمامُ الحفيدُ ابن مرزوق: كتاب (الموافقات) المذكور مِن أَقبل الكُتب»، انظر: نيل الابتهاج بِتَطريز الدِّيباج (ص: 49) للشَّيخ أحمد بابا التنبكتي، بعناية: د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب (طرابلس)، ط/ 2، سنة 2000م.

مالك في أَربعة مجلَّدات [1]، دلَّ على مَقدِرته في علمِ العرَبية، علَى أنَّا وإِن كنَّا نَعلمُ أنَّ **للشَّاطبي** دِراية بعلمِ أُصولِ الفقهِ على سَبيلِ المُشاركَة، فلا نَشكُّ في أَنَّ **سلطانَ العلماء** فيه أَمكَن، وعلمُه بِقَواعدِه أَتمّ، و (**قَواعِدُه الكُبرى**) خيرُ شاهدٍ علَى ذلك، وإِنِّي لأَعجَب مِن **الشَّاطبي** كيفَ أَنكَر على **سلطانِ العلماءِ** ذلك التَّقسيم، معَ أَنه بَناه ـ كما قلنا ـ على اعتبارِ المصالح والمفاسِد التي اعتَبرَها الشَّارعُ في تَرتيبِ الأَحكامِ على وفقِها، ولم يُنكِر على المالكية القولَ بِالاستِصلاح [2] الذي لم يَعتَبِره الشَّارع، ولا قبِلَه جُمهور العلماء، بل أَنكروه وأَبَوا أَن يُرتِّبوا علَيه أَحكاما، كما فعلَ المالكية، لِعدَمِ اعتبارِ الشَّارع لَه !؟ ما القولُ بهذا مع إِنكار ذاك إِلَّا تعصُّبٌ

---

(1) اسمه: المقاصد الشَّافية في شرح الخلاصة الكافية، قال عنه الشَّيخ أحمد بابا التنبكتي: «لم يؤَلَّف مِثله بحثًا وتحقيقًا فيما أعلَم»، طبع بِتحقيق: عياد الثبيتي، مكتبة دار التراث، ط/ 1، سنة1417هـ.

(2) أي: القول بالمصالح المُرسلة، وقَد توسَّع المالكية في اعتبارها، واشتهَر ذلك عنهم، والواقع أنَّ هذا ليس مختصًّا بِمذهبِ المالكية فقَط، ولكنَّه رأي جمهور العلماء، ومنهم الإِمام الشَّافعي في القَديم، وبعضُ الحنفية، وهو مرويٌّ أَيضا عَن الإِمام أَحمد وعملَ بها كثير مِن الحنابِلة، غير أنَّ توسُّع الإِمامِ مالك في الأَخذ بها ميَّزه بها دون غيره، قال القَرافي في شرح تنقيح الفصول (ص: 445): «هي عِنَد التَّحقيق في جميع المذاهب، لأَنهم يقومون ويقعدون بِالمناسبة، ولا يطلبون شاهِدًا بالإِعتبار»، انظر: روضة الناظر وجنة المناظر (1/ 478) لابن قُدامة المقدسي الحنبلي، مؤسَّسة الريَّان للطباعة والنَّشر والتوزيع، ط/ 2، سنة 1423هـ/ 2002م.

مذهبيٌّ ظاهر [1]، ولا يُمكِنُه أَن يتَمسَّكَ لإِنكاره بحديث: كلُّ بِدعَةٍ ضَلالة، لأنَّ البِدعةَ التي هي ضلالة مِن غَير استِثناء، هي: **البِدعة الإِعتقادية**: كالمعتقَداتِ التي أَحدثَها المُعتَزِلة والقدَرية والمُرجِئة ونَحوهم، علَىٰ خِلافِ ما كان يَعتَقِدُه السَّلفُ الصَّالح، فَهذِه هي البِدعةُ التي هي ضَلالة، لأنَّها مَفسدةٌ لا مَصلحةَ فيها.

أَمَّا **البِدعةُ العَمليَّة**: بِمَعنَىٰ حُدوثِ عَملٍ لَه تَعلُّقٌ بِالعبادةِ أَو غَيرها، ولم يكُن في الزَّمنِ الأَوَّل، فَهذا لا بدَّ فيه مِن التَّقسيمِ الذي ذكَره **عزُّ الدِّين بن عبد السَّلام**، ولا يتأَتَّىٰ فيه القولُ بِأَنَّه ضلالةٌ علىٰ الإِطلاق، لأَنه مِن بابِ الوقائع التي تحدثُ علَىٰ ممرِّ الزَّمانِ والأَجيال، وكلُّ واقعةٍ لا تَخلو عَن حكمِ الله تعالىٰ، إِمَّا منصوصٌ علَيه أَو مستَنبَطٌ بِوَجهٍ مِن وجُوه الإِستِنباط، والشَّريعةُ إِنَّما صلُحت لكلِّ زمانٍ ومكان، وكانت خاتمةَ الشَّرائع الإِلهية وأَكملها، بِما حوَته مِن قَواعِد عامَّة، وضَوابِط كلِّية، معَ ما أُوتِيَه علماؤُها مِن قوَّةِ الفَهمِ في نُصوصِها، ومَعرفةٍ

---

(1) بلغَ موضِّح أَسرار الشَّريعة الإِمام الشَّاطبي (رحمه الله تعالىٰ) في العلم منزلةً رفعه الله وحرَّره بها مِن رِبقة التَّقليد، وأَمَّا التَّعصُّب للمذهَب، فما أَبعَد هذه الشَّنيعة عنه، قال عنه الإِمام محمَّد الخضر حسين: «تقرأ له كتاب (الموافقات)، فتُحِسُّ أَنك تتلقَّىٰ الشَّريعةَ مِن إِمامٍ أَحكمَ أُصولَها خِبرة، وأُشرِبَ مقاصِدَها دِراية، ثمَّ تقرأ (شرحَه علَىٰ الخلاصة) في النَّحو، فتَشعُر بِأَنَّك بين يدَي رَجلٍ هو مِن أَغزَر النُّحاةِ عِلما، وأَوسَعِهم نَظراً، وأَقواهُم في الإِستِدلالِ حُجَّة»، انظُر: موسوعة الأَعمال الكاملة للشَّيخ محمَّد الخضر حسين (5/ 1/ 166) جمع وضبط: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر (سوريا)، ط/ 1، سنة 1431هـ/ 2010 م.

بالقياسِ والاِستِصحابِ وأَنواعِهما، إِلىٰ غَير ذلك مِمَّا خُصَّت بِه شريعتُنا الغرَّاء، ولو اتَّبعنا طريقةَ **الشَّاطبي**، وحكَمنا علَىٰ كلِّ عَملٍ حَدثَ بعدَ العَصرِ الأوَّل بِأَنَّه بدعة ضَلالة، مِن غَير أَن نَعتَبِرَ ما فيه مِن مَصلحةٍ أَو مَفسدة، لزمَ علىٰ ذلك إِهدارُ جانبٍ كبير مِن قَواعدِ الشَّريعة وقياساتها، وتَضييقٌ لِدائرتها الواسِعة، وفي ذلك ما لا يخفَىٰ، فظَهرَ بهذا البيانِ الوَجيز خطأ إِنكارِ **الشَّاطبي** (رَحمه الله تعالىٰ)، وصَواب ما ذهبَ إِليه **عزّ الدِّين بن عبد السَّلام** ووافقَه علَيه جُمهور العلماء. اهـ مِن (**الرَّد المحكَم**) بدونِ تصرُّف» [1].

وهذا ما أَمكَننا جَلبُه في هذا (**الفصل**)، وهو فصلُ الكلامِ علىٰ السُّنة والبِدعة، وسنَذكرُ في (**الفصل**) الآتي أَسماءَ بعضِ العلماءِ الذين قالوا بِأَنَّ عملَ المولدِ بِدعةٌ حَسنةٌ ـ إِن شاءَ الله ـ.

---

(1) الرَّدُّ المحكم المنيع علىٰ منكرات وشبهات ابن منيع (ص: 145 ـ 147) للشَّيخ يوسف السيد هاشم الرِّفاعي.

الفصل الثَّاني :

بيانُ الأَدِلَّةِ علَى جَوازِ الاحتِفالِ بِذكرَى المَولدِ وأوَّل مَن أَحدثَه

لقد تكلَّم الكثيرُ مِن العلماءِ في هذا الموضوع، قديما وحديثا، مِن لدُن أَوائل القَرن السَّابع للهجرة، فهناك مِن العلماء مَن أَنكَر الاحتفالَ مُستَدِلًّا بأنَّ صاحبَ الذِّكرىٰ لم يشرع ذلك، ولا أَصحابه مِن بعدِه، وهذا لا ينهضُ حجَّة، لأَنه ﷺ جاءَ بِمكارمِ الأَخلاقِ التي مِن جُملتها التَّواضع لله، وهو سيِّدُ المتَواضِعين وإِمامُهم وقُدوتُهم، ولَو فعلَ ذلك لاتَّبعته أُمَّته، وكان في ذلك عليهم مشقَّة وحرج إِذا فَعلوه، ولَو تَركوه تَركوا الإِقتداءَ بِالمشرِّع، وكان ﷺ يتفادَىٰ ما مِن شأنِه أَن يشقَّ علىٰ أُمَّتِه، ومِن هذا تَركُ صلاةِ التَّراويح جَماعةً خَشيةَ أَن تُفرض علىٰ أُمتِه، وكان أَصحابه يكرهونَ أَن يتركوا عَملا تَركَهم رَسولُ الله ﷺ عليه، ولهذا قال **ابن عَمرو**: «ياليتَني قبِلتُ رخصةَ رَسول الله ﷺ ـ لَّما كبرَ وشقَّ عليه الصِّيام ـ وأَكرهُ أَن أَتركَ عَمَلا تَركَني علَيه ﷺ» (1).

ولَمَّا آل الأَمرُ إِلىٰ الخلفاءِ الرَّاشدين شغَلتهُم فتُوحات البلادِ ومَصالح النَّاس عن الاحتِفال بالمولدِ النَّبويِّ الشَّريف، والأَهمُّ مقدَّم علىٰ المهمِّ، والفرائض ـ كما يقولون ـ مقدَّمة علىٰ النَّوافل.

---

(1) قِطعة مِن حديثٍ طويلٍ رواه البخاري (5052) في فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن، ومسلم (1159) في الصِّيام، باب النَّهي عَن صومِ الدَّهر لمن تضرَّر بِه أَو فوَّت بِه حقًّا أَو لم يفطر العيدَين والتَّشريق، وبَيان تفضيل صَوم يوم وإِفطار يوم.

ولَمَّا آل الأَمرُ إِلىٰ **بني أُميَّة** كان طَبِيعيًّا أَن يَصرِفوا النَّاسَ عَن هذه المواسِم لِئلَّا يهيِّجوا غيرةَ العلويِّين علىٰ خِلافَتِهم، فكانوا لا يحتفِلون بِهذه المواسِم ولا يأبَهون لها، وكذلك الأَمرُ في دَولةِ بني العبَّاس، كانوا لا يحتفِلون بِهذه المواسِم لأَنَّهم كانوا يخشَونَ مِن العلَويِّين، فلَم يكُن عَجيب أَن ينصَرِفَ النَّاسُ عَن الاحتِفال بِالمولدِ النَّبويِّ في هذِه الحِقبة مِن التَّاريخ، والآن نَتركُ الكلامَ إِلىٰ الإِمامِ **جلال الدِّين عبد الرَّحمن السُّيوطي** ليحدِّثنا عَن حكمِ الاحتِفالِ بالمولدِ النَّبويِّ الشَّريف.

قال في كتابه (الحاوي للفتاوي) تحت عنوان: (حُسن المقصَد في عملِ المولد) [1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، وسَلامٌ علىٰ عبادِه الذين اصطفىٰ، وبعد.

فقَد وقعَ السُّؤالُ عَن عَملِ المولدِ النَّبويِّ في شَهرِ رَبيع الأَوَّل ما حكمُه مِن حيثُ الشَّرع ؟ وهل هو مَحمودٌ أَو مَذموم ؟ وهل يثابُ فاعِلُه ؟

أَوَّلا: الجوابُ عِندي أَنَّ أصلَ عَملِ المولدِ الذي هو اجتماعُ النَّاس وقراءةُ ما تيسَّر مِن القرآن، وروايةُ الأَخبارِ الواردةِ في مَبدأ أَمر الرَّسول ﷺ، وما وقعَ في

---

(1) رسالة صغيرة ضمَّنها الإِمامُ السيوطي كتابه: الحاوي للفتاوي (1/ 221 ـ 231)، طبعة دار الفكر للطباعة والنَّشر (بيروت)، سنة 1424هـ/ 2004م، ونشرت مفردة بتحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عَطا، بدار الكتب العلمية (بيروت)، ط/ 1، سنة 1405هـ/ 1985م.

مَولدِه مِن الآيات، ثمَّ يمدُّ لهم سِماط يأكلونَه وينصرِفون مِن غير زيادة على ذلك، هو مِن البِدَع الحسنة التي يُثابُ علَيها صاحبها، لِما فيه مِن تَعظيمِ قَدرِ النَّبيِّ محمَّد ﷺ، وإظهارِ الفرَح والاستبشارِ بِمَولده الشَّريف، وأَوَّلُ مَن فعلَ ذلك صاحبُ إِرْبِل الملِكُ **المظفَّر أَبو سعيد كوكبرى**[1] **بن زين الدِّين علي بن تبكتكين**، أَحدُ الملوكِ الأَمجاد، والكُبراءِ الأَجواد، وكان لَه آثارٌ حَسنة، وهو الذي عمَّر الجامع المظفَّري بِسَفْح **قاسيون**.

قال **ابن كثير** في (**تاريخه**)[2]: «وكان يعملُ المولدَ الشَّريف في رَبيع الأَوَّل، ويحتفِلُ بِه احتِفالًا هائِلا، وكان [مع ذلك] شَهما شُجاعا، بَطلًا عاقِلا، عالما عادِلا، رَحمه الله وأَكرمَ مَثواه».

قال: «وقَد صنَّفَ لَه الشَّيخُ **أَبو الخطاب بن دِحْيةَ** مجلَّدا في المولدِ النَّبويِّ سمَّاه: (**التَّنوير في مَولدِ البشير النَّذير**)، فأَجازَه على ذلك بِأَلفِ دينار، وقَد طالَت مُدَّتُه في المُلكِ إِلى أَن ماتَ ـ وهو محاصِرٌ للفرنج بِمدينة (**عكَّا**) سنة ثلاثين وستمائة ـ محمودَ السِّيرة والسَّريرة.

وقال **سِبطُ ابنِ الجوزي** في (**مِرآة الزَّمان**)[3]: حكَى بعضُ مَن حضَر سِماطَ **المظفَّر**

---

(1) اِسم تُركي، معناه بالعربية: الذِّئب الأَزرق.

(2) البداية والنهاية (13/ 159 ـ 160) لأَبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدِّمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط/ 1، سنة 1408هـ/ 1988م.

(3) انظر: مِرآة الزَّمان في تَواريخ الأَعيان (22/ 323 ـ 324) لسبط ابن الجوزي، تحقيق: =

في بعضِ الموالدِ أنَّه عدَّ في ذلكَ السِّماط خَمسةَ آلافِ رأسِ غنَمٍ مَشويٍّ، وعَشْرةَ آلافِ دَجاجة، ومائةَ فَرس، ومائةَ أَلفِ زُبدِيَّة، وثلاثينَ أَلفَ صَحنِ حَلوىٰ، قال: وكان يحضُر معَه في المَولدِ أَعيانُ العلماءِ والصُّوفية، فَيخلعُ علَيهم ويُطلِقُ لهم، ويَعملُ لِلصُّوفية سَماعا مِن الظُّهر إلىٰ الفَجر، ويَرقُصُ بِنَفسِه معَهم، وكان يَصرِفُ علَىٰ المولدِ في كلِّ سنَةٍ ثلاثمائةِ أَلفِ دينار، وكانَت له دارُ ضِيافةٍ للوافِدينَ مِن أَيِّ جهة، علَىٰ أَيِّ صِفة، فكان يَصرِفُ علَىٰ هذِه الدَّار في كلِّ سنَةٍ مائةَ أَلفِ دِينار، وكان يَستفِكُّ مِن الفِرَنج في كلِّ سَنةٍ أُسارَىٰ بِمائَتي أَلفِ دينار، وكان يَصرِفُ علَىٰ الحرمَينِ والمياهِ بِدَربِ الحِجاز في كلِّ سَنةٍ ثلاثين أَلفَ دينار، هَذا كلُّه سِوَىٰ صدقاتِ السِّرِّ، وحكَتْ زَوجتُه **رَبيعة خاتون بِنت أَيوب** (أُخت المِلك النَّاصِر **صلاح الدِّين**) أَنَّ قميصَه كان من كِرباسٍ غَليظ لا يُساوي خَمسةَ دَراهِم، قالت: فَعاتَبتُه في ذلك، فقال: أَلبسُ ثَوبًا بِخَمسةٍ وأَتصدَّقُ بِالباقي خَيرٌ مِن أَن أَلبسَ ثَوبًا مُثمَّنا وأَدعُ الفَقير والمسكينَ.

وقالَ **ابن خلكان** [1] في تَرجمةِ الحافِظ **أَبي الخطَّابِ بن دِحيةَ:** كان مِن أَعيانِ العلماء، ومَشاهير الفُضلاء، قَدِمَ مِن **المغربِ** فَدخَل **الشَّام** و**العِراق**، واجتازَ **بإِرْبِل** سنةَ أَربع وستِّمائة، فَوجدَ مَلِكَها المعظَّم **مظفَّر الدِّين بن زين الدِّين** يعتَني بِالمولدِ النَّبويِّ، فَعمِلَ له كتاب: (**التَّنوير في مَولدِ البشير النَّذير**)، وقَرأَه علَيه

=

إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية (دمشق)، ط/ 1، سنة 1434هـ/ 2013 م.

(1) انظر: وفيات الأَعيان وأَنباء أَبناء الزَّمان (3/ 448 ـ 450) لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر (بيروت).

بِنَفسِه، فأَجازَه بِأَلفِ دينار، قال: وقَد سمِعناه علَىٰ السُّلطانِ في ستَّة مجالس في سنة خَمسٍ وعشرينَ وستِّمائة. انتهىٰ.

وقَد ادَّعىٰ الشَّيخُ **تاج الدِّين عمر بن علي اللَّخمي السَّكندَري**، المشهور بـ: **الفاكهاني** ـ مِن متأَخِّري المالكية ـ أَنَّ عملَ المَولد بِدعةٌ مَذمومة، وألَّف في ذلك كتابًا سمَّاه: (**المورد في الكلامِ علَى عَملِ المولد**) [1]، وأَنا أَسوقُه هنا بِرُمَّتِه [2]، وأَتكلَّم علَيه حَرفًا حَرفا.

قال (رحمه الله): الحمدُ لله الذي هَدانا لاتِّباع سيِّد المرسَلين، وأَيَّدنا بالهِداية إِلىٰ دَعائِم الدِّين، ويسَّر لنا اقتِفاءَ آثارِ الصَّالحين، حتَّىٰ امتَلأَت قلوبُنا بأَنوار علمِ الشَّرع وقَواطع الحقِّ المُبين، وطهَّر سَرائرَنا مِن حدَثِ الحوادث والابتداع في الدِّين.

أَحمدُه علَىٰ ما منَّ بِه مِن أَنوار اليقين، وأَشكُره علىٰ ما أَسداه مِن التَّمسُّكِ بِالحبلِ المتين، وأَشهدُ أَن لا إِله إِلَّا الله وحدَه لا شريكَ لَه، وأَشهدُ أَنَّ محمَّدا عبدُه ورَسولُه، سيِّدُ الأَوَّلين والآخِرين، ﷺ وعلَىٰ آلِه وأَصحابِه وأَزواجِه الطَّاهراتِ أُمَّهاتِ المؤمنين، صلاةً دائمةً إِلىٰ يَومِ الدِّين، أَمَّا بعد:

فقَد تكرَّر عليَّ سؤالُ جَماعةٍ مِن المبارَكين عَن الاجتماع الذي يَعملُه بعضُ

---

(1) كتاب: المورد في عمل المولد، طبع بتحقيق علي الحلبي، مكتبة المعارف (الرياض)، ط/ الأولىٰ سنة 1407هـ/ 1987م.

(2) انظر: الحاوي للفتاوي (1/ 190 ـ 192)، ومِمَّن ساقه برمَّته أيضا، تلميذه الشَّيخ محمد بن يوسف الصَّالحي في كتابه: سبل الهدىٰ والرَّشاد في سيرة خير العباد (1/ 446 ـ 448).

النَّاسِ في شَهرِ رَبيع الأوَّل، ويُسمُّونَه: **(المولد)**، هل لَه أَصلٌ في الشَّرع ؟ أَو هو بِدعةٌ وحدَثٌ في الدِّين ؟ وقَصدوا الجوابَ عَن ذلك مُبيَّنا، والإِيضاحَ عنه معيَّنا، فقلتُ وبِالله التَّوفيق:

لا أَعلمُ لهذا المولدِ أَصلا في كتابٍ ولا سنَّة، ولا يُنقل عَملُه عَن أَحدٍ مِن علماءِ الأُمةِ الذين هُم القدوةُ في الدِّين، المتمسِّكون بِآثار المتقدِّمين، بل هو بِدعةٌ أَحدثَها البطَّالون، وشَهوةُ نفسٍ اعتنَى[1] بِها الأكَّالون، بِدَليل إِذا أَدَرنا علَيه الأَحكامَ الخمسة، قلنا: إِمَّا أَن يكونَ واجِبا أَو مَندوبا أَو مُباحًا أَو مكروهًا أَو محرَّما، وليس بِواجِبٍ إجماعا، ولا مَندوبا، لِأَنَّ حقيقةَ المندوبِ: ما طلبَه الشَّرعُ مِن غير ذمٍّ علَى تَركه، وهذا لم يأذَن فيه الشَّرعُ ولا فعلَه الصَّحابةُ ولا التَّابعون ولا العلماءُ المتديِّنون فيما عَلِمت، وهَذا جوابي عنه بين يدَي الله إِن عنه سُئِلت، ولا جائزٌ أَن يكونَ مُباحا، لِأَنَّ الابتداعَ في الدِّينِ ليس مُباحًا بإِجماع المسلمين، فلَم

---

(1) قال محقِّق رسالة: المورد (ص: 22، هامش رقم: 19): «ولعلَّ الصَّواب: اغتنَى، بِالغين المعجمة، إذ الأَكَّالون ينالوهم الغِنى والمال بِعملِ هذه المبتدَعات، والله أَعلم»، وهذا تصرُّف في النَّصِّ غير مقبول، ولا يمكن إِدراجه في بابِ تصحيح التَّحريف أَو تحرير التَّصحيف، لأنَّ المعنى يستقيم بالرَّسم الموجود، وقَواعِدَ التَّحقيق وأُصوله ضيِّقة في قضيَّة الانحراف عن تتبُّع خُطى النَّاسخ، خاصَّة إِذا كان رسمه مُوافقا لوَجه من المعنى، ولو أَطلقنا العنان لقلمِ التَّحقيق ليجول في هذا الميدان وفق هذا المسلك، إِذًا لفسدَت الكتُب والمؤلَّفات، والله تعالى أَعلم، وأفضل مَرجع تعرَّض لهذا الموضوع، كتاب: تحريف النُّصوص، للشَّيخ بكر بن عبد الله أَبو زيد.

يبقَ إِلَّا أَن يكونَ مكروهًا أَو حَراما، وحينئذٍ يكونُ الكلامُ فيه في فَصلَين، والتَّفرِقةُ بينَ حالَين:

أَحدهما: أَن يَعملَه رجلٌ مِن عَينِ مالِه لأَهلِه وأَصحابِه وعِياله، لا يجاوِزُون في ذلك الاجتماع علَىٰ أَكلِ الطَّعام، ولا يقتَرفونَ شيئًا مِن الآثام، فَهذا الذي وصَفناه بِأَنَّه بِدعةٌ مكروهة وشَناعة، إذ لم يفعَله أَحدٌ مِن مُتقدِّمي أَهلِ الطَّاعة الذين هُم فقهاءُ الإِسلام، وعلماءُ الأَنام، سرُجُ الأَزمنة، وزَينُ الأَمكِنة.

والثَّاني: أَن تَدخله الجِناية وتقوَىٰ بِه العِناية حتَّىٰ يُعطي أَحدُهم الشَّيءَ ونفسُه تَتبعُه، وقلبُه يؤْلمه ويُوجِعُه، لِما يجِدُ مِن أَلمِ الحيف، وقَد قال العلماء: أَخذُ المالِ بِالحياءِ كأَخذِه بِالسَّيف، لا سيِّما إِنِ اِنضافَ إِلىٰ ذلك شيءٌ مِن الغِناءِ معَ البطونِ الملأَىٰ بِآلاتِ الباطِل، مِن الدُّفوف والشَّبابات، واجتماع الرِّجال معَ الشَّبابِ المُردِ والنِّساءِ الغانيات، إِمَّا مختلِطات بِهِم أَو مُشرفات، والرَّقص بِالتَّثَنِّي والإِنعِطاف، والاستِغراق في اللَّهوِ ونسيان يَوم المخاف، وكذلك النِّساءُ إِذا اجتَمعنَ علَىٰ انفرادِهنَّ رافعاتٍ أَصواتهنَّ بِالتَّهنيك والتَّطريب والإِنشاد، والخروج في التِّلاوةِ والذِّكر المشروع والأَمرِ المُعتاد، غافِلاتٍ عَن قَوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر: 14)، وهَذا الذي لا يختلِفُ في تَحريمِه اثنان، ولا يستَحسِنُه ذَوو المُروءةِ الفِتيان، وإِنَّما يحلُو ذلك لِنفوسِ مَوتَىٰ القلُوب، وغَير المُستقِلِّين مِن الآثامِ والذُّنوب، وأَزيدُك أَنَّهم يرَونَه مِن العباداتِ لا مِن الأُمور المُنكَراتِ المُحرَّمات، فإِنَّا لله وإِنَّا إليه راجعون، بدأَ الإِسلامُ غَريبًا، وسَيعودُ كما

بدأَ[1]، ولله درُّ شيخنا **القُشيري**[2] حيثُ يقُولُ فيما أَجازَناه:

قَد عُرِفَ المنكَرُ واستُنكِرَ الـ ـمعروفُ في أَيَّامِنا الصَّعبَهْ
وصارَ أَهلُ العِلمِ في وَهدَةٍ وصارَ أَهلُ الجهلِ في رُتبَهْ
حادُوا عَنِ الحقِّ فَما لِلَّذي ساروا بِه فيما مضَى نِسبَهْ
فَقلتُ لِلأَبرارِ أَهلِ التُّقَى والدِّينِ لَمَّا اشتَدَّتِ الكُربَهْ
لا تُنكِرُوا أَحوالَكُم قَد أَتَتْ نَوبَتكُم في زَمنِ الغُربَهْ

ولقَد أَحسَنَ الإِمامُ **أَبو عَمرو بن العَلاء** حيث يقول: لا يزالُ النَّاسُ بِخَير ما تُعجِّبَ مِن العجَب، هذا، معَ أَنَّ الشَّهر الذي ولدَ فيه ﷺ وهو ربيعٌ الأَوَّل هو بِعَينه الشَّهر الذي تُوفِّيَ فيه، فلَيس الفَرحُ فيه بأَولى مِن الحزنِ فيه، وهَذا ما علَينا أَن نقُول، ومِن الله تعالى نَرجو حُسنَ القَبول، هذا جَميعُ ما أَوردَه **الفاكهاني** في كتابِه المذكور.

وأَقول[3]: أَمَّا قَولُه: «لا أَعلَمُ لهذا المَولدِ أَصلًا في كتابٍ ولا سُنَّة».

---

(1) مسلم (145) عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، وغيره.

(2) هو الإِمام المحقِّق المجتهِد محمد بن علي بن وهب، تقي الدِّين القشيري، المشهور بـ: ابن دقيق العيد، (ت: 702هـ)، شَيخ الإِمام تاج الدِّين الفاكهاني ومُجيزُه، انظر ترجمته في: طبقات الشَّافعيَّة (6/ 2) للسُّبكي، والبدر الطالع (2/ 229) للشَّوكاني.

(3) أَي: الإِمام السُّيوطي (رحمه الله تعالى).

فيُقالُ علَيه: نفيُ العلمِ لا يلزَم منه نفيُ الوُجود، وقَد استَخرجَ لَه الإِمامُ الحافِظُ **أَبو الفَضلِ ابنُ حَجر** أَصلًا مِن السُّنة، واستَخرَجتُ لَه أَنا أَصلا، وسَيأتي ذِكرُها بعدَ هَذا.

وقَولُه: «بل هو بِدعةٌ أَحدثَها البطَّالُون»، إِلى قَوله: «ولا العلماءُ المتديِّنون».

يقال: قَد تقدَّم أَنَّه أَحدثَه مَلِكٌ عادِل عالِم، وقَصدَ بِه التَّقرُّبَ إِلى الله تَعالى، وحَضَر عِندَه فيه العلماءُ والصُّلحاءُ مِن غَير نكيرٍ منهم، وارتَضاهُ **ابنُ دِحيةَ** وصنَّفَ له مِن أَجلِه كِتابا، فَهؤُلاءِ علماءُ مُتديِّنون رَضَوهُ وأقرُّوه ولم يُنكِروه.

وقَولُه: «ولا مَندوبًا، لأَنَّ حَقيقةَ المَندوبِ ما طلَبَه الشَّرعُ».

يُقال عليه: إِنَّ الطَّلبَ في المَندوب، تارةً يكونُ بِالنَّصِّ، وتارةً يكونُ بِالقياس، وهَذا وإِن لم يَرِد فيه نصٌّ، ففيه القياسُ علَى الأَصلَينِ الآتي ذِكرُهُما.

وقَولُه: «ولا جائِزٌ أَن يكونَ مُباحًا، لِأَنَّ الإِبتداعَ في الدِّينِ ليسَ مُباحًا [بِإِجماع المسلِمين] (1)».

كلامٌ غَيرُ مُسلَّم، لِأَنَّ البِدعةَ لم تَنحَصِر في الحرامِ والمكروه، بل قَد تكونُ أَيضًا مُباحةً ومَندوبةً وواجِبة.

قال **النَّووي** في (**تَهذيب الأَسماءِ واللُّغات**) (2): البِدعةُ في الشَّرع هي

---

(1) ما بين المعقوفتَين زيادة مِن المصدَر (حسن المقصد).

(2) انظر: تهذيب الأَسماء واللغات (3/ 22 ـ 23) للإمام النَّووي، نشر: شركة العلماء =

إحداثُ ما لم يكُن في عَهدِ الرَّسولِ ﷺ، وهي مُنقسِمةٌ إلى حَسنةٍ وقَبيحة، وقالَ الشَّيخُ **عِزُّ الدِّين بن عبد السَّلام في (القَواعد)** [1]: البِدعةُ مُنقَسِمةٌ إلى: واجِبة، ومحرَّمة، ومندُوبة، ومكروهَة، ومُباحَة.

قال [2]: والطَّريقُ في ذلك أَن نَعرِضَ البِدعةَ علَى قَواعِد الشَّريعة، فإذا دَخلَت في قَواعدِ الإيجابِ فَهي واجِبة، أَو في قَواعدِ التَّحريمِ فَهِي محرَّمة، أَو النَّدبِ فَمندُوبَة، أَو المكروهِ فمَكروهة، أَو المُباح فمُباحَة.

وذكَر لِكلِّ قِسمٍ مِن هذِه الخمسةِ أَمثِلةً، إلى أَن قال: وللبِدع المَندوبةِ أَمثِلةٌ، منها: إِحداثُ الرُّبَطِ والمدارس، وكلُّ إِحسانٍ لم يُعهَد في العَصرِ الأَوَّل، ومنها: التَّراويحُ، والكلامُ في دقائقِ التَّصوُّفِ وفي الجدَل، ومنها: جَمعُ المحافِل لِلاستِدلالِ في المَسائلِ إن قُصِدَ بذلك وَجهُ الله تَعالى.

ورَوى **البَيهقي** بإسنادِه في **(مناقب الشَّافعي)** عَن الشَّافعي قال: المُحدَثاتُ مِن الأُمور ضَربان: **أَحدُهُما**: ما أُحدِثَ ممَّا يخالفُ كِتابًا أَو سنَّةً أَو أَثرا أَو إِجماعا، فَهذِه البِدعةُ الضَّلالة، **والثَّاني:** ما أُحدِثَ مِن الخير لا خِلافَ فيه لواحدٍ مِن هذا، وهذِه محدَثةٌ غَيرُ مَذمومَة، وقَد قال **عمر** (رضي الله عنه) في قيامِ شَهرِ رَمضان:

=

بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية (بيروت).

(1) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (2/ 204 ـ 205) لابن عبد السَّلام.

(2) أي: ابن عبد السَّلام، والكلام للإمام النَّووي (رحمه الله تعالى).

نِعمَتِ البِدعَةُ هذِه، يَعني أَنَّها محدَثةٌ لم تكُن، وإذ كانت، فلَيس فيها ردٌّ لِما مضَىٰ، هذا آخِرُ كلامِ الشَّافعي [1].

فعُرِفَ بِذلك منعُ قَولِ الشَّيخ **تاج الدِّين:** «ولا جائزٌ أَن تكونَ مُباحًا»، إِلىٰ قَوله: «وهَذا الذي وَصفناه بِأَنَّه بِدعةٌ مكروهة... إِلىٰ آخِره»، لِأَنَّ هذا القِسمَ ممَّا أُحدِثَ وليسَ فيه مخالَفةٌ لكتابٍ ولا سنَّةٍ ولا أَثرٍ ولا إِجماع، فَهي غيرُ مَذمومَةٍ كما في عِبارةِ **الشَّافعي**، وهو مِن الإِحسانِ الذي لم يُعهَد في العَصرِ الأوَّل، فإِنَّ إِطعامَ الطَّعامِ الخالي عَن اقتِرافِ الآثامِ إِحسان، فَهو مِن البِدَع المَندوبةِ كما في عبارةِ **ابنِ عبد السَّلام**.

وقَوله: «والثَّاني... إِلىٰ آخِره»، هوَ كلامٌ صَحيحٌ في نَفسِه، غَيرَ أَنَّ التَّحريمَ فيه إِنَّما جاءَ مِن قِبَلِ هذِه الأَشياءِ المُحرَّمةِ التي ضُمَّت إِليه، لا مِن حَيثُ الإِجتماعُ

---

(1) بهذا الموضع انتهىٰ النَّقل مِن كتاب: تهذيب الأَسماء واللغات (3/ 22 ـ 23)، وأمَّا قَول الإمام الشَّافعي، فهو في: مناقب الشَّافعي (1/ 469) للبيهقي، قال سليم الهلالي في: البدعة وأثرها السيِّئ في الأمة (ص: 107، هامش رقم: 1): «فيه محمَّد بن موسىٰ الفضل، ولم أَجِد له تَرجمة»، طبعة دار ابن حزم، سنة 1421هـ/ 2000م، والأَثر أَخرجَه البيهقي في المدخل إِلىٰ السُّنن الكبرىٰ (1/ 206) عَن أَبي سعيد بن أَبي عَمرو، وهو نفسه محمَّد بن موسىٰ بن الفضل الصَّيرفي، أَحد الأئمَّة المشهورين، وراجع: الباعث علىٰ إنكار البدع والحوادث (ص: 22 ـ 24)، لأَبي شامة المقدسي، فصل في تقسيم الحوادِث إِلىٰ بدَع مستحسنة وإِلىٰ بِدع مستقبحة.

لِإظهارِ شِعارِ المَولد، بل ولَو وقَعَ مِثلُ هذِه الأُمور في الِاجتماع لِصَلاةِ الجمُعةِ مثَلا، لكانَت قَبيحةً شَنيعة، ولا يلزَم مِن ذلك ذَمُّ أَصلِ الِاجتماع لِصَلاةِ الجمُعة، كَما هو واضِح، وقَد رأَينا بعضَ هذِه الأُمور يقَعُ في لَيالٍ مِن رَمضان عِندَ اجتماع النَّاسِ لِصَلاةِ التَّراويح، فَهل يُتَصوَّرُ ذمُّ الِاجتماع لِصلاةِ التَّراويح لِأَجلِ هذِه الأُمور التي قُرِنَت بِها !؟ كلَّا، بل نقُول: أَصلُ الِاجتماع لِصَلاةِ التَّراويح سُنَّةٌ وقُربَة، وما ضُمَّ إِلَيها مِن هذِه الأُمور قَبيحٌ وشَنيع، وكذا نقُول: أَصلُ الِاجتماع لِإظهارِ شِعارِ المَولدِ مندُوبٌ وقُربَة، وما ضُمَّ إِليه مِن هذِه الأُمور مَذمومٌ ومَمنوع.

وقَوله: «معَ أَنَّ الشَّهر الذي ولد فيه... إِلىٰ آخِره»، جوابُه أَن يقال:

أَوَّلا: أنَّ ولادتَه ﷺ أَعظمُ النِّعمِ علَينا، ووَفاتَه أَعظمُ المصائبِ لنا، والشَّريعةُ حثَّت علَىٰ إِظهارِ شُكرِ النِّعمِ والصَّبر والسُّكونِ والكَتمِ عندَ المَصائِب، وقَد أَمرَ الشَّرعُ بِالعَقيقة عِندَ الوِلادة، وهي إِظهارُ شُكرٍ وفَرح بِالمولود، ولِم يأمُر عِندَ الموتِ بِذَبحٍ ولا بِغَيره، بل نَهىٰ عَن النِّياحةِ وإِظهارِ الجزَع، فدلَّت قَواعدُ الشَّريعة أَنَّه يُحسَنُ في هذا الشَّهرِ إِظهارُ الفَرح بِوِلادتِه ﷺ دونَ إِظهارِ الحزنِ فيه بِوَفاتِه.

وقَد قالَ **ابنُ رجَب** في كتاب **(اللَّطائِف)** في ذَمِّ الرَّافِضةِ حَيثُ اتَّخذوا يومَ عاشُوراءَ مَأتَمًا لِأَجلِ قَتلِ الحسين: «لِم يأمُر اللهُ ولا رَسولُه بِاتِّخاذِ أَيامِ مَصائِبِ الأَنبياءِ ومَوتِهِم مَأتما، فكَيفَ ممَّن هوَ دونَهم !؟» اهـ[1].

(1) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ص: 54) لابن رجب الحنبلي، دار ابن =

وقَد تكلَّم الإِمامُ **أَبو عبد الله ابنُ الحاج** في كتابِه (**المَدخَل**) علَىٰ عَملِ المَولد» [1].

وقَد جاءَ فيه بِما يَزيدُ علَىٰ الثَّلاثينَ صَفحة، بيَّن فيها ووضَّحَ أَعمالَ المولدِ بِما فيه مِن إِيجابِياتٍ وسلبيات، واشتَملَت هذِه الصَّفَحات علَىٰ فُصولٍ بيَّن فيها ما يقَع في المَولدِ مِن البَدائع والخرافاتِ التي انضَمَّت إِلىٰ الاِحتِفال بِالمولدِ النَّبويِّ، كما أَشارَ فيها إِلىٰ التَّنويه بِعَملِ المَولد.

قال [2] في (الصَّفحة: 29): «الوَجه الرَّابع: أَنَّه قَد شاءَ الحكيمُ سُبحانَه وتَعالىٰ أَنَّه (علَيه الصَّلاة والسَّلام) تَتشرَّفُ بِه الأَزمِنةُ والأَماكن، لا هو يتشَرَّفُ بِها، بل يحصُلُ للزَّمانِ والمكانِ الذي يُباشِرُه (علَيه الصَّلاة والسَّلام) الفَضيلةُ العُظمَىٰ، والمَزِيَّةُ علَىٰ ما سِواه مِن جِنسِه، إِلَّا ما استُثنِيَ مِن ذلك لِأَجلِ زِيادةِ الأَعمالِ فيها، وغَير ذلك، فلَو وُلدَ ﷺ في الأَوقاتِ المتقدِّمِ ذِكرُها لكانَ ظاهِرُه يُوهِم أَنَّه يتشَرَّفُ بِها، فَجعلَ الحكيمُ جلَّ جَلالُه مَولدَه ﷺ في غَيرها ليَظهرَ عَظيمُ عِنايته سُبحانَه وتَعالىٰ بِه وكَرامتُه علَيه، وقَد تقدَّم ما في قَوله (عليه الصَّلاةُ والسَّلام) للسَّائلِ الذي

=

حزم (بيروت)، ط/ 1، سنة 1424هـ/ 2004م.

(1) بهذا الموضع انتهىٰ كلام الإِمام السيوطي (رحمه الله تعالىٰ)، وراجع كلام ابن الحاج في المدخل (2/ 2 ـ 18)، طبعة دار التراث (مصر).

(2) أي: الإِمام ابن الحاج (رحمه الله تعالىٰ).

سأَله عَن صَومِ يَومِ الاثنَين، فقالَ ﷺ: ذلِك يومٌ وُلدتُ فيه [1]، ولَمَّا أَن صرَّحَ ﷺ بِقَوله في يَوم الاثنين: ذلِكَ يَومٌ وُلدتُ فيه، عُلِمَ بِذلك ما اختصَّ بِه يَومُ الاثنين مِن الفَضائل، وكذلِك الشَّهرُ الذي ظَهر فيه ﷺ، فإِن كان يَومُ الجُمُعةِ فيه ساعةٌ لا يُصادِفُها عَبدٌ مُسلِمٌ يَسأَلُ اللهَ تَعالىٰ شَيئًا إِلَّا أَعطاه إِيَّاه.

وقَد قالَ الإِمامُ **أَبو بكر الفِهري** المشهور بـ: **الطُّرطوشي** (رَحمه اللهُ تعالىٰ): مُعظَمُ العلماءِ والأَخيارِ أَنَّها بعدَ صلاةِ العَصرِ إِلىٰ غُروبِ الشَّمس.

وقوَّىٰ (رَحمهُ الله) ذلِك بِحَديثٍ، قال في كتابِه: رَواه **مسلم** في **(الصَّحيح)**، وذكَر فيه: أَنَّ **آدمَ** خُلِق بعدَ العَصرِ مِن يَومِ الجمعةِ في آخرِ ساعةٍ مِن ساعاتِ الجمعة، ما بينَ العَصرِ إِلىٰ اللَّيل. اهـ [2]، لأَنَّ **آدم** (علَيه الصَّلاةُ والسلام) هو ساكِنُ الدَّار، وهو المرادُ بِالخِطاب، إِذ إِنَّ الدَّارَ لا تُرادُ لِنفسِها، بل لِساكِنِها.

---

(1) رواه مسلم (1162) في الصِّيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام مِن كلِّ شهر، وصَوم يَومِ عَرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، والنسائي في الكبرىٰ (2790) في الصيام، صوم يوم الاثنين، وابن حبَّان في صحيحه (3642) في صوم التَّطوُّع، ذكر استِحباب صَومِ يومِ الاثنين، لأَنَّ فيه وُلدَ رسولُ الله ﷺ، وفيه أُنزِل عليه ابتِداءُ الوحي، وغَيرهم، مِن حديث أَبي قتادة الأنصاري (رضي الله تعالىٰ عنه).

(2) يشير إِلىٰ حديث أَبي هريرة (رضي الله تعالىٰ عنه) في ابتداء الخلق، وفيه: «وخلقَ آدمَ (عليه السَّلام) بعدَ العَصر مِن يَومِ الجمعة، في آخِر الخلق، في آخرِ ساعةٍ مِن ساعاتِ الجُمُعة، فيما بينَ العَصرِ إِلىٰ اللَّيل»، رواه مسلم (2789) في صفة القيامة والجنة والنَّار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم (عليه السَّلام).

قال [1]: وقَد كانَت **فاطِمةُ** (رضيَ اللهُ عنها) إذا صَلَّت العَصرَ مِن يَومِ الجمعة، تَستَقبِلُ القِبلةَ وتُقبِلُ علَى الذِّكرِ والدُّعاء، ولا تكلِّمُ أَحدًا حتَّى تَغرُبَ الشَّمس، وتقُول: إِنَّ السَّاعةَ المَذكورةَ هي في ذلك الوقت، وتُؤثِر ذلِك عن أَبيها ﷺ.

فإِذا كانَت تلك السَّاعة التي وُجِدَ فيها **آدم** (علَيه السَّلام) لا يُصادِفُها عَبدٌ مُسلِمٌ يَسأَلُ اللهَ تَعالَى فيها شَيئا إِلَّا أَعطاه إِيَّاه، فَلا شكَّ أَنَّ مَن صادَفَ السَّاعةَ التي ظَهرَ فيها (علَيه الصَّلاةُ والسَّلام) إِلَى الوُجود، وهو يَسأَلُ اللهَ تَعالَى شيئًا أَنه قَد نَجحَ سَعيُه، وظفِرَ بِمُرادِه، إِذ إِنَّ المعنَى الذي فضَّلَ اللهُ تعالَى بِه تِلك السَّاعة في يَومِ الجمُعةِ هوَ خلقُ **آدمَ** (علَيه السَّلام)، فَما بالُك بِالسَّاعةِ التي وُلدَ فيها سيِّدُ الأَوَّلين والآخِرين ﷺ !؟

قال (عليه الصَّلاةُ والسَّلام): أَنا سيِّدُ بني آدمَ ولا فَخر [2].

وقال (عليه الصَّلاةُ والسَّلام): آدم ومَن دونَه تحتَ لِوائي. اهـ [3].

---

(1) أَي: الإِمام الطُّرطوشي (رحمه الله تعالَى).

(2) رواه بهذا اللَّفظ الحاكم في المستدرك (4189)، والطَّبراني في الأَوسط (5082)، مِن حديث جابر بن عبد الله (رضي الله تعالَى عنهما)، والبيهقي في الشُّعب (1408)، مِن حديث ابن عباس (رضي الله تعالَى عنهما)، وغيرهم، وأَخرجَه بِنَحوه مسلم (2278) في الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، عَن أَبي هريرة (رضي الله تعالَى عنه).

(3) رواه أَحمد في المسند (2546)، والبيهقي في الشُّعب (1408)، مِن حديث ابن عباس (رضي الله تعالَى عنهما)، ورواه الترمذي (3615) في المناقب، مِن حديث أَبي سعيد (رضي الله =

ووَجهٌ آخَر: أنَّ يومَ الجمُعةِ فيه أُهبِطَ **آدمُ**، وفيه تقُومُ السَّاعة[1]، ويَومُ الاثنين خَيرٌ كلُّه، وأَمنٌ كلُّه، فلِله الحمدُ والمِنَّة.

فإن قال قائِلٌ: قَد خُصَّ يومُ الجمُعةِ بِصَلاةِ الجمُعةِ والخطبةِ وغَير ذلك ممَّا هو مختَصٌّ بِه ؟

فالجوابُ ما تقدَّم مِن أَنَّه ﷺ ما يخصُّه في نفسِه الكَريمة يخفِّفُ فيه الأَمرَ عَن أُمَّتِه، فَلا يكلِّفهُم فيه زِيادةَ عَمل، لِأَنَّ المَولَى سُبحانَه تَعالى لَمَّا أَن أَخرجَه إِلى الوُجود في هَذا اليومِ المُعيَّن لم يكلِّف الأُمَّةَ فيه زِيادةَ عَمل، إِكرامًا لِنَبِيِّه ﷺ بِالتَّخفيفِ عَن أُمَّتِه، بِسَببِ عِناية وُجوده فيه، قال اللهُ سُبحانَه وتَعالى في مُحكمِ التَّنزيل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأَنبياء: 106)، فَهو (علَيه الصَّلاة والسَّلام) رَحمةٌ للعالمين عُموما، ولأُمَّتِه خُصوصًا، ومِن جُملةِ ذلِك عَدمُ التَّكليفِ ـ كما تقدَّم ـ» اهـ[2].

وللأُستاذِ الشَّيخ **محمَّد فهمي** تحتَ عنوان: (**مَولد الرَّسولِ الكَريم، طَورٌ**

=

تعالى عنه).

(1) لعلَّه يشير إلى حديث أَبي هريرة (رضي الله تعالى عنه) أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «خَيرُ يَومٍ طلَعت علَيه الشَّمسُ يَوم الجمُعة، فيه خُلِق آدم، وفيه أُدخِلَ الجنَّة، وفيه أُخرِجَ منها، ولا تقومُ السَّاعة إِلَّا في يَومِ الجمعة»، رواه مسلم (854)، باب فضل يوم الجمعة، والترمذي (488) في أبواب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة.

(2) انظر: المدخل (2/ 29 ـ 30) لأبي عبد الله ابن الحاج، دار التُّراث.

جَديدٌ في حَياةِ الإنسانية) بعدَ كلامٍ حذَفناه اختِصارا: «والاحتِفالُ بِالمولدِ النَّبويِّ الشَّريفِ كما قال **السَّخاوي** في **(تاريخه)** [1] بِدعةٌ حَسنة لم يفعَله أَحدٌ مِن السَّلَفِ في القُرونِ الثَّلاثة الأُولى مِن الهِجرة، وإِنَّما حَدثَ بعدَ ذلِك، ولم يزَل أَهلُ الإِسلامِ في سائرِ الأَقطارِ يَعملُون بِالمولدِ وتَظهَر علَيهِم بَركاتُه، وأَثنَى الشَّيخُ **أَبو شامةَ** [2] علَى عَملِ المَولدِ النَّبويِّ، وقال: ما أَحسنَ ما ابتُدع في زَمانِنا ممَّا يُفعلُ كلَّ عامٍ في اليومِ المُوافقِ لمولدِه ﷺ مِن الصَّدَقاتِ والمعروفِ وإِظهارِ الزِّينة والسُّرور، فإِنَّ ذلك معَ ما فيه مِن الإِحسانِ لِلفُقراءِ شعُور بِمَحبَّته ﷺ وتَعظيمه، وشكرا لله تعالى علَى ما منَّ بِه مِن إِيجادِ رَسولِ الله ﷺ.

والفاطميُّون في **مِصر** هُم الذين ابتدَعوا الاحتِفالَ بِالمولدِ النَّبويِّ الشَّريف، كما ابتدَعوا الِاحتفالَ بِمَولدِ الإِمام **علي**، ومَولدِ **الحسين**، ومَولدِ **الزَّهراء**، وعنهم ذاعَ ذلك في أَقطارِ العالمِ الإِسلامي، ولقَد عَني النَّاسُ بِمَظاهِر الاحتفال بِالمولدِ النَّبويِّ حتَّى أَصبحَ مَوسما إِسلاميًّا، حافِلا بِالمباهج والمسرَّاتِ مِن كلِّ عام.

وممَّا يذكر عَن المِلك **مظفّر الدِّين** (صاحب **إِربِل**) أَنه كان يحتفِلُ بِالمولدِ

---

(1) انظر: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون [السِّيرة الحلبية] (1/ 123) لأَبي الفرج نور الدين الحلبي، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط/ 2، سنة 1427هـ.

(2) انظر: الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص: 23 ـ 24) لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدِّمشقي، المعروف بـ: أبي شامة، المتوفَّى سنة 665هـ، تحقيق: عثمان أحمد عنبر، دار الهدى (القاهرة)، ط/ 1، سنة 1398هـ/ 1978م.

النَّبويِّ الشَّريفِ في كلِّ عامٍ احتِفالا لا يحيطُ بِه الوَصف، ويصنَع في ذلِك صَنيعًا يَعمُّ العبادَ والبِلاد، إذ كان أَهلُ البِلادِ القَريبة مِن **إربل**، مِثل: **بغداد**، و**الموصل**، و**الجزيرة**، و**سَخا**، و**نَصِيبين**، وبِلاد العجَم، يخرجُون في مَواكِب، يتقدَّمهُم العُظماءُ والصُّوفيةُ والوُعَّاظ والغُزاةُ والشُّعراء، ولا يَزالون يتَواصَلون مِن أوَّلِ المحرَّم مِن كلِّ عامٍ، إلى أَوائل شَهرِ رَبيع الأوَّل إلى أَن قالوا: علَى هَذا صارَ المولدُ مَوسِمًا إسلاميًّا، لَه تَقاليدُه ومَظاهِرُه وشَعائِرُه الخاصَّة في المُجتَمع الإسلامي، حتَّى في الطَّعامِ والشَّرابِ وصُنع الحلوَى، والغايةُ أَن تكونَ هذِه المَواسِمُ مُناسبةً يَستَمِدُّونَ مِنها القُدوةَ في سلُوكهِم والقُدوةَ في حَياتهِم.

وللشَّيخ **المختار الكُنتي**[1] مَوضوعٌ طَويلٌ في كتابِه: (**نُزهة الرَّاوي وبُغية**

---

(1) هو المختار (الكبير) بن أحمد بن أَبي بكر الكنتي الفِهري: مجدِّد القرن الثاني عشر، ولد بشمال دولة مالي سنة 1142هـ/ 1730م، ونشأ بين أحضان علماء المنطقة، إلى أن صار مقصد الطلَّاب من كلِّ أقطار الصَّحراء الكبرى، وكثر أتباعه، فَخضع لعلمه الأُمراء والحكَّام، توزَّع أحفاده من بعده على أَقطار الدُّول المجاورة، وسار أَغلبهم على نهجه في العلم والتَّقوى، ومِن أَشهَر أَحفادِه في العَصرِ الحديث شيخنا المحدِّث الشَّيخ محمَّد بن الحاج عابدين بن محمَّد البكاي (حفِظه الله تعالى)، توفي الشَّيخ المختار سنة 1226هـ/ 1811م، تاركًا آثارا جليلة، منها: الأَجوِبة المهِمَّة لمن له بِأَمر الدِّين همَّة، فتح الودود في شرح المقصور الممدود، الكوكب الوقَّاد في فضل ذِكر المشايخ وحقائق الأَوراد، كشف النِّقاب على فاتحة الكتاب، بلوغ الوسع في شرح الآيات التِّسع، نفح الطِّيب في الصَّلاة على النبيِّ الحبيب، وغير ذلك مما هو مطبوع وغير مطبوع، انظر ترجمة بتوسُع في =

الحاوي)، تكلَّم فيه علَىٰ عَملِ المَولدِ وما واكبَه مِن الأَحداث، وذكَر ما في يومِ مَولدِه مِن الخِلاف، وساقَ أَحاديثَ وآثارا تَتعلَّقُ بِالمولد، وذكرَ ما في ذلك اليومِ مِن الأَسرار والفَوائد، وملخَّصُ ما قالَه بعدَ كلامٍ طَويل: «فعمَلُ المَولدِ علَىٰ كلِّ وَجهٍ بِدعة، فإذا جيءَ بِها علَىٰ وَجهِ الاِقتِصاد، وعُمِلَت بِالتُّقَىٰ والسَّداد، فَهِيَ بِدعةٌ حسَنة، يُثابُ فاعِلُها، ولا يتركُها إِلَّا مُنافِقٌ مُعانِد، أَو كافِرٌ جاحِد، أَو جاهِلٌ عَن السَّبيلِ حائِد، وإِن جِيءَ بِه علَىٰ وَجهٍ يُخالِفُ قَوانينَ الشَّريعة، فَهي بِدعةٌ قَبِيحة، يأثمُ فاعِلُها، ويُزجَر عنها مُحاوِلُها، فذلِك حيثُ يجتَمع فيها النِّساءُ والرِّجال، أَو تكونُ بِالآلاتِ المُحرَّمةِ والأَفعالِ المُستَقبحَة، كَما يفعلُه بعضُ القُرىٰ ومَن لا اعتِناءَ له بِاتِّباع السنَّةِ واقتِفاءِ آثارِ صالح الأُمَّة» اهـ منه باختِصار [1].

وقَد تكلَّم الشَّيخُ **المختار الكَبير** في نَفسِ هذا الكتابِ نَقلا عَن **القسطلاني** [2]

=

كتاب: الطَّرائف والتَّلائد في كرامات الشَّيخَين الوالدة والوالد، لنَجله الشَّيخ محمَّد بن المختار، والوسيط في تراجم أُدباء شنقيط (ص: 361) تأليف أَحمد بن الأَمين الشنقيطي، مطبعة المدني (القاهرة)، ط/ 4، سنة 1409هـ/ 1989م.

(1) نزهة الرَّاوي وبغية الحاوي (1/ 57 ـ 58) للشَّيخ المختار الكنتي، قرأه وقدَّم له: يحيىٰ ولد سيد أَحمد، دار المعرفة (الجزائر)، طبع في إطار المهرجان الإفريقي الثاني، سنة 2009م.

(2) انظر: المواهب اللَّدُنية بِالمِنَح الرَّبانيَّة (1/ 88) للقسطلاني، المكتبة التَّوفيقية (القاهرة)، وراجع شرح الزرقاني علىٰ المواهب، فإِنَّه أَتمَّ المقصدَ ووفَّاه حقَّه، وأحسن منه كتاب العلَّامة الخطيب أبي عبد الله محمَّد بن محمَّد ابن مرزوق التِّلمساني، الموسوم بـ: جنىٰ الجنَّتين وفضل اللَّيلتَين، فإِنَّه عقَد مفاضلةً بين ليلة القدر وليلة المولد، خلُص فيها إِلىٰ

=

[عَن] مَسأَلةِ المُقارَنة بينَ ليلةِ القَدرِ وليلةِ المَولد، فقال: «إن قُلنا بِولادتِه ﷺ لَيلا، فأَيُّهما أَفضَل، لَيلة القَدرِ أَو لَيلة مَولدِه ﷺ ؟ أُجيبُ بِأَنَّ ليلةَ مَولدِه ﷺ أَفضلُ مِن لَيلةِ القَدرِ مِن وُجوه ثَلاثة:

أَحدها: أَنَّ لَيلةَ المَولدِ ليلةُ ظُهوره ﷺ، وليلةَ القَدرِ مُعطاة لَه، وما شَرُفَ بِظهور ذاتِ المشرَّفِ أَشرفُ ممَّا شَرُفَ بِسَببِ ما أُعطيَه، فكانَت ليلةُ المَولدِ بهذا الاِعتبارِ أَفضلَ بِغَير نِزاع.

الثَّاني: أَنَّ لَيلةَ القَدرِ شَرُفَت بِنُزولِ المَلائِكة فيها، ولَيلةَ المَولدِ شَرُفَت بِظُهوره ﷺ، ومَن شَرُفَت بِه لَيلة المَولدِ أَشرَفُ ممَّن شَرُفَت بِه لَيلة القَدر، علَىٰ الأَصَحِّ المُرتضَىٰ، فتكُونُ ليلة المَولدِ أَفضَل.

الثَّالث: أَنَّ ليلةَ القَدرِ وقَعَ التَّفضيلُ [1] فيها علَىٰ أُمَّة **محمَّدٍ** ﷺ، وليلة المَولدِ

= تفضيل ليلة المولد، وساق أَدِلَّة بعضها يسلَّم له فيها، والباقي للنَّظر فيها مجال، وقَد وقفنا منذ زمنٍ بعيد علىٰ نُسختين من هذا الكتاب، فقُمنا بتحقيقه وخدمتِه، معتَمدين في ذلك علىٰ تلك النُّسختَين، وعندما أَشرفنا علىٰ إنهائه، أَفادنا بعض الأَساتذة الأَفاضل بثلاث نُسخ أُخرىٰ عن الكتاب، فكان ذلك سببا في التوقُّف عَن تَكميل المشروع، إذ كلُّ مَن يُقدِّر الجهدَ الذي يبذُله المحقِّق في دراسة النُّسخ وتَرتيبها، ويعلَم ما يقاسيه مِن مُعاناة في عَملية المقابلة بينَها، يُدرِك حتما سببَ هذا التَّراجع الذي يشلُّ مِن حَركته ونشاطِه، ثمَّ في هذه المدَّة الأَخيرة وَصلتنا أَنباء طبعه ونَشره، فالحمدُ لله الذي بِنعمتِه تتِمُّ الصَّالحات.

(1) كذا في النُّسختَين المعتمدتَين، وفي نزهة الراوي (1/ 57): «التفضُّل»، في الموضِعَين، ولعلَّه =

الشَّريفِ وَقعَ التَّفضيلُ فيها علَىٰ سائرِ المَوجودات، فَهو الذي بعثَه الله عزَّ وجلَّ رَحمةً لِلعالمين، فعَمَّت بِه النِّعَمُ علَىٰ سائرِ المَخلوقات، فكانَت لَيلةُ المَولدِ أَعمَّ نَفعًا، فَوجَبَ أَن تكونَ أَفضَل» (1).

وقَد تَعرَّضَ لِنفسِ الموضوع الشَّيخ **هاشِم الرِّفاعي** في كتابِه: (**الرَّدّ المحكَم**)، وعقَّب علَيه بِقَوله: «وهذا اجتهادٌ مِن القائلِ منسوبٌ إِليه ومحسوبٌ عليه، لم يقُل فيه: قالَ الله، ولا قال رَسول الله، وإِنَّما اجتَهدَ بِرأيِه، وعلَّل ذلِكَ بِحَيثياتٍ مُتعدِّدة، واستَندَ فيه إِلىٰ ما يُبرِّر رأيَه، وهذا يَحتمِل الخطأَ والصَّواب، والصِّحَّةَ والبُطلان، ولا أَكثَر مِن ذلك، ونَحنُ نَعتقِدُ اعتِقادًا جازِمًا [لا شكَّ فيه ولا رَيب] أَنَّ ليلةَ القَدرِ أَفضلُ اللَّيالي علَىٰ الإِطلاق، لقَوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾... إِلخ السُّورة (القدر: 1 ـ 5)» (2).

وقَد جاءَ في مَوضوع النَّدوة التي انعقدَت بينَ علَماءِ القاهِرة في مَوضوع الاحتِفال بِالمَولدِ النَّبويِّ في العَقدِ التَّاسع مِن القَرنِ الماضي، قال بعضُ المتدخِّلين بعدَ أَن جَلبَ كلامَ **السُّيوطي** المتقدِّم و**ابنِ الحاج** في (**المدخَل**): «أَمَّا **ابنُ حَجر**

=

هو الصَّواب، والله تعالىٰ أعلم.

(1) نزهة الرَّاوي وبغية الحاوي (1/ 57) للشَّيخ المختار الكنتي.

(2) الرَّدُّ المحكم المنيع علىٰ منكرات وشبهات ابن منيع (ص: 103) للشَّيخ يوسف السيد هاشم الرِّفاعي.

العسقلاني فقَد قال: وإن كانَت بِدعةً ولم تَحدُث في القُرونِ الثَّلاثة الأُولَىٰ، إلَّا أَنَّها معَ ذلِكَ اشتَملَت علَىٰ مَحاسِن ومَساوي، فَمَن جرَّدَها مِن المساوي فهِيَ بِدعةٌ حَسنَة، ومَن لم يجرِّدها مِن المساوي فهِيَ بِدعةٌ سيِّئة.

والإمام **الغَزالي** في (**الإحياء**) قال: (**في آداب الأكل**)[1]: إنَّ البِدعةَ المذمومةَ هي البِدعة التي لا تضادَّ سنَّةً، أَو التي تَرفَع حكما مِن الشَّرع بقيت عِلَّته، لكن البِدعة التي لا تضادَّ سنَّة، ولا تَرفَع حكما مِن الشَّرع، هي بِدعة حسَنة، وقَد ابتدعَ الصَّحابةُ والتَّابِعون بِدَعًا كثيرة، وقالَ **عمر بن الخطَّاب** في التَّراويح: نِعمَت البِدعة، معَ أَنَّها لم تكُن في زَمنِ الرَّسول ﷺ، وقَد أَكلَ النَّاسُ علىٰ الموائِد، وأَكلوا بِالملاعق والفوط، وكلُّها بِدَع، ولم يَستَنكِرها العلماء، وما رآه المسلِمونَ حَسنا، فهوَ حَسن، هذا كلامُ الإمامِ **الغَزالي**.

بَقيت كلِمة صَغيرة مِن عالمٍ كلُّنا نَعرِفُه، وهو **رِفاعة الطَّهطاوي**، مؤَلِّف كتاب: (**نهاية الإيجاز في سيرة ساكنِ الحِجاز**)، فقَد قال فيه: إنَّ البِدَع تَنقسِم إلىٰ أَقسام: منها الواجب، ومنها المندوب، ومنها المُباح، ومنها المكروه، ومنها الحرام، وأَنا أَرىٰ في المَولدِ النَّبويِّ أَنه مِن قَبيل البِدعةِ الحسنَة، فإنَّه إظهارٌ للسُّرور

---

(1) انظر: إحياء علوم الدِّين (2/ 3) لأَبي حامد الغَزالي، الباب الأول فيما لابد للمنفرد منه، دار المعرفة (بيروت)، قال الإمام الزَّبيدي في إتحاف السَّادة (4/ 510): «البدعة المذمومة: ما تصادم ـ أَىْ: تعارض ـ السُّنة القَديمة أو تكاد تفضي الىٰ تغيِيرها، وقَد قالوا: إنَّ البِدعةَ المباحة: هو ما شهِدَ بِحُسنِه أَصلٌ فىٰ الشَّرع أَو اقتضَته مَصلحة تَندَفعُ بها مَفسَدة».

بِنعمةِ ظُهور سيِّدِ العالمين، وهذا في نظَري هو الرأيُ المستَقيم، والله الموفِّق والمُعين.

وكذلك قال الإمامُ **الجزري**[1]: إنَّ البِدعةَ لا تسمَّىٰ بِدعة سيِّئة، إلَّا إذا أَرغَمت السُّنة، فإذا لم تُراغِم السُّنة، فإنَّها لا تكونُ بِدعة سيِّئة، ولماذا تكونُ بِدعة سيِّئة وهيَ بِدعة حَسنَة، ولذلِك فأَنا أَرىٰ أنَّ المولدَ بِدعةٌ حَسنة».

وقال بعضُ المتدخِّلين ـ وهو الأُستاذ عبد ال**رَّحيم فودَه**[2] ـ: «أَكاد أُحِسُّ أَنَّ الاحتِفالَ بِالنَّبيِّ ﷺ كان قبلَ أَن يُوجَدَ النبيُّ ﷺ، وهذا الإِحساسُ نَستلهِمُه مِن القرآنِ نفسه، فقَد وردَ علىٰ لسانِ **عيسى**: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرِىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ (الصَّف: 6)، فالتَّبشيرُ بِمحمَّد ﷺ قبلَ أَن يُوجَد محمَّد ﷺ قَد يكونُ نَوعًا مِن أَنواع الحفاوَةِ بِه والإِهتمامِ بِأَمرِه، وقَد وَردَ في القرآنِ أَيضا قَوله تَعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

---

(1) هو مجد الدِّين أَبو السَّعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير (المتوفَّى سنة 606هـ)، راجع كلامه في: النِّهاية في غريب الحديث والأثر (1/ 106 ـ 107) له، وجامع الأُصول (1/ 278) له أيضا.

(2) الشَّيخ عبد الرَّحيم فودة: عالم وكاتب أَزهري، عملَ مديرا لـ: مجلة الأَزهر، مِن مؤلَّفاتِه: الإِشتراكية العربية في ضَوء الإِسلام.

ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلأُمِّيَّ ٱلذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرِيٰةِ وَالإِنجِيلِ يَامُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهيٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والاَغْلَٰلَ ٱلتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: 156 ـ 157)».

قلت: وقَد ألَّف الشَّيخ **محمَّد بن علوي المالكي الحسني** تأليفًا: **حَولَ الاحتِفالِ بِذكرى المولدِ الشَّريف**[1]، واستَدلَّ على جَوازه بما يزيدُ على عِشرينَ دليلا، وأَنا أَستَخلِصُ مِنها ما يلي:

[1] فَفي **الدَّليل الأوَّل**: قال: «إِنَّ الاحتِفالَ بِالمولدِ النَّبويِّ الشَّريفِ تَعبيرٌ عَن الفَرح والسُّرور بِالْمُصطفَىٰ ﷺ»، وساقَ ما جاءَ في **البخاري**: أَنَّه يخفَّف عَن أَبي لَهبٍ كلّ يَومِ اثنَين بِسَببِ عتقِه لثويبة جاريته لَمَّا بشَّرتهُ بِالْمُصطفَىٰ ﷺ[2]،

---

(1) حول الاِحتفال بذكرىٰ المولد النَّبويِّ الشَّريف: تأليف الشَّيخ السيِّد محمَّد بن علوي المالكي الحسني، المكتبة العصريَّة (بيروت)، سنة 1431هـ/ 2010م.

(2) رواه البخاري (5101) في النكاح، باب ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النساء: 23]، مُرسلا من قول عروة، وللحافظ ابن حجر هنا كلام سَديد ننقلُه علىٰ طوله، قال (رحمه الله تعالىٰ) في الفتح (9/ 145 ـ 146): «وفي الحديثِ دلالةٌ علىٰ أنَّ الكافرَ قَد ينفعُه العملُ الصَّالح في الآخِرة، لكِنَّه مخالِفٌ لظاهِر القرآن، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُوراً ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: 23]، وأُجيب أوَّلا بِأَنَّ الخبرَ مُرسلٌ، أَرسلَه =

وذكَر رُواةُ القِصَّة ـ مِثل: **البخاري**، والحافِظ **ابن حجر**، **والصَّنعاني**، **وابن كثير**، **وابن الدَّيبع**، **والبغوي**، **وابن هِشام**، **والسُّهيلي**، **والعامِري**، **والبَيهقي** [1].

=

عروةَ ولم يذكُر مَن حدَّثه بِه، وعلَىٰ تَقدير أَن يكونَ مَوصولا، فالَّذي في الخبَر رؤيا مَنام، فَلا حجَّةَ فيه، ولعلَّ الذي رآها لم يكُن إِذ ذاك أَسلَم بعدُ، فَلا يحتجُّ بِه، وثانيا: علىٰ تَقدير القبول، فيُحتمل أَن يكونَ ما يتَعلَّق بِالنَّبيِّ ﷺ مخصوصًا مِن ذلك، بِدليل قِصَّةِ أَبي طالب ـ كما تقدَّم ـ أَنَّه خُفِّف عنه، فنُقِل مِن الغَمراتِ إِلىٰ الضَّحضاح، وقال البيهقي: ما وردَ مِن بُطلانِ الخير للكفَّار، فمَعناه أَنَّهم لا يكونُ لهم التَّخلُّص مِن النَّار ولا دُخول الجنَّة، ويجوزُ أَن يخفَّفَ عنهُم مِن العذابِ الذي يَستَوجِبونَه علَىٰ ما ارتكَبوه مِن الجرائم سِوَىٰ الكُفر بِما عَمِلوه مِن الخيرات، وأَمَّا عياض فقال: انعقَد الإِجماعُ علَىٰ أَنَّ الكفَّارَ لا تَنفَعهُم أَعمالهم، ولا يثابون علَيها بِنَعيمٍ ولا تخفيف عَذاب، وإِن كان بعضُهم أَشدّ عَذابًا مِن بعض، قلتُ: وهَذا لا يردُّ الِاحتمالَ الذي ذكَره البيهقي، فإِنَّ جَميعَ ما وَردَ مِن ذلك فيما يتَعلَّق بِذَنبِ الكفر، وأَمَّا ذَنب غَير الكفر، فَما المانع مِن تَخفيفه !؟ وقال القرطبي: هذا التَّخفيفُ خاصٌّ بهذا، وبِمَن وَرد النَّصُّ فيه، وقال ابن المنير في (الحاشية): هنا قَضيتان: إِحداهما مُحال، وهي اعتبارُ طاعةِ الكافرِ معَ كفرِه، لأَنَّ شرطَ الطَّاعةِ أَن تقَع بِقَصدٍ صَحيح، وهذا مفقُودٌ مِن الكافر، الثَّانية إِثابة الكافرِ علَىٰ بَعضِ الأَعمالِ تفضُّلا مِن الله تعالىٰ، وهذا لا يُحيلُه العقل، فإِذا تقرَّر ذلك، لم يكُن عتق أَبي لَهب لِثُويبة قُربةً مُعتَبرة، ويجوزُ أَن يتفَضَّلَ اللهُ علَيه بِما شاء، كما تفضَّل علَىٰ أَبي طالب، والمتَّبعُ في ذلك التَّوقيف، نَفيًا وإِثباتا، قلتُ: وتَتمَّة هذا أَن يقَع التفضُّلُ المذكُور إِكرامًا لمن وقَع مِن الكافرِ البرِّ له، ونَحو ذلك، والله أَعلَم».

(1) انظر: حول المولد بذكرىٰ المولد النَّبويّ الشَّريف (ص: 22 ـ 24) للشَّيخ علوي المالكي.

[2] وفي **الدَّليل الثَّاني**: استَدلَّ علَيه بِحَديثِ **مسلم** عَن **أَبي قتادة** أَنَّ الرَّسولَ ﷺ سُئِلَ [عَن صَومِ][1] يَومِ الاثنين، فقال: «فيه وُلدت، وفيه أُنزِلَ عليَّ»[2]، ثمَّ قال: «وهذا في معنَىٰ الِاحتِفال بِه، إِلَّا أَنَّ الصُّورةَ مختلِفة، ولكنَّ المعنَىٰ مَوجود، سَواء بِصيامٍ أَو إِطعامِ طَعامٍ أَو [اجتماع] علَىٰ ذِكر أَو صلاةٍ علَىٰ النَّبيِّ ﷺ»[3].

[3] وفي **الدَّليلِ الثَّالث**[4]: استدلَّ بِالآيةِ مِن سُورة يونس: ﴿فُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ (يونس: 58)، وبقَوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: 106).

[4] وفي **الدَّليلِ الرَّابع**: استَدلَّ بِاحتِفالِ اليَهود بِيَومِ عاشُوراءَ الذي نجَّىٰ اللهُ فيه **موسى** وأَغرقَ **فِرعَون**، وأَنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا وَصلَ **المدينةَ** ورأَىٰ اليهودَ يصُومونَ يَومَ عاشُوراء، سأَل عَن ذلك، فَقيل لَه: إِنَّهم يَصومونَه لِأَنَّ اللهَ نجَّىٰ

---

(1) زيادة سقَطت مِن الأَصل، وأَثبتناها من المصدر.

(2) رواه مسلم (1162) في الصِّيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام مِن كلِّ شهر، وصَوم يَومِ عَرفة وعاشوراء والاثنين والخميس.

(3) حول المولد (ص: 24)، وما بين المعقوفتَين زيادة سقطت من الأَصل وأثبتناها من المصدر.

(4) يُستحسَن هنا سَوق ما ذكره صاحب: حول المولد (ص: 25) لبيان وتوضيح مقصوده، قال: «ويؤيِّد هذا تفسير حبر الأُمة وتُرجمان القرآن الإِمام ابن عباس (رضي الله عنهما)، فقد روىٰ أَبو الشَّيخ عنه (رضي الله عنهما) في الآية قال: ﴿فضل الله﴾: العلم، و﴿رحمته﴾: محمَّد ﷺ، فالفَرحُ بِه مطلوبٌ في كلِّ وقتٍ، وفي كلِّ نِعمة، وعِندَ كلِّ فضل، ولكِنَّه يتأَكَّد في كلِّ يَوم الاثنين، وفي كلِّ شَهر الرَّبيع، لقوَّة المناسبة ومُلاحظة الوقت».

نَبِيَّهم وأَغرقَ عَدوَّهُم، فهُم يَصومُونَه شُكرًا لله علَىٰ هذِه النِّعمة، فقال ﷺ: «نحنُ أَولَىٰ بِمُوسىٰ مِنكُم»، فَصامَه، وأَمرَ بِصيامِه [1].

[5] وفي **الدَّليل الخامِس**: ذكَر أَنَّ المَولدَ الشَّريفَ يَبعثُ علَىٰ الصَّلاةِ والسَّلامِ المَطلُوبَين، لِقَوله تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ (الأحزاب:56).

وقال: «وما كان يَبعَثُ علَىٰ المَطلوبِ شَرعًا، فَهو مَطلُوبٌ شَرعا» [2].

[6] وفي **الدَّليل السَّادس**: ذكَر أَنَّ المَولدَ الشَّريفَ يَشتَمِلُ علَىٰ ذِكرِ مَولدِه الشَّريف ومُعجِزاتِه وسيرتِه والتَّعريفِ بِه، وكتُبُ المَولدِ تؤَدِّي إِلىٰ هذا المعنَىٰ، لأَنَّنا مأمُورونَ بِمَعرِفتِه، ومُطالَبون بِالاِقتِداءِ بِه والتأَسِّي بِأَعمالِه ﷺ ؟.

[7] و[ذكرَ] [3] في **الدَّليلِ السَّابع**: أَنَّ الشُّعراءَ كانوا يفِدونَ إِليه ﷺ بِالقَصائِد، ويَرضَى عَملَهم ويجزيهِم علَىٰ ذلك بِالطيِّباتِ والصِّلات، فإِذا كان يَرضَى عمَّن مدَحَه، فكَيف لا يَرضَى عمَّن جَمعَ شَمائِلَه الشَّريفة !؟ لِأَنَّها تَجلبُ مَحبَّته ورضاه.

---

(1) رواه البخاري (3943) في المناقب، باب إتيان اليهود النبيَّ ﷺ، حين قدِمَ المدينة، ومسلم (1130) في الصِّيام، باب صوم يوم عاشوراء، وأبو دود (2444) في الصَّوم، باب في صوم يوم عاشوراء، وغيرهم، مِن حديث ابن عباس (رضي الله تعالىٰ عنهما).

(2) حول المولد (ص: 26).

(3) ما بين المعقوفتَين زيادة تخدُم النَّصَّ.

[8] وذكَر في **الدَّليلِ الثَّامن**: «أَنَّ مَعرِفةَ شَمائِله ومُعجِزاتِه وإِرهاصاتِه تَستَدعي كَمالَ الإِيمانِ بِه (عليه الصَّلاةُ والسَّلام) وزيادة المَحبَّة»، إِلى أَن قال: «وزيادةُ المَحبَّةِ وكَمالُ الإِيمانِ مَطلوبان شَرعا، فَما كان يَستَدعيهما مطلوبٌ كذلِك» (1).

[9] وفي **الدَّليل التَّاسع**: ذكَر «أَنَّ تَعظيمَه ﷺ مَشروع، والفَرحَ بِيَومِ وِلادهِ الشَّريفِ بِإِظهارِ السُّرور وصُنع الوَلائم، والإِجتماع للذِّكر، وإِكرامِ الفُقراء، مِن أَظهَرِ مَظاهِر التَّعظيمِ والإِبتهاج والفَرح والشُّكرِ لله تَعالى، بِما هَدانا لِدينه القَويم، وما مَنَّ بِه علَينا مِن بَعثِه لنا (علَيه الصَّلاةُ والتَّسليم)» (2).

[10] وفي **الدَّليل العاشِر**: قال: «يؤْخَذُ مِن قَوله ﷺ في فَضلِ يَومِ الجمُعة وعَدِّ مَزاياه: (وفيه خُلِق **آدم**)، تَشريف الزَّمانِ الذي ثَبتَ أَنه ميلادٌ لأَيِّ نَبيٍّ كانَ مِن الأَنبياءِ (عليهم السَّلام)، فكيفَ بِاليَومِ الذي وُلدَ فيه أَفضلُ النَّبيِّين وأَشرفُ المُرسَلين (علَيه الصَّلاة والسَّلام) !؟» (3).

ثمَّ بعدَ ذلك ذكَر تَعظيمَ المكانِ الذي ولد فيه نبيّ، مِن أَمرِ **جِبريل** (علَيه السَّلام) النَّبيَّ ﷺ بِصَلاةِ رَكعتَين بِبَيتِ لَحم، ثمَّ قال لَه: أَتدري أَينَ صلَّيتَ ؟

---

(1) حول المولد (ص: 27 ـ 28).

(2) حول المولد (ص: 28 ـ 29).

(3) حول المولد (ص: 27 ـ 28).

قال: لا، قال: صلَّيتَ بِبَيتِ لَحمٍ حَيثُ وُلد **عيسى**» [1]، (علَيه وعلَىٰ نَبيِّنا الصَّلاةُ والسَّلام).

ثم قال: «وقَد نقلَ هذه الرِّواية الحافِظ **ابن حجر** في **(الفتح)**، ج/ 7 (ص: 199)، وسكتَ عنها» [2].

---

(1) قال الشَّيخ علَوي في كتابِه (ص: 29): «رواه البزَّار وأَبو يعلىٰ والطَّبراني، مِن حديث شدَّاد بن أَوس (رضي الله تعالىٰ عنه)»، قلت: رواه البزار في مسنده (3484)، والطبراني في المعجم الكبير (7143)، وقال الهيثمي في مجمع الزَّوائد (1/ 74): «وفيه إِسحاق بن إبراهيم بن العلاء، وثَّقه يحيىٰ بن معين، وضعَّفه النَّسائي».

(2) مِن المسائل الحديثية التي شغلَت أذهان المحقِّقين قديما وحديثا: سكوت الحافظ ابن حجر عَن بيان درجة الحديث بعد إِيراده، هل يعدُّ تحسينا له، أَو إِشارة منه إِلىٰ تقويَّته، خاصَّة في كتابه: (الفتح)، لأنَّ كلامه في مقدِّمتِه (ص:) مشعِرٌ بذلك، قال الإِمام التهانوي في كتابه: قواعد في علوم الحديث (ص: 89): «وما ذكَره الحافظ مِن الأَحاديث الزَّائدة في (فتح الباري) وسكتَ عنه، فهو صَحيحٌ أَو حَسنٌ عِنده، كما صرَّح بِه في (مقدِّمتِه)»، وعلَىٰ هذا السَّنن جرىٰ الشَّوكاني في (النَّيل)، فإِنَّه يعتدُّ فيه كثيرا بسكوت الحافظ في (الفتح)، وقال الشَّيخ الحويني (حفِظه الله تعالىٰ) في النَّافلة (حديث رقم: 33): «والذي تحرَّر ـ عِندي ـ أَنَّه ليس كلّ حديثٍ يَسكتُ عليه الحافظ في (الفتح) يكونُ حسنًا أَو نحوَه، كما صرَّحَ هو بِذلك، فقَد أَخلَّ بِشَرطِه هذا في مَواضعَ كثيرة، وعُذره أَنَّ الشَّارحَ قَد يشتَرِط علَىٰ نفسِه شرطًا فَيوفِّي بِه زَمنا، ثمَّ لا ينشُط لتَحقيق كلِّ حَديث، لا سيَّما في مثل (فتح الباري)، فإِنَّ فيه جَمهرة كثيرة مِن الأَحاديث، وتحرِّي إِيراد الثَّابت منها أَمرٌ لعلَّه يصعُب حتَّىٰ علَىٰ مِثل =

[11] وفي **الدَّليلِ الحادي عشَر**: قال: «إِنَّ المَولدَ أَمرٌ استَحسنَه العلماءُ والمسلمونَ في جَميع البِلاد، وجَرىٰ بِه العَملُ في كلِّ صَقع، فَهو مَطلُوبٌ شَرعًا للقاعِدَةِ المأخوذَةِ مِن حَديثِ **ابنِ مَسعود** مَوقُوفًا: ما رآهُ المسلِمونَ حَسنًا، فَهو عِندَ الله حَسن، وما رآه المسلِمونَ قَبيحًا، فَهو عِندَ الله قَبيح، رَواه **أَحمد**» (1).

[12] وفي **الدَّليل الثَّاني عشَر**: قال: «إِنَّ المَولدَ اشتَملَ علَىٰ اجتماع وذكرٍ وصَدقَةٍ ومَدح وتَعظيمٍ للجانبِ النَّبويِّ، وهو سنَّةٌ، وهذِه أُمورٌ مَطلوبةٌ شَرعًا ومَمدوحة، وجاءَت الآثارُ الصَّحيحةُ بِها وبِالحثِّ علَيها» (2).

[13] وفي **الدَّليل الثَّالثِ عشَر**: استَدلَّ بِأَنَّ «الحِكمةَ في قَصِّ أَنباءِ الرُّسُلِ (علَيهِم السَّلام) تَثبِيتُ فؤَادِه الشَّريفِ بِذلك، ولا شَكَّ أَنَّنا اليومَ نَحتاجُ

= الحافظ ابن حجر، معَ سعة دائرة حِفظه، وجَودة علمِه، والإِحاطةُ لله تَعالىٰ وحدَه، ولعلَّه يكونُ عذرًا مقبُولا، والله تَعالىٰ أَعلم»، والمسألة تحتاج إلىٰ تحرير أَوسَع.

(1) حول المولد (ص: 29)، والحديث كما قال أَخرجَه أحمد في المسند (3600)، وقال محقِّق المسند الشَّيخ شعيب الأَرناؤُوط: «إسناده حسن»، وذكر مَن خرَّجه مِن أَئِمَّة الحديث، ثمَّ قال: «قوله: (فَما رأَىٰ المسلِمون)، ظاهر السَّوق يقتَضي أَنَّ المرادَ بِهم الصَّحابة، علَىٰ أَنَّ التَّعريفَ للعَهد، فالحديثُ مخصوصٌ بِإجماع الصَّحابة لا يعمُّ إِجماعَ غَيرِهِم، فَضلا عَن أَن يعُمَّ رأيَ بعض، ثمَّ الحديثُ معَ ذلِكَ مَوقوفٌ غَير مَرفوع، قالَه السِّندي».

(2) حول المولد (ص: 30).

إلى تَثبيتِ أَفئِدَتنا بِأَنبائِه وأَخبارِه أَشدّ مِن احتياجِه ﷺ»[1]، وأَوردَ الآية: 120، مِن سُورةِ هُود (علَيه الصَّلاةُ والسَّلام): ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ (هود: 118).

[14] وفي **الدَّليلِ الرَّابع عشَر**[2]: ذكَر فيه تَقسيم البِدعةِ التي كنَّا قدَّمنا ذِكرها عَن **ابنِ** عبد ال**سَّلام**.

[15] وفي **الدَّليل الخامِس عشَر**: قال: «فلَيسَت كلُّ بِدعةٍ محرَّمة، ولو كان كذلِكَ لحرمَ جَمعُ **أَبي بكر** و**عُمرَ** و**زَيد** (رضي الله عنهم) القرآنَ وكَتبُه في المَصاحفِ خَوفًا علَى ضَياعِه»، إلى أَن قال: «ولحرم علَينا التَّصنيف في جَميع العلُومِ النَّافِعة، ولَوَجَبَ علَينا حَرب الكفَّارِ بِالسِّهامِ والأَقواسِ معَ حَربِهم لَنا بِالرَّصاصِ والمَدافع والدبَّاباتِ والطيَّاراتِ والغوَّاصاتِ والأَساطيل، وحرم الأَذان علَى المنائِر، واتِّخاذ الرُّبَط والمدارِسِ والمُستَشفياتِ والإِسعافِ ودُورِ اليتامَى والسُّجُون، فمِن ثَمَّ قيَّدَ العلماءُ (رضيَ اللهُ عنهم) حَديث: وكلّ بِدعَةٍ ضَلالة، بِالبِدعةِ السيِّئة»[3].

[16] وفي **الدَّليلِ السَّادس عشَر**: قال: «الاِحتِفالُ بِالمَولدِ وإِن لم يكُن في عَهدِه ﷺ، فَهو بِدعَة، ولكِنَّها حَسنة، لِاندِراجِها تحتَ الأَدِلَّةِ الشَّرعيةِ والقَواعِد

(1) حول المولد (ص: 30).

(2) حول المولد (ص: 30 ـ 31).

(3) حول المولد (ص: 31 ـ 32).

الكُلِّيَّة، فَهي بِدعةٌ بِاعتبارِ هَيئَتِها الاِجتماعية، لا بِاعتبارِ أَفرادِها، لِوُجود أَفرادِها في العَهدِ النَّبويِّ» (1).

[17] وفي **الدَّليلِ السَّابع عشَر**: قال ما قالَه في **الدَّليلِ السَّادِسِ عشَر**، «لأَنَّ ما تَركَّبَ مِن مَشروع، فَهو مشرُوع» (2).

[18] وفي **الدَّليلِ الثَّامِن عشَر**: ذكَر قولَ الإِمامِ الشَّافعي: «ما أُحدِثَ وخالَفَ كِتابًا أَو سنَّةً أَو إِجماعًا أَو أَثرا، فهوَ البِدعةُ الضَّلالة، وما أُحدِثَ مِن خَير ولم يخالِف شَيئًا مِن ذلِكَ، فهُو المَحمُود» (3).

[19] وفي **الدَّليلِ التَّاسع عشَر**: قال: «فكلُّ خَير تَشملُه الأَدِلَّة الشَّرعيَّة ولم يُقصَد بِإِحداثِه مخالَفةُ الشَّريعة، ولم يشتَمِل على مُنكَر، فَهو مِن الدِّين»، إِلى أَن قال: «وقَد سمَّى الشَّارعُ بِدعةَ الهدَى: سنَّة، ووَعدَ فاعِلَها أَجرا، فَقال (علَيه الصَّلاةُ والسَّلام): مَن سَنَّ في الإِسلامِ سنَّة حَسنة... إلخ»، الحديث الذي تَقدَّم ذِكرُه (4).

[20] وقال في **الدَّليلِ العشرين**: «إِنَّ الاِحتفالَ بِالمولدِ إِحياءٌ لذِكرِ المُصطفَى ﷺ، وذلك مشروعٌ عِندَنا في الإِسلام»، ثمَّ قال: «إِنَّ الكثيرَ مِن المناسِك في الحجِّ

(1) حول المولد (ص: 33).

(2) حول المولد (ص: 33).

(3) حول المولد (ص: 33).

(4) حول المولد (ص: 34)، وانظر تخريج الحديث فيما سبقَ.

ذِكريات، مثل: السَّعي، ورَمي الجِمار، والنُّزول بِمنىٰ، كلُّها حَوادث ماضية سابِقة» [1].

وساقَ الآية: 25، مِن الحجِّ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَاتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَاتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: 25)،

وقَوله تعالىٰ: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ (البقرة: 127).

[21] وبعدَ أَن ذكَر هذه الأَدِلَّةَ التي تُثبِتُ جَوازَ الاِحتفالِ بِالمَولدِ الشَّريف، عقَّبَ علَىٰ ذلِك بِقَوله في **الدَّليلِ الحادي والعشرين**: «كلُّ ما ذكَرنا سابِقًا مِن الوُجوه في مَشروعيَّةِ المَولد، إِنَّما هوَ في المَولدِ الذي خلىٰ مِن المنكراتِ المَذمومة التي يجِب الإِنكارُ علَيها، كاختِلاطِ الرِّجالِ بِالنِّساء، وارتكابِ المُحرَّمات، وكثرةِ الإِسراف، ممَّا لا يرضَى بِه صاحِبُ المَولدِ الشَّريف، فَهذا لا شكَّ في تَحريمِه ومَنعِه، لِما اشتَملَ علَيه مِن المُحرَّمات، لكن تَحريمه يكونُ عارِضًا لا ذاتيًّا، كما لا يخفَىٰ علَىٰ مَن تأَمَّل» اهـ ما استَخلصناه مِن الكتابِ المَذكور بِتَصرُّفٍ مِنه [2].

وقَد بانَ لنا ممَّا سبقَ أَنَّ الكثيرَ مِن العلماءِ الأَعلامِ قالوا بِالبِدعةِ الحسَنة، نَذكُر مِنهم علَىٰ سَبيلِ المِثال لا علَىٰ سَبيلِ الحصر: الحافِظ **ابن حجر**، والإِمام **الغَزالي**، والحافِظ **السُّيوطي**، و**السَّخاوي**، والإِمام **الجزري**، و**ابن الأَثير**، والشَّيخ **المُختار**

---

(1) حول المولد (ص: 34 ـ 35).

(2) حول المولد (ص: 35).

الكُنتي، والشَّيخ **رِفاعَة الطَّهطاوي**، والشَّيخ **محمَّد علَوي المالِكي**، وغَيرهم مِن العلماءِ الأَعلام، فَما علَينا إِلَّا أَن نَضُمَّ صَوتَنا لصَوتِهم، فنقُول:

إِنَّ البِدعةَ مِنها ما هو حَسنٌ، وما هو سيِّئ، والاِحتفالُ بِالمولدِ النَّبويِّ مِن قَبيلِ البِدعةِ الحسَنة، فَجديرٌ بِالأُمة الإِسلامية أَن تَحتفِلَ بِذكرىٰ ميلادِ معلِّمِ الإِنسانية، ومكرِّمِ البشَريَّة، ورافع لواءِ العَدلِ والحرِّيَّة، وأَن يتَّخِذُوا مِن هذِه الذِّكرىٰ أَغراضًا نَبيلةً في ظلِّ مَبادِئ الإِسلامِ وتَعاليمه وآدابِه، وقَد تحقَّق ـ بِفَضلِ الله وحَمدِه ـ في هذِه السَّنوات، وخُصوصًا في هذِه السَّنة، الكثير مِن النَّشاطاتِ الدِّينيَّة، وصارَت هذِه الذِّكرىٰ مَيدانًا تُغتَنمُ فيه الفُرصُ لِتَحفيظِ القُرآنِ والسنَّةِ وعَملِ المُسابقاتِ في ذلك، وتَقديمِ الجوائز للفائزِين في جَميع مدُنِ وقُرىٰ الجمهوريَّة الجزائرية، كما أُلقِيَت الكثيرُ مِن المُحاضَراتِ القيِّمةِ في المساجِد والأَندِية، فَهذا ممَّا يدلُّ علَىٰ أَنَّ الاِحتِفالَ بِالمَولدِ الشَّريفِ لَه أَهميَّة عُظمَىٰ في التَّعليمِ والتَّثقيفِ والاِطِّلاع علَىٰ سِيرة صاحبِ الذِّكرىٰ واستِخلاصِ العِبرَة مِن أَخلاقِه وحَياتِه وجِهادِه، وبَعثِ ذلك في قلُوبِ الأُمة، بِما فيها مِن صِبيانٍ وشَبابٍ وكُهولٍ وشُيوخ ونساء، حتَّىٰ تَبقىٰ هذه الذِّكرىٰ ميقاتًا للعلمِ والعَمل، والرَّحمةِ والشَّفقة، يستَعِدُّ لها المُسلِمون قبلَ أَوانها.

ولقَد قالَ بعضُ علماءِ العَصرِ لدَىٰ تَدخُّلِه في نَدوة خُصِّصَت لِلاحتِفالِ بِمَولدِ النَّبيِّ ﷺ، قال: «إِنَّ المُجتَمعاتِ المُعاصِرة تتفَنَّن في تَخصيصِ أَيامٍ للجَيشِ وللسَّلام، ويَومًا لِلعمَّال، ويَومًا لمحاربةِ الفَقر، ولكَذا وكَذا، وأَعتقِد أَنَّنا إِذا لم

نُحيِ لنا أَيَّاما نُسمِّيها: **أَيام الإِسلام**، فنَتيجة هذا أَنَّ الأَيامَ المُصطَنعة المُعاصِرة ستَغمُرنا بِقيَمِها الماديَّةِ ومَعانيها الجِنسيَّة أَو العُنصريَّة، وتُلفِتُنا عَن تَذكُّرِنا لأَيامِ الإِسلام، ولَو أَخَذنا بِالنَّظرية التي تُنادي بِأَنَّنا لا نَحتفِل بِهذه الأَيام، لأَنَّها لَيسَت مِن الدِّين، لقَضَينا علَىٰ ذِكرياتٍ كثيرة، نحنُ نَجني مِن وَرائها خَيرًا كثيرا، لِأَنَّنا نَنتَهِزُها فُرصًا لِلحَديثِ عَن الإِسلامِ وأَحكامِ الإِسلام، كَيومِ الهِجرة، ويَومِ غَزوة بَدر، ويَومِ فَتح مكَّة، ويَومِ الإِسراء، ولَيالي رَمضان، وغَير ذلك مِن اللَّيالي والأَيامِ الإِسلاميَّة».

الفصل الثالث: في ذكرِ مصنَّفاتٍ حَولَ الذِّكرى، وكيفَ ينبغي لنا أَن نَحتفِلَ بِها وذِكرِ بعضِ العَوائِد ونَماذج مِن بَعضِ البلدانِ الإِسلامية في الاحتِفالِ بِالمَولد

إِنَّ الكثيرَ مِن البِلادِ الإِسلامية ـ إِن لم نقُل كلّها ـ ما عَدا النَّزر، تَحتفِل بِالمولد النَّبويِّ مِن أَواخِر القَرنِ السَّادسِ الهِجري إِلى يَومِنا هذا، وقد أَلَّف الكثير مِن العلماءِ في هذا الموضوع، لا نَستطيعُ إِحصاءَهم، وأَوَّل مَن أَلَّف في هذا الموضوع الحافِظ **أَبو الخطَّاب ابن دحية**، وكان مِن أَعيانِ العلماء، ومَشاهِير الفُضلاء، قَدِم مِن المغرب، فدَخلَ الشَّام والعِراق، واجتازَ **بإِربل** سنةَ أَربع وستّمائة، فَوجدَ ملِكَها المعظَّم مظفّر الدِّين بن زين الدِّين يَعتني بِالمولد، فعمِلَ له كتاب: (**التَّنوير في مَولد البشير النَّذير**)، وقرأَه علَيه بِنفسِه، فأَجازَه بِأَلفِ دينار ـ كما تقدَّم ـ.

وقَد ذكَر الشَّيخ **محمَّد بن علوي المالكي** بعضًا منهم [1]، أَي: مِن كبارِ علماءِ الأُمة، مِن الحفَّاظِ الأَئِمَّة الذين صنَّفوا في هذا الباب، وظهَرت لهم مَوالدَ مشهورة، فَمِنهم:

1/ الحافِظ محمَّد بن أَبي بكر بن عبد الله القيسي الدِّمشقي الشَّافعي، المعروف بـ: **الحافِظ ابن ناصر**، فقَد صنَّف في المولد الشَّريف أَجزاءً عَديدة، منها:

---

(1) انظر: خاتمة كتاب: حول الاحتفال بِذكرى المولد النبوي الشَّريف (ص: 87 ـ 95) للشَّيخ محمَّد بن علوي المالكي.

- جامع الآثار في مولد النبيِّ المختار: (في ثلاثِ مجلَّدات) [1].
- اللَّفظ اللَّائق في مَولد خَير الخلائق: وهو مختَصر [2].

وقال ابنُ فهد: «ولَه أَيضا: مَورد الصَّادي في مَولدِ الهادي» [3].

2/ ومنهم الإِمام الكبير زين الدِّين الحافِظ العِراقي، له كتاب: (**المورد الهنيِّ في المولد السَّنيّ**) [4].

3/ ومنهم الحافظ محمَّد بن عبد الرَّحمن السَّخاوي، له جزء في المولد

---

(1) جامع الآثار في السِّيَر ومَولدِ المُختار: موسوعة في السِّيرة والشَّمائل، طُبِعت في (8) مجلَّدات، بِتَحقيق: أبي يعقوب نشأت كمال، إصدارات وزارة الأوقاف والشُّؤون الإِسلامية (دولة قطر)، ط/ 1، سنة 1431هـ/ 2010م.

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الحرم المكِّي (106 مجاميع)، وأُخرىٰ بمكتبة برلين، ضِمن مجموع يحمِل رقم:12/ 9547، انظر: معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ (ص: 28) للشَّيخ صلاح الدِّين المنجّد، دار الكتاب الجديد (بيروت)، ط/ 1، سنة 1402هـ/ 1982م.

(3) نشَرته جمعية الإِمام مالك بن أنس (مملكة البحرَين)، بالدَّار الغنَّاء للطباعة والنَّشر والتَّوزيع (القاهرة)، ط/ 1، سنة 1429هـ/ 2008م.

(4) طبع في مجلَّد أَنيق بدار السَّلام للطباعة والنَّشر (القاهرة)، ط/ 1، سنة 1431هـ/ 2010م، بتَحقيق: عمر بن العربي أعميري، وتقديم: د. أحمد معبد عبد الكريم، قال عنه الشَّيخ عبد الحي الكتاني: «هو مِن الموالد التي يتعيَّن السَّعي في نَشرِها بِالطَّبع، ليَعمَّ الِانتفاعُ بِها، وليُلجمَ الذي يُصرِّح بِأَنَّ كلَّ المَوالد مملوءة بِالخرافات والقصص»، انظر: التَّآليف المولدية (ص: 77).

الشَّريف [1].

4/ ومنهم الحافِظ المجتَهِد ملَّا علي الهروي [2].

5/ ومنهم الحافِظ عماد الدِّين إِسماعيل بن عمر بن كثير، صاحب (التَّفسير) [3].

---

(1) للحافظ محمَّد بن عبد الرحمن السَّخاوي رسالة بعنوان: الفخر العلَوي في المولد النَّبوي، ذكرها في: الضَّوء اللَّامع (8/ 18)، وذكر صاحب: معجم ما أُلِّف عَن رسول الله ﷺ (ص: 32)، أَنَّ له مولدا، منه نسخة مخطوطة بِمكتبة برلين تحت رقم:15/ 9547، انظر: مؤلَّفات السَّخاوي (ص: 122) لمشهور بن حسن آل سَلمان، وأَحمد الشقيرات، دار ابن حزم (بيروت)، ط/ 1، سنة1419هـ/ 1998م.

(2) قال الشَّيخ محمَّد بن علوي المالكي في كتابه: حول الاحتفال بِذكرىٰ المولد النبوي الشَّريف (ص: 92): «وقَد صنَّفَ في مولد الرَّسول ﷺ كِتابًا، قال صاحب (كشف الظُّنون): واسمُه: المورد الرَّويّ في المولد النَّبويّ، وقَد حقَّقتُه ـ بِفَضل الله تعالىٰ ـ وعلَّقتُ عليه، وطبعتُه لأوَّل مرَّةٍ في مصر بِمَطبعة السَّعادة سنة 1400هـ/ 1980م».

(3) لعلَّه يقصد كتابه: الفُصول في اختِصار سيرة الرَّسول ﷺ، طبع عدَّة طبعات، أحسنُها طبعة دار النَّوادر (الكويت)، بتحقيق: عبد الحميد محمَّد الدَّرويش، سنة 1431هـ/ 2010م، وهو كتابٌ مفرَدٌ في السِّيرة النَّبويَّة، بِخلاف ما يظنُّه الكثير مِن النَّاس مِن أَنَّه مأخوذٌ ومختصَرٌ مِن كتابِه: البِداية والنِّهاية، وبعد كتابة هذا الفصل بمدَّة، علمتُ أَنَّ للحافظ ابن كثير كتابٌ نشره صلاح الدِّين المنجد سنة 1961م في دار الكتاب الجديد (بيروت)، تحت عنوان: ذكر مولد رسول الله ﷺ ورضاعه، ثمَّ أُعيد طبعه بِتحقيق: =

6/ ومنهم الحافِظ [ابن] الدَّيبَع [1].

ولقَد تعرَّض الشَّيخ **علوي** إِلىٰ تَرجمة هؤُلاءِ الحفَّاظ، وذكَر تاريخَ ميلادِهم ووَفاتِهم، كما في كتابِه حَول الاحتِفال بِذكرىٰ المولد [2].

والحافِظُ عِند علماءِ الحديثِ هو ما أَشارَ إِليه الشَّيخ **محمَّد الأَمين بن القُرشي** في منظُومتِه: (**تحفة الآثار**) [3]:

=

ياسين السواس ومحمود الأرناؤوط، ونُشِر بدار ابن كثير (دمشق)، سنة 1407هـ.

(1) قال الشَّيخ محمَّد بن علوي المالكي في كتابه: حول الاحتفال بِذكرىٰ المولد النبوي الشَّريف (ص: 90): «وقَد حقَّقناه، وعلَّقنا عليه، وخرَّجنا أَحاديثَه»، وفي الأعلام (3/ 318): «ومعنىٰ الدَّيبع بِلُغة السُّودان: الأَبيض، وهو لقبٌ لجدِّه الأَعلىٰ: علي بن يوسف».

(2) انظر: خاتمة كتاب: حول الاحتفال بِذكرىٰ المولد النبوي الشَّريف (ص: 87 ـ 95) للشَّيخ محمَّد بن علوي المالكي.

(3) تحفة الآثار: منظومة في مصطلح الحديث للشَّيخ محمَّد الأَمين بن القرشي بن البصير الحسيني، قاضي أتبره في القرن الرابع عشر، من مؤلَّفاته: نظم الورقات، قال عنه الشيخ محمد باي بلعالم في كشف الدِّثار (ص: 7): «وهذا العالم الجليل صاحب النَّظم لم نطَّلع علىٰ حياتِه إِلَّا مِن خلال هذا النَّظم، ونظمه للورقات».

وحافِظٌ هُوَ الَّذي يُحيطُ بِسُنَّةٍ ولِلأَذىٰ يُميطُ
لِعلمِهِ بِحالَةِ الرِّجالِ وقَولِهِم في الجِلِّ والتَّرحالِ
ويَعرِفُ الشُّيوخَ والإِسنادا وقيلَ وإِنَّهُ مُبَرِّزٌ أَجادا
مَن يحفَظُ مِنها الأَكثَرا ..... إلخ

وقلتُ في شَرحِنا (**كشف الدِّثار**): «تكلَّم النَّاظِمُ هنا علَىٰ أَلقابِ علماءِ الحديث، وهي: الحافِظ، والمحدِّث، والمسنِد، وأَمير المؤمنين، (**وحافِظٌ**): وهو مَن كان أَعلَىٰ دَرجةً مِن المحدِّث، وهو مَن اجتَمعت فيه أَوصاف المحدِّث، وضمَّ إِليها كثرةَ الحِفظ، وجَمع الطُّرق، أَي: يصدُق علَيه اسم الحافِظ، وقَد فرَّق بعضُ المتأَخِّرين، فرأَىٰ أَنَّ الحافِظَ مَن وعَىٰ مائةَ أَلف حَديث، متنًا وإِسنادا، ولَو بِطُرقٍ متَعدِّدة، وعَرفَ مِن الحديثِ ما صحَّ»اهـ [1].

وإِنَّما أَطلتُ الكلامَ هنا، ليَعلمَ أُولئِكَ الذين يُنكِرونَ الاحتِفالَ بِالمولد الشَّريفِ أَنَّ العلماءَ الأَعلام قَد اعتنَوا بِه، وأَلَّفوا فيه تآليف، وهُم هُداةُ الأُمةِ وقادتُها، وأَعلمُ مِن غَيرهِم بِالكتابِ والسنَّة وما يُستَنبطُ منهما، وما هو مُستَحسنٌ وما هو مُستَقبح [2].

---

(1) كشف الدِّثار شرح متن تحفة الآثار (ص: 61 ـ 62) للشَّيخ محمَّد باي بلعالِم، طبع بمطبعة عمار قرفي، باتنة، بدون ذكر لسنة الطَّبع.

(2) قال الإمام الملَّا علي القاري في المورد الرَّوي (ص: 17 ـ 18): «وأَمَّا قِراءةُ المولد، فينبغي أَن يقتَصر منه علىٰ ما أَوردَه أَئمَّة الحديث في تَصانيفهم المختصَّة بذلك... لأنَّ أَكثَر ما =

والآن نَذكر بعضَ البِلادِ التي تَحتفِل بِالمولد الشَّريفِ في كلِّ سنة، أَو كانت تحتفِلُ بِه سابِقا.

[طَريقةُ الاحتِفالِ بِالمولدِ في المدينة المنوَّرة في العَهدِ القَريب]:

فَفي **المدينة المنوَّرة** (علَى ساكِنها أَفضل الصَّلاةِ والسَّلام)، كان أَهلُها يحتفِلون بِالمولد الشَّريفِ ليلةَ الثَّاني عشَر مِن رَبيع الأَوَّل، وكان الاحتفالُ يقَع بِالمسجِد النَّبويِّ، ولنَستَمِع إِلى الشَّيخ الحافِظ الحجَّة **أَبي سالم عبد الله بن محمَّد العياشي** ليحدِّثَنا عَن مَراسيم الاحتفال كما في (ص: 285)، ط/ فاس مِن (**رحلتِه**)، قال: «ولَمَّا قَربَت ليلة المولد الشَّريف ـ وهي الثَّانية عشَر ـ بُولغ في تَنظيفِ الحرَمِ وتَزيِينه، وغُسلت مَصابِيحه، وجُعِل فيها مائع شَديد الحمرة، لا أَدري ما هو، وأُلقيَ فَوقه قليل زَيت طيِّب أَخضر، فإِذا توقَّد المِصباحُ ظَهر إِشراقُ المِصباح، لِشدَّةِ صَفائِه ومُلاقاتِه لِضَوء النَّار، وأَشرقَت حُمرة ذلك المائع، لِكَونها مُلاقية لصفاءِ الزُّجاج، فتَصيرُ حُمرتُه كحُمرة الياقوت، وذلك الحظُّ مِن الزَّيتِ فَوقَه أَخضَر كالزُّمرد، وفَوقَه صفاءُ الزُّجاج يتَموَّج فيه ضَوء النَّار، ويَنعكِس فيُمازج إِشراقه صفاء الزَّيت وخُضرته، وصفاء المائع الأَحمر وحُمرته، فَلا تَسأَل عَن حُسنِ ذلك المنظَر وبهائِه، وقَد رُتِّبت المصابيحُ في تَعليقها تَرتيبًا لائِقا،

= بِأَيدي الوُعَّاظ منه كذِب واختِلاق، بل لم يَزالوا يَروُون ما هو أَقبَح وأَسمج مِمَّا لا تحِلُّ رِوايته ولا سَماعه، بل يجِبُ على مَن علِم بُطلانه إِنكاره والأَمر بِتَرك قراءتِه».

وشكِّلت تَشكيلا بديعًا، بين تَربيع وتَدوير، فَيا له مِن مَنظَرٍ ما أَبهجَه، ولَيلٍ ما أَسرجَه، ونُور النبوَّة مُشرِقٌ علىٰ كلِّ ذلك، وبَرز علىٰ جَميع ما هُنالِك، فقَد اتَّفقَ أَرباب الأَذواقِ السَّليمة أَنَّ كلَّ شَيءٍ مُستَحسنٌ في الدُّنيا، مِن مَلابِسها وجَواهِرها ويَواقيتها وطِيبِها يَزدادُ حُسنًا في المدينةِ علَىٰ حُسنِه الذي كان له قبلَ ذلك، لسِرٍّ يُدرِكُه أَهلُ البصائر، بِصَفاءِ السَّرائر، وكيف لا، وتلك حَضرة مظهر أَهل الجمال، ومَنبع الكمال، فَما مِن جَمالٍ في الدُّنيا والآخِرة إِلَّا وهو مُستَمدٌّ بِذلك الجمال، فكَيفَ لا يَزدادُ حُسنًا عِندَ حُصوله بِمَحلِّ أَصلِ الجمال، لِقُربِه مِن مَنبعِه، وقُربِ استِمدادِه مِن مجمعِه، فإِذا كان بعدَ صَلاةِ العَصرِ مِن اليَومِ الحادي عشَر أخذ القَناديل الكِبار والحسَك العِظام مِن الحجرة، وغالبُها مِن النُّحاس المَطلي بِالذَّهب، فمَن لَم يَعرِف أَصلَها لا يظُنُّها إِلَّا ذَهبًا خالِصًا، وكلُّ واحِدةٍ أَعظمُ مِن قَعدةِ الرجل العَظيم، وصُفَّت في صحنِ المَساجِد، ووُضِعَت فيه الشُّموعُ الغَليظة الصَّافية اللَّون، منها ما يَزن نِصف القِنطار، ومنها دون ذلك، وفي وَسَطِ تلك القناديل قنديلٌ كَبيرٌ مِن فِضَّةٍ خالِصة، زِنتُه أَكثَر مِن قنطار، فيه خَمس حسك كبار مِن فِضَّة مُدوَّر الشَّكل، فيُوضَع في كلِّ حَسَكةٍ منه شَمعة، وتُبسَط البُسط الرَّفيعة مِن جَوانبِ القناديل مِن كلِّ جِهَة، لجلوسِ الأُمراءِ وأَربابِ المراتِب، ولجلوسِ المُنشِدين، فإِذا صُلِّيت المَغرب أُوقِدَت المَصابيحُ كلُّها، والشُّمع التي في صحنِ المَسجِد، وأَخذَ النَّاسُ في الاِجتماع، وأُوقِدَت أَربَع مَشاعِل كِبار علَىٰ أَساطين مُعدَّةٍ لذلك في صحنِ المسجِد، اثنان في مُقدَّمِه، واثنان في مؤَخَّرِه، فإِذا صُلِّيَت

العِشاء جلَسَ الأُمراءُ في الفُرشِ المُعدَّةِ لهم، كلٌّ في مَرتَبته، وجلَسَ الشُّعراءُ أَمامَهم والمُنشِدُون، وضُرِبَت خَيمة قَريبة مِن بابِ النِّساء، ووُضِعَت فيها أَنواع الأَشرِبة الحلوَة، فإذا امتلأَ المسجِدُ وغصَّ بأَهلِه، وجلَسَ كلُّ واحدٍ في مَوضعِه، قامَ المُنشِدُون فيُنشِدُون مِن غُرر القَصائِد في مَدح النَّبيِّ ﷺ ما انتَخَبوه وأَعدُّوه لذلك المَوضع، بِأَلحانٍ عَجِيبة، وتَراجيع متَّسِقَة، وبإزائِهم جَماعة يَردُّون علَيهِم بِأَصواتٍ حَسنة، فيَجِيء السقَّاؤُونَ بِأَنواع الأَشرِبة الحلوَة، فيَسقُون الأُمراءَ ثمَّ المُنشِدين ومَن معَهم، ثمَّ سائر النَّاس، ثمَّ يُؤتَىٰ بِأَنواع الرَّياحين والأَزهار، فتُوضَع بينَ أَيديهِم أَضغاثًا، ثمَّ تفرَّقُ أَيضًا علَىٰ الحاضِرين، ثمَّ يُؤتَىٰ بِأَطباقٍ مِن اللَّوز والسُّكَّرِ وأَنواع الحلاوي، فتُفرَّقُ أَيضًا وينثَر ما بقيَ منها علَىٰ عامَّةِ النَّاس، ولا يزَالون كذلِك حتَّىٰ يَمضي مِن اللَّيلِ ما شاءَ الله، النِّصف أَو قَريب منه، فَينصرِفُون» اهـ مِن **(الرِّحلة العياشية)** [1].

انظُر ـ يا أَخي ـ كيفَ كان أَهلُ **المدينة** يحتفِلونَ بهذه الذِّكرىٰ، بِما فيهِم مِن أُمراء وعلماء وشُعراء، وسائرِ الطَّبقات، بِما فيهِم الوافِدين علَىٰ مدينة الرَّسول ﷺ، فَما أَعظمَ هذا الاحتِفال، وما أَعظَمَ وقُوعه بِقُربِ المحتفَلِ بِه ﷺ.

---

(1) الرِّحلة العياشية (1/ 437 ـ 439) لأبي سالم العياشي، تحقيق: د. سعيد الفاضلي ود. سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع (أبو ظبي)، ط/ 1، سنة 2006م.

[طَرِيقةُ الِاحتِفالِ بِالمَولدِ في الجزائر]:

وفي شَعبِنا **الجزائري** الكَريم، يحتفِلُ المُواطِنونَ في شَرقِ البِلادِ وغَربِها، وشَمالِها وجنُوبِها، بهذه الذِّكرى العظيمة، في المساجِد وفي المدارِس وفي الأَندِية، ويتَزايدُ نَشاطُ طَلبةِ القرآنِ ومُعلِّميهم، ويَستفيدُ الفُقراء والمساكين مِن عَطفِ وجُودِ ذَوي النيَّاتِ الحسنة، وخُصوصًا في الجنوبِ الغَربي، والجنوبِ الشَّرقي، فَما مِن قَريةٍ إِلَّا ويَدومُ احتفالُها بهذه المناسَبة مِن أوَّل يَومٍ مِن رَبيع الأوَّل إِلى الثَّامِن عشَر منه، وفي بعضِ الجِهاتِ مِن مُنتَصفِ صفَر، وذلك مِن صلاةِ المغرِب إِلى صَلاةِ العِشاء، وأمَّا في ليلة المولد، فإِنَّ الاحتِفالَ يعُمُّ اللَّيلَ كلَّه، يتَحدَّثون عَن شَخصية الرَّسولِ وتارِيخه وأَيَّامِه، ويَستَعرِضونَ صفَحاتِ جِهادِه ودَعوته (عليه الصَّلاة والسَّلام)، مِن خِلال القَصائِد البَديعة، والمحاضَراتِ والنَّدوات، وكلُّ جِهةٍ مِن القُطرِ لها عادتها وميزتها.

وفي الشَّمال الجزائريِّ يقعُ الِاحتِفالُ بهذه المناسَبة مُذ سِنين، مثل: العاصمة، وقسنطينة، وتلمسان، وغيرها مِن المدُنِ والقُرى، ولقَد كان الشَّيخُ الإِمام عبد ال**حميد ابن باديس** يحضُر هذِه الذِّكريات ويتَوِّجُها بِدُروسِه ومُحاضَراتِه القيِّمة، فَعلَى سَبيلِ المِثالِ لا علَى سَبيلِ الحصر، نَذكُر بعضَ الِاحتِفالات:

فَفي سنة 1348م، أَلقى الأُستاذُ الشَّيخُ **عبد الحميد بن باديس** محاضرةً في ذِكرى المولد النَّبويِّ الكريمِ في **نادي التَّرقِّي** بِالعاصِمة، افتتَحها بِقَوله:

«بِسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيم، وعلَىٰ اسمِ الجزائر الرَّاسِخةِ في إِسلامِها، المتَمسِّكةِ بِأَمجادِ قَوميَّتها وتارِيخها، أَفتَتح الذِّكرىٰ الأُولىٰ بعدَ الأَربعمائة والأَلف (1400هـ) مِن ذِكرياتِ مَولد نَبيِّ الإِنسانية، ورَسول الرَّحمة، سيِّدنا ومَولانا محمَّد بن عبد الله (عليه وعلَىٰ آله الصَّلاة والسَّلام) في هذا النَّادي العظيم الذي هو وَديعة الأُمة الجزائريَّة عِند فُضلاءِ هذه العاصِمة ووُجهائها، لَسنا وَحدَنا في هذا الموقفِ الشَّريفِ لإِحياءِ هذه الذِّكرىٰ العظيمة، بل يُشارِكُنا فيها نَحو خمسمائة مليون مِن البشَرِ في أَقطار المعمور، كلُّهم تخفقُ أَفئِدَتهم فَرحًا وسُرورا، وتخضَعُ أَرواحُهم إِجلالًا وتَعظيما، لمولدِ سيِّدِ العالمين»، إِلىٰ أَن قال: «بل تُشارِكُنا في مَوقفنا هذا الإِنسانيةُ كلُّها، وإِذا لم يكُن بِلسانِ مَقالها، فبِلسانِ حالها».

ثمَّ تكلَّم بعدَ ذلِكَ علَىٰ الدَّاعي إِلىٰ إِحياءِ هذِه الذِّكرىٰ، وهو المحبَّةُ في صاحبِها، فَقال: «إِنَّ الشَّيءَ يُحبُّ لحسنِه أَو لإِحسانِه، وصاحِبُ هذِه الذِّكرىٰ قَد جَمع علَىٰ أَكمَلِ وَجهٍ بَينَهما».

ثمَّ قالَ بعدَ أَن ذكَر وُجوبَ محبَّةِ النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ هذِه المَحبَّةَ تَدعونا إِلىٰ تَجديدِ ذِكرىٰ مولدِه في كلِّ عام»، وفي الغايةِ مِن تجديدِ هذِه الذِّكرىٰ قال: «هوَ استثمارُ هذِه المحبَّة، إِنَّ مَحبَّتنا فيه تَجعلُنا نُحِبُّ كلَّ خلُقٍ مِن أَخلاقِه» [1].

(1) انظر: الإِمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره (3/ 477 ـ 484) للدكتور عمَّار طالبي، دار عالم المعرفة (الجزائر)، ط/ 1، سنة 2013م.

ثمَّ ذكَر في هذِه المُحاضَرة مَبدأَ رَحمتِه ﷺ، ومَبدأَ قوَّتِه، ومَظاهِر رَحمتِه ومَظاهِر قوَّته، وآثارَ القوَّة والرَّحمة في أَخلاقِه، وذكَر نُبذةً مِن أَمانتِه وصِدقِه وعَدلِه واهتمامِه بِالخلقِ وانقباضِه عنهم قَبل النُّبوَّة، ثمَّ ذكَر نُبوَّتَه والرَّحمة والقوَّة في شَريعتِه.

فَهذِه العيِّنات التي تكلَّم علَيها الشَّيخُ **ابنُ باديس** في هَذا الخِطابِ في مُناسَبة هذا الاِحتِفال النَّبويّ، فأَعطَىٰ لِكلِّ خلُقٍ مِن الأَخلاقِ تَحليلا، وما جاءَ بِه هذا الشَّيخُ في هذِه المحاضَرة القيِّمة هوَ الذي ينبغي لِلمُسلِمين أَن يُركِّزوا علَيه الاِحتفال بِالمَولدِ الشَّرِيف.

وهكذا قالَ الشَّيخُ **ابنُ باديس** في ذِكرىٰ المَولدِ سنةَ أَلفٍ وثَلاثمائة وثلاثٍ وخَمسينَ هِجريَّة (1353هـ)، قال: «فلنَجعَل يَومَ وِلادتِه مِن كلِّ عامٍ يَومًا نَعزِمُ فيه علَىٰ تَجديدنا، تَجديدًا روحيًّا وعَقليًّا وأَخلاقيًّا وعَمليًّا وتارِيخيًّا، تَجديدًا إِسلاميًّا محمَّدِيًّا في جَميع ذلك، لِنُولَد في عامِنا الجديد وِلادةً جَديدة، وهكذا نُجدِّد ونَتجَدَّد في كلِّ ذِكرىٰ [مولد]» [1].

وقال في ذِكرىٰ المَولدِ سنةَ (1358م)، تحتَ عُنوان: (إِلىٰ النَّبيِّ محمَّد، أَيتُها الإِنسانية، أَيُّها المُسلِمون، أَيُّها العَرب، أَيُّها البشَر):

---

(1) انظر: الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره (3/ 448 ـ 449) للدكتور عمَّار طالبي، علىٰ ذكرىٰ المولد النَّبويِّ الشَّريف (التجدُّد في كلِّ مَولد).

«أَيُّها المسلِمون، في مِثلِ هَذا اليومِ انبثَقَ النُّورُ الذي هَداكُم اللهُ بِه إلىٰ الإِسلام، فأَخرَجَكُم مِن الظُّلماتِ إِلىٰ النُّور، وجَعلكُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت للنَّاس، ما دُمتُم تأمُرونَ بِالمَعروفِ وتَنهَون عَن المنكَر وتُؤمنون بِالله، فعُدوا بِالذِّكرىٰ إِلىٰ حَياةِ هذا النَّبيِّ الكَريم... إلخ».

ثمَّ خاطَبَ العَرب، فَقال: «أَيُّها العَرب، في مِثلِ هَذا اليومِ وُلدَ النَّبيُّ العَربيّ، فَتفَتَّحَت العُروبةُ علَىٰ زَهرة ماضيها، وبذرَة مُستقبلها، فَوصَل اللهُ بِه مَجدَكُم القَديم بِمَجدِكُم الحديث، وأَشاعَ لُغتكُم في الأَلسِنَة، وتَفكيركُم في العقُول، وعُنصرَكُم في الأُمَم، فَخلَّدتُم في التَّاريخ خلُودَ التَّاريخ، وبقيتُم في الزَّمنِ بقاءَ الزَّمَن، فعُودوا بِالذِّكرىٰ إِلىٰ حَياةِ هَذا العربيِّ العَظيم... إلخ» الخِطاب.

وخاطَبَ البشَر فقالَ: «أَيُّها البشَر، في مثلِ هَذا اليومِ وُلدَ محمَّد بن عبد الله بن عبد المطَّلب، فَوُلدَت الإِنسانيةُ وِلادةً جَديدة، وأَشرقَ علَىٰ الكَونِ نُورٌ لم يَلج مِن قَبلُ، أَضاءَ لبني آدمَ طَريقَ العلمِ والعَمل، والحريَّة والسَّلام، في حَظيرة الإِخاءِ العامِّ، فعُودوا بِالذِّكرىٰ إِلىٰ حياةِ هذا الرَّجل الإِنساني، كَيفَ أَرضَعَته بَدوِيَّة عَربيَّة، وحضَنَته أَمة حَبشيَّة، وتَبنَّىٰ مَملوكًا رَقيقًا، ثمَّ اتَّخذَه أَخًا ومَولىٰ... إلخ» الخِطاب المَنشور في **جَريدة البصائر**، في تاريخ: 13 رَبيع الأَوَّل 1358هـ، تحت عدد: 164 [1].

(1) انظر: الإمام عبد الحميد بن باديس حياته وآثاره (6/ 260 ـ 262) للدكتور عمَّار طالبي.

وفي **تلمسان** يقَع الاحتفالُ كلّ سنَة بِمُناسبة ذِكرىٰ المولد، ولنذكُر علَىٰ سَبيلِ المِثالِ لا علَىٰ سَبيلِ الحصر، الاِحتِفالَ الذي وقَع في **تلمسانَ** سنةَ أَلفٍ وثلاثمائة واثنَين وسَبعين هِجريَّة (1372هـ)، تحتَ إِشرافِ الشَّيخ **علي البوديلمي** [1]، حضَره جَماعة مِن عُلماء الجزائر والمغربِ كما جاءَ في صَحيفة **جَريدة النَّجاح** [2] المؤرَّخة بِتاريخ: 29 رَبيع الأوَّل سنة 1372هـ، هذا نصُّه: «أَقامت طائفةُ الإِخوان الصُّوفية **البوديلمية** بِحاضرة **تلمسان** احتفالَها الدِّيني الرُّوحي السَّنوي، فكان حقًّا احتِفالا دينيًّا رُوحيًّا بكلِّ ما في معنَىٰ الكلِمة، فَما كادَت تشرقُ شَمس يَوم الجمعة: 11 ربيع الأول، حتَّىٰ كانت طُرقُ المدينةِ وبابُ سيِّدي

---

(1) هو الشَّيخ علي بن محمد بن عبد الله البوديلمي الخلوتي المسيلي الجزائري، ولد بمدينة المسيلة سنة1329هـ/ 1909م، أخذ العلم بزاوية الهامل وبقسنطينة، ثمَّ رحل إلىٰ تونس وانتظم في سِلك طلبة جامع الزَّيتونة، ثم عاد إلىٰ الجزائر واتَّصل بشَيخ الطريقة العليوية وانتسب له، كانت له مساجلات مع رجال الحركة الإِصلاحية انتصر فيها لمشرِبه الصُّوفي، توفي سنة1409هـ/ 1988م، مخلِّفًا آثارا كثيرة، منها: إماطة اللِّثام عمَّا نشأ في الحاضرة التِّلمسانية مِن الشُّكوك والأَوهام والشِّقاقِ والخِصام (ط)، والقول المؤيَّد بِالدَّلائل الفقهية الملِمَّة في تَفنيد مَزاعِم مَن يرىٰ بُطلانَ الصَّلاةِ خلفَ المُفتين والأَئِمَّة (طبع بالجزائر سنة 1953م)، وغير ذلك، انظر: أَعلام الفكر الجزائر (2/ 12 ـ 13) للأستاذ أحمد بسكر، ط/ خاصَّة، سنة 2013م.

(2) جريدة النجاح، الأربعاء: 29 ربيع الأول 1372هـ/ 17 ديسمبر 1952م، السنة 32، العدد: 4058، ص: 2، بقلم: محمَّد بن عبد السَّلام الغماري.

أَبي مَديَن وحيُّ الرّبط وأَقادير مكتظَّة بِالخلائق الوافِدين، والزوَّار المتكاثرين، وهم رافِعونَ أَصواتَهم بالتَّسبِيح والتَّهليل والتكبير، وقَد تَزايدَت الوفُودُ بِكثرة في هاتِه السَّنة ممَّا لم يكُن في الحسبان، وقَد أَمَّه مِن رِجال الدِّينِ ورؤَساءِ الجمعياتِ الخيرية علَىٰ اختلافِ المراتب والطَّبقات، ومِن مختلفِ الأَصقاع والجِهات، ممَّا يَضيقُ عَن نِطاقِه الحصر، ناهيكَ بِحَفلٍ دينيٍّ رُوحيٍّ يحضُره مِن علماءِ المغرِب، مثل: العلَّامة الجليل الشَّريف **الإدريسي**، الذي جاء بِحاشيته مِن **المغرِب الأَقصَى** في سِيارتَين خاصَّتَين، وكذلك الشَّيخ السيِّد الحاج **الحسين القادري** (رئيس الطريقة القادِرية بِحاضرة وجدة)، والشَّيخ **أَحمد الودغيري** (مِن فاس)، وغيرهم مِن أَكبر بلدانِ العَمالات الثَّلاث بِالقُطرِ الجزائري، وما كان ذلكُم المهرجان العظيم إِلَّا احتِفالا بِذكرىٰ مَولدِ النبيِّ الكَريم (علَيه الصَّلاةُ والسَّلام)، الذي يُقيمُه في كلِّ سنَة المرشِد الرَّبَّاني، والمربِّي الصَّمَداني، مَولانا الأُستاذ الشَّيخ سيِّدي **علي البوديلمي** القَسنطيني (أَطالَ الله حَياته لِنفع العبادِ والبلاد)، وما إِن انتظَم عِقد هؤُلاءِ الوافِدين حتَّىٰ انعقَد الاحتفالُ في يَوم السَّبت، فافتُتح بِختمِ سَلكاتٍ قُرآنية، وتَصدَّىٰ للخَتمِ الشَّيخ **أَحمد بن المكِّي المستغانمي** (خريج كلية الزَّيتونية المعمورة)، فأَثَّر أَيضا تأثيرا في السَّامعين بِصَوته المُطرِب، ثمَّ ختَم المنشِدونَ كذلِك (**هَمزية**) **النَّبهاني**، و (**بُردةَ**) **البوصيري** (رَحمهما الله ورضيَ عنهما)، ثمَّ خُطبة الافتِتاح لرئيسِ الاحتِفال في التَّرحيبِ والثَّناءِ والشُّكر، وبعدَ ذلك افتَتَحَ إِمامُ المسجِد الأَعظم الشَّيخ **أَبو عبد الله الشَّريف** (المفتي بالنِّيابة) الكلامَ في شيءٍ

مِن أَخلاقِه ﷺ، ثمَّ تَلاه الأُستاذُ العلَّامة، بقيَّة السَّلفِ الصَّالح، شَيخ علماءِ الوقتِ من العلمِ والورَع، سيِّدي **الجيلالي بن عبد الحكم**[1] (مدير مدرسة الفلاح بالأَصنام)، فأَلقىٰ قصيدةً رنَّانةً في تاريخ تلمسان وفَضلها، وستُنشَر كغَيرها ـ إِن شاء الله ـ بِجَريدَتِنا **النَّجاح**[2] الغرَّاء، ثمَّ تقدَّم **الشريفُ الإِدريسي** بِالنِّيابة عَن رِجالِ **المغرب الأَقصى**، فأَلقَىٰ مُسامرةً جليلةً في شتَّىٰ المواضيع الدِّينية التَّاريخية، بيَّن فيها عظَمةَ الاحتفال بِذكراه ﷺ، ثمَّ تقدَّم الشَّيخُ الحاج الحسين القادري مِن **وَجدة**، فأَلقىٰ نَصيبًا في شَمائل الرَّسول ﷺ، ثمَّ تلاه الكاتب القَدير الشَّهير الأُستاذ الشَّيخ **أَحمد الوجدي المعسكري**، فأَلقَىٰ قصيدةً بليغةً تدلُّ علَىٰ أَنَّ في بني عمِّك رِماحا، وأَيّ رِماح، ثمَّ تقدَّم الأُستاذُ الشَّيخ **أَحمد بن كابو** (خرِّيج **جامع الزَّيتونة** المعمور، المدرِّس بِسيدي بلعباس)، فأَلقَىٰ مُحاضَرتَه الارتجالية التي أَطربَت المحتفِلين بما فيها مِن تاريخ الإِسلام، وما كانت عليه الأُممُ في الجاهِلية، ثمَّ قام الأُستاذ الشَّيخ **شنتوف محمَّد** (المدرِّس والإِمام الخطيب بِجامع سيدي عبد الله بِمدينة **غليزان**)، ثمَّ قامَ بعدَه الأَديبُ النَّجيب الشَّيخ **عابد**

---

(1) الشَّيخ الجيلاني بن عبد الحكم اليحياوي العطافي (1880ـ 1965م)، صاحب كتاب: المِرآة الجليَّة في ضَبط ما تفرَّق مِن أَولاد سيدي يحيىٰ بن صفية، وفي التَّعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصُّوفية، طبع سنة 1953م بمطبعة ابن خلدون بتلمسان، وأُعيد نشره بِتحقيق: أ.حسين جيلالي بن فرج.

(2) تتبَّعنا أعداد الجريدة بعد هذا التاريخ فلم نقِف عليها منشورة بها.

البوعبدلي (المدرِّس بِزاوية سيدي غُلام الله بِغليزان)، ثمَّ أُلقيَت خُطبة الشَّيخ عبد الرَّحمن (المدرِّس **بوجدة**)، وخُطبة الشَّيخ **محمَّد الكبير** (مِن عاصِمة **الجزائر**)، كما قامَ الشَّيخ عبد ال**قادر البحي** (المدرِّس بأوزيدان)، والشَّيخ **محمَّد بن حمو** (مِن منطقة الخليفية)، والشَّيخ **ابن الحسين** (مِن **قسنطينة**)، والشَّيخ **أَفندي محمَّد**، والسيد **الصائب**، وغَيرهم مِن **تلمسان**، والسيد **بوسلهام** (من **نَدرومة**)، كما قام بعضُ التَّلامِذة الصِّغار في إِلقاءِ نُبذٍ وقطَع مِن النَّظمِ والنَّثرِ في السِّيرة النَّبويَّة، فالكلُّ أَجادَ وأَفاد، وممَّا يُلاحَظ أَيضا ما كان يعقَد مِن مجالِس خاصَّة للتَّذكير والإِرشادِ الخاصِّ الذي كان يقومُ بِه رِجال عُظماء مِن ذَوي الفَضلِ في العلمِ والفَهم والسِّنِّ، كحَضرة المربِّي المرشِد الشَّيخ سيدي الحاج **قويدَر بن عمَّار البوعبدلي** (شيخ الزاوية العلاوية **بغليزان**)، وكذلك دروس الرَّئيس الرُّوحي لهذا الاحتِفال، فضيلة أُستاذِنا سيِّدي **علي البوديلمي**، الذي كان يتعهَّد الجماعةَ بعدَ الجماعةِ بِالتَّذكير والمُذاكَرة، فَما مِن مُسلمٍ يحمِلُ بين جَنبَيه قوَّة إِيمانية، وغيرةً دينيَّة، وشاهَد ما لهذا الاحتفال مِن رَوعةٍ وجَلال، وأُبَّهة وجَمال، إِلَّا وقَعت له زِيادة الإِيمان، وقوَّة الإِحسان، خُصوصًا لما يسمع ما يَدورُ خِلاله مِن دُروسٍ عِلميَّة، وخُطبٍ بليغة، ومَواعِظ حكيمة، تَدور رحاها علَى مِحوَر الدَّعوة إِلى الله، والذَّودِ عَن حَرمِ الدِّين، وسنَّةِ سيِّد المُرسَلين، كلُّ ذلك بِلسانِ الحِكمةِ والموعظةِ الحسنة.

دامَ الاحتفالُ واستَغرقَ أَربعة أَيامٍ بِلَياليها، قام فيها الإِخوانُ التِّلمسانيون

بإكرامِ الوافِدين علَيهِم مِن سائرِ الأَصقاع، وقَد اضطرُّوا إِلىٰ إِعدادِ محلَّاتٍ أُخرىٰ زِيادةً علَىٰ الزَّاوية، وعَن دارِ الأَشراف أَولاد سيدي عبد ال**له بن منصور** الواسِعة الرِّحاب المتَّصِلة بالزاوية.

وأَبلغُ مَنظرٍ في التَّأثير وأَعمقه في النَّفس، هو ما كنتَ تَراه مِن اجتماع المنشِدين الجزائريِّين مِن **قَسنطينة** إِلىٰ **تلمسان** معَ إِخوانِهم مِن المنشِدين المغارِبة، كلٌّ يُلقي علَىٰ طَريقته أَناشيد ومَدائح في ذِكر الله والصَّلاةِ علىٰ رَسول الله ﷺ، وقَد كان مُنشِد أَهلِ القُطرَين الشَّقيقَين السيد **محمَّد شراك النَّدرومي** يُطرِبُ المحتفِلين بِنَغماتِه، بِما تطرب بِه المغاني والمثالِث.

وبِالجملة، فقَد كان احتِفالها لهاتِه السَّنة ممتازًا بِالفضائل والكمالات، وجَميلِ المحاسِن والمبرَّات، ممَّا يَبعثُ في نفسِ كلِّ مسلمٍ الفخرَ والتَّباهي بِعَظمةِ الإِسلام وشَعائرِه، والله لا يضيعُ أَجرَ مَن أَحسنَ عمَلا، إِنه برٌّ رَحيم، لَطيفٌ كريم».

هذه بعضُ نَماذج الاِحتِفال بِالمَولدِ النَّبويِّ الكَريم، وعلَيه:

1/ فَينبغي لَنا أَن نَستغِلَّ هذِه الذِّكرىٰ وغَيرها مِن الذِّكرياتِ استِغلالًا واسِعَ النِّطاق، لِتَعبِئة الجماهير، واستِغلالِ حبِّها لله ورَسوله في خِدمةِ الأَهدافِ المقرَّرة للإِسلام، وتَسييرها علَىٰ الطَّريقِ الصَّحيحةِ التي تَركَها لَنا هَذا النَّبيّ الكَريم.

2/ كما ينبغي لَنا أَن لا تكونَ هذِه الذِّكرياتِ جافَّة مِن الإِرشادِ والوَعظِ

والتَّوجيه، لأَنه ﷺ كان يغتَنِم المَواسِم، مثل: عَرفات، ومِنًى، وفي الغَزوات لِأَنَّها مَواسِم تَجمعُ الكثيرَ مِن المُسلِمين السَّامِعين لها والمبلِّغين لِغَيرِهِم، وربُّنا تَعالَى يقُولُ وقَوله الحقّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: 110)، وقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: 104).

ومِن هَذا المُنطلَق كان مِن مَوضوع النَّدوة التي عقَدناها في **دارِ الإذاعة** ـ أَي: مِن مَوضوعاتها ـ: المُحافظةُ علَى الكلِّيَّاتِ الخمس، لأَنَّ الإِسلامَ دينُ الأَخلاق، ودينُ الرَّحمة، ودينُ النِّظام، يبني الفَضائل، ويَهدم الرَّذائل ويحارِبُها حَربا لا هَوادةَ فيها.

يحافِظ علَى العَقل، ولهذا جاءَ في القُرآنِ التَّنديدُ بِالخمرِ الذي يضرُّ بِالعقل، فقالَ تَعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (المائدة: 92)، فالذين يشربونَ الخمرَ لَيسوا أَصحاب مَنزِلة عِندَ الله، وهُم قَومٌ يتَّبِعون خُطُواتِ الشَّيطان، وإِذا واتاهُم حظٌّ في الدُّنيا فلَيس لَهم في الآخِرة مِن خَلاق.

ويحافِظُ علَى الأَعراض وعلَى النَّسَب، فالذين يعتَدون علَى الأَعراضِ ويَرتكبون الخنَا يقترفون أَفحشَ مُنكَر، ويجتَرِحون أَسوأَ سيِّئة، ويجرون علَى قَومِهِم وعلَى أَنفُسِهِم الوَبال، ويَمحُون أَسماءَهم مِن سِجلِّ الأَبرار الأَطهار، وجَزاؤُهم أَن يُمثَّل بِهِم تَمثيلا، وأَن يذُوقوا العذابَ الأَليم، وأَن تُعلَى أَسماؤُهم

علَىٰ رؤُوسِ الأَشهاد، ليكونَ لهم الخِزيُ والعار، قالَ تعالىٰ: ﴿وَالذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَاتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً اَبَداً وَاُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (النور: 4)، يعني الذين يقذِفون النَّاسَ بِما لَيسَ فيهِم جَزاؤُهم اللَّعنة بِما ثلَبوا النَّاسَ وخاضُوا في أَعراضِهم، وعرَّضوا بُنيانَ الأُسرةِ للتَّداعي، وورَّثوا الآباءَ والأَبناءَ سُوءَ السُّمعة، وجَعلُوهُم ذِكرا سيِّئًا في الآخِرين، وليسَ بِكَثير علَىٰ هؤُلاءِ الأَشرار أَن يُعاقَبوا بِالحِرمانِ الاِجتماعي، وأَن لا تكونَ لَهم كلِمة صادِقة، ولا شَهادة ناطِقة، وندَّد اللهُ بِالزِّنا، فقال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَاخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلاَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُومِنِينَ﴾ (النور: 2)، وقال: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلزِّنىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: 32)، وقال: ﴿وَالذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَّفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾ (الفرقان: 68).

وبِالجملَة، الذين لا يحافِظون علَىٰ هذِه الكليَّاتِ الخمسِ أَو السِّتِّ ـ كما في بَعضِ الأَقوال [1] ـ فهُم الذين يُفسِدُونَ في الأَرضِ ولا يُصلِحون، وهُم الذين

(1) المقاصد الضَّروريَّة هي: حفظ الدِّين، والنَّفس، والعقل، والمال، والنَّسل (النَّسب)، وزاد القرافي مقصد حفظ العرض، وبعضهم يُدخِله في النَّسل، قال الغزالي في المستصفىٰ (1/ 287): «ومقصودُ الشَّرع مِن الخلقِ خمسة، وهي: أَن يحفظ علَيهِم دينَهم، ونَفسَهم، =

يتَعدَّونَ حُدودَ الله، يُغيِّرونَ دينَهم وينَصِّبونَ أَنفُسَهم أَداةً لِلشَّرِّ [والأَذىٰ][1]، فيُنزِلونَ بِهِم التَّنكيل والعَذاب، ويَسلبونَهم أَرواحَهم وأَموالَهم، لا ينبَغي أَن تكونَ لهم حُرمة، ولا أَن يكتَبوا في عِدادِ الأَنفُسِ التي كتَبَ الإِسلامُ صِيانتَها والذَّود عَنها، بل ينبغي أَن يَعيشُوا بينَ النَّاسِ ولا أَن يُعاشِروهُم ويُخالِطوهُم، فتَشيع مِنهم العَدوىٰ، عَدوَىٰ الأَخلاقِ والضَّمائر، وعَدوَىٰ النَّهبِ والسَّلبِ وإِتلافِ الأَموال والتكلُّمِ في الأَعراضِ واستِعمالِ ما يضُرُّ بالعَقلَ مِن المُسكِراتِ والمخدِّراتِ وإِزهاقِ الأَنفُسِ واختِطافِ الثَّمرات، ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلاَرْضِ فَسَاداً اَنْ يُّقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَفٍ اَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلاَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلاَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: 35).

وهكَذا ينبغي لِلمسلِمين أَن يعتَنوا بهذه الأُمور في الذِّكرياتِ الإِسلامية، وخُصوصًا في ذِكرىٰ المَولدِ النَّبويِّ الشَّريف، لأَنَّه ﷺ بُعِثَ ليُتَمِّمَ مكارِمَ الأَخلاق[2]، فَينبغي لَنا أَن نَستَغِلَّ هذِه الذِّكرىٰ استِغلالًا يَستَفيد منه المجتَمعُ

=

وعقلَهم، ونَسلَهم، ومالَهم»، ثمَّ قال: «وهذه الأُصول الخمسة حِفظُها واقعٌ في رُتبة الضَّروريات».

(1) ما بين المعقوفتَين زيادة موجودة بالنُّسخة المنشورة.

(2) يشير إِلى حديث أَبي هريرة (رضي الله تعالىٰ عنه): «إِنَّما بعثت لأُمِّم مكارمَ الأخلاق»، الذي رواه مالك في الموطأ (1742) في الجامع، باب ماجاء في حسن الخلق، وأحمد في =

الإِسلامي.

فَما أَحوجَنا إِلىٰ أَن نَرجعَ إِلىٰ سِيرةِ الرَّسولِ ﷺ لنَتعرَّف كيفَ كان يُسيِّر الأُمَّة، وكيفَ كان يُعامِلُها بِالنُّصح والإِرشادِ والتَّوجيه، وهو أَحقُّ مَن نَهتَدي بِهَديِه، ونَسيرُ علَىٰ سنَّتِه، لأَنه مؤَيَّدٌ مِن ربِّه، ولأَنَّ خُططَه نَجحَت وأَثمَرت، فقَوِيَت شَوكةُ المسلِمين وعزَّت دَولتُهم وانتشَرت دَعوتُهم.

والآن نَرجع إِلىٰ ما كنَّا بِصَددِه، وهوَ ذِكرُ بَعضِ البلادِ الإِسلاميَّةِ التي تَحتفِل بِالمولدِ الشَّريف، وبعدَ أَن ذكَرنا الاِحتِفالَ في المَشرِق، مثل: العِراق، والحِجاز، ومصر، فَنقُول:

[الاِحتِفال بِالمولدِ النَّبويِّ في المغرِبِ الأَقصَى]:

إِنَّ **المملكة المغربية** من الدُّول الإِسلاميَّة التي تَحتفِل بِهذه الذِّكرىٰ ما يزيدُ علَىٰ سَبعةِ قُرونٍ إِلىٰ يَومِنا هَذا، وكان ابتِداءُ الاِحتفالِ في **المغربِ الأَقصى** أَواخِر القَرنِ السَّابع للهِجرة كما في (الجزء: 3، ص: 90) من **الاستِقصا لأَخبار دول المغرب الأَقصى**.

قال: «وفي سنَةِ إِحدَىٰ وتسعينَ وستّمائة (691هـ) أَمرَ السُّلطانُ يوسف بن يعقُوب بن عبد الحقِّ بِعَملِ المَولدِ وتَعظيمِه والاِحتِفالِ بِه، وصيَّره عِيدًا مِن

=

المسند (8952)، والبخاري في الأدب المفرد (273)، باب حسن الخلق، والبيهقي في السنن (20782) في الشَّهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، وغيرهم.

الأَعيادِ في جَميع بِلادِه، وذلك في شَهرِ رَبيع الأوَّل مِن السَّنةِ المذكُورة، وكان الأَمرُ به قَد صدَر عَنه وهوَ بِصَبرَة مِن بِلادِ الرِّيفِ بِآخِر صفَر مِن السَّنة، فَوصَلَ بِرَسمِ [1] إِقامتِه بِحَضرة فاس الفَقيه **أَبو يحيى بن أَبي الصبر**، وأَعلَمَ أَنه قَد كانَ سَبقَ السُّلطان **يوسف** إِلى هذِه المَنقَبة المَولودية **بنُو العزفي** (أَصحاب **سَبتة**) أَوَّل مَن أَحدَثَ عملَ المولدِ الكَريم، والله تَعالى أَعلَم» [2].

قال محقِّقه: «هَذا بِالمغرب، وأَمَّا بِالمشرق، فأَوَّلُ مَن أَحدثَه المِلكُ **المظفَّر** (صاحبُ **إِرْبِل**) أَواخِر المائة السَّادِسة».

ولأَهلِ المغرِب الأَقصَى عِناية كبيرة بِهذه الذِّكرى، فيُقيمونَ الحفَلات في المساجِد والزَّوايا والأَندِية.

[الاحتِفالُ بِالمولدِ النَّبويِّ في مَدينة تُوات]:

ولقَد كان أُستاذُنا الشَّيخ **الطَّاهر السِّباعي** [3] ـ مدَّةَ إِقامتِه في **تُوات** ـ يقيمُ

---

(1) في الأَصل: «فنصب»، والتَّصويب مِن المصدَر.

(2) الاستِقصا بِأَخبار دول المغرب الأَقصى (3/ 90) لأبي العباس أحمد بن خالد النَّاصري، تحقيق: جعفر النَّاصري ومحمد النَّاصري، دار الكتاب (الدار البيضاء)، سنة 1955م.

(3) هو العلَّامة الشَّيخ أحمد المشهور بـ: الطاهر بن عبد المعطي المراكشي السِّباعي الإدريسي الحسني، ولد بإقليم شيشاوة بالمغرب الأقصى سنة 1325هـ/ 1907م، ونشأ بمسقط رأسه، ثمَّ غادر بلاده إلى شنقيط واستقر بها، فعلَّم وأفاد، ثمَّ خرج منها إلى تيمبكتو وأقام فيها مدة يسيرة، ثم غادرها إلى أرض توات، واستقرَّ به الحال سنة 1940م، فأسَّس =

احتِفالا كبيرًا في لَيلةِ المولدِ الشَّريف، ويأتيه الطَّلبةُ مِن كلِّ الجِهات، وتُلقىٰ دروسٌ في السِّيرة النَّبويَّة، ويُطعَمُ فيها الطَّعام، وتُنشَدُ فيها القَصائِد المشتَمِلة علَىٰ مَدح النَّبيِّ ﷺ، فهو يَومٌ مَشهودٌ في **سالي** (مِن ضَواحي تُوات)، وكذلِك في قَصرِ **تُوات** من عين صالح إِلىٰ تبلكوزة، وأَهل موريطانيا كذلك يحتفِلونَ بالمولدِ النَّبويِّ، ويُوجِّهون الدَّعوةَ إِلىٰ بَعضِ البِلادِ الإِسلاميَّةِ لحضُور الاِحتِفال بِالمولدِ النَّبويِّ الشَّريف.

وكذلِك يقَع الاِحتِفالُ بِالمولدِ النَّبويِّ في سائرِ الدُّولِ الإِفريقيَّة.

[الاحتفالُ بِالمولدِ النَّبويِّ في دَولة مالي]:

فَفي دولة **مالي** وفي (**تنبكتو**) بِالذَّات، يقولُ الدكتور **محمَّد الغربي** في كتابِه:

= مدرسته الدِّينيةالطَّاهرية بسالي (من قصور توات) سنة 1362هـ/ 1943م، ثمَّ صار يتنقَّل بين الجزائر والمغرب الأَقصىٰ، إِلىٰ أن وفاه الأَجل سنة 1399هـ/ 1979م، من مؤَلَّفاته: فتوحات الإِله المالك علىٰ نظم أسهل المسالك في فقه الإِمام مالك، ونسيم النَّفحات مِن أَخبار توات ومَن بها مِن العلماء الثِّقات، ورفع الحرج والملام في أَكل المال المشكوك بالحرام، وله فتاوىٰ منتشِرة بين تلاميذه، انظر ترجمته في كتاب: الرِّحلة العلية (1/ 382 ـ 415) للمؤلِّف، دار المعرفة الدَّولية (الجزائر)، ط/ 1، سنة 2015م، فإِنَّه عقد فيه فَصلا ماتِعا تحت عنوان: مقتطفات مِن حياة شيخنا وإِمامنا، وقائِدِنا وأُستاذِنا، الشيخ العلَّامة النِّحرير، والقُدوة الشَّهير، البدر اللَّامع، والنُّور السَّاطع، المحرِز علىٰ قصب السَّبق في جميع المساعي، الشَّيخ الطاهر بن عبد المعطي السِّباعي.

بداية الحكم المغربي في السودان الغربي (ص: 621): «وكانت الإحتفالات بِالعيد النَّبويِّ تكتَسي طابِعًا فَريدًا في جميع أَقاليم المغربِ إِبَّانَ الحكم السَّعدي، بِما فيها السُّودان، وذلك لِأَنَّ يَومَ مَولدِ الرَّسول ﷺ كان هو العيدُ الرَّسمي للدَّولة، وكان النَّاسُ في (**تنبوكتو**) يخرُجونَ لَيلةَ المَولدِ النَّبويِّ إِلى الشَّوارع، ويأخُذونَ [بِضَربِ الطُّبول، ويَمدحُ المدَّاحون، ويزيِّنون المساجِدَ، ويخرجُ النَّاسُ رِجالا ونساءً، ويخرجن حَرائرهنَّ... إلخ]».

قال محقِّقه[1]: «كانَت الأَوامِرُ تصدُر سنَويًّا لِإقامةِ ذلك العيد علَى أَنماطٍ مِن الاحتِفالِ يقتَرِحُها المنصورُ نفسُه علَى جَميع الأَقاليم المَغرِبيَّة، بِحَيث تَشتمِل كلَّ أَيامِ شَهرِ رَبيع الأَوَّل، وكان يُطافُ في بَعضِ المدُنِ بِالشُّموع الكُبرى المُزخرَفة، ولا يزَالُ هذا الطَّوافُ يتمُّ حتَّى اليوم في مَدينة **سَلا** (شمال الرِّباط)، وتُقرأ قِصَّة المَولدِ في المشوَر والجوامع والدُّور، وتَعمل الفِرقُ الموسيقيَّة طيلةَ الشَّهرِ في بُيوتِ الأَغنياء، ويُلقي الشُّعراءُ قَصائِدَ مَديح الرَّسول التي تشيدُ بِمآثرِ الشُّرفاءِ السَّعديِّين، وكان حكَّام النَّواحي يتَصدَّقون أَو يَهبون مِن بُيوتِ مالِ الدَّولة في أَيامِ العيد» ابن القاضي/ المنتقى (ص: 33)، الفشتالي (ص: 222)، و(ص:243)[2].

---

(1) القائل هو مؤلِّفه والمعلِّق عليه، وهو الدكتور محمَّد الغربي، والنَّصُّ المعلَّق عليه ـ وقَد وضَعناه نحن بين معقوفتَين، تمييزًا له ـ أَخذه المؤلِّف محمَّد الغربي مِن كتاب: تذكرة النِّسيان في أخبار ملوك السُّودان، لمجهول، تحقيق: هوداس، باريس (1901م).

(2) بِداية الحكم المغربي في السُّودان الغربي (ص: 621) للدكتور محمَّد الغربي، إِشراف: =

[الاحتِفالُ بِالمولدِ النَّبويِّ في جُمهوريَّة الصُّومال] [1]:

وفي جُمهورية **الصُّومال** البلَد المسلم الذي يُعاني في هذا الوقتِ مِن الجوع والفِتَن، ويُقاسي مِن المِحَنِ التي لا تُحصَىٰ ولا تُستقصَىٰ، الأَمر الذي يَلينُ لَه قلبُ كلِّ مسلمٍ في كلِّ مُناسَبة، وخصُوصًا في ذِكرىٰ المولدِ الشَّريف، تلك الذِّكرىٰ التي تُذكِّرُنا مَظاهِر الرَّحمةِ والعَطف، والتَّضامُنِ والشَّفقَة، هَذا البلَد كانَت تَحتفِل بهذه الذِّكرىٰ وتُعطيها ما تَستَحِقُّه مِن الإِجلالِ والجمال، والمظهَر الرَّائع اللَّائق بِصاحبِ الذِّكرىٰ، حدَّثتنا بِذلك (**مجلَّة لِواء الإِسلام**)، تحتَ عُنوان: **الإِسلام في الصُّومال**، الصَّادرة في رَبيع الأوَّل مِن سنة أَربع وثَمانين وثلاثمائة وأَلف (1384هـ) [2]، ونحنُ نَذكُر ما وَردَ في المجلَّة المذكُورة، مِن دونِ أَن نَحكمَ لكلِّ ما يقَع أَنه مقبُول، أَو نحكُمَ علَىٰ أَنَّ كلَّ ما يقَع غَير مقبُول، لِأَنَّ الغَرضَ هو كَيفيةُ الاِحتِفال بِالمولدِ النَّبويِّ في هذه البلدةِ المُسلِمة، بِما فيه مِن إِيجابياتٍ

=

د.نقولا زياده، مؤسَّسة الخليج للطباعة والنَّشر (الكويت)، سنة 1982م.

(1) عن مظاهِر الاحتفال بِالمولد في الصُّومال وفي غيره مِن البلدان الإِسلامية، انظر: بغية الآمال في تاريخ الصُّومال (ص: 152 ـ 202) للشَّيخ عيدروس بن الشَّريف علي العيدروس النضيري العلوي، شركة مطبعة السَّلام (أسيوط).

(2) انظر: مجلة لواء الإِسلام، الإسلام في الصُّومال، موسىٰ جلال أحمد، العدد: 10، سنة1384هـ/ 1964م، (ص: 635 ـ 636)، وهي مجلة دينية ثقافية اجتماعية، صدرت بالقاهرة سنة 1947م، وصدر آخر عدد منها سنة 1994م.

وسلبِيات [1].

وها أَنا أَكتُب ما وَرد في **المجلَّة** دونَ تصرُّف، وكاتِبُ المَقالةِ: **موسى جَلال أَحمد**، تحتَ عُنوان: **الإِسلام في الصُّومال:**

«مِن المظاهِر الإِسلاميةِ في **الصُّومال** الشَّقيقِ الطُّرق الصُّوفية، وهي ظاهِرةٌ دِينيَّة لها أَثرُها القَويُّ في عِباداتِ الصُّوماليِّين وعقائِدهِم، ولها أَيضًا أَثرها البَعيد في تَهذيبِ الطِّباع وتَربية النُّفوسِ وتَرقيقِ المشاعِر والعَواطف، وهيَ إِلىٰ جانبِ هَذا تقُومُ بِمُهِمَّةٍ كبيرةٍ في تَعليمِ النَّاس، وتُعتَبر بِمَثابة جامِعاتٍ شَعبِيَّة يتَعلَّم فيها الشَّعبُ علَىٰ اختِلافِ أَعمارِه ومُستَوياتِه.

وقَد انتشَرت في بِلادِ **الصُّومال** في زَمنٍ بَعيد، ولا تَزالُ إِلىٰ يَومِنا هذا بِنَفسِ

---

(1) ساق المؤلِّف (رحمه الله تعالىٰ) هذا المقال بِقضِّه وقَضيضه، وضمَّنه كتابه هذا مِن غَير أن يتعرَّض لنقضِ ما وردَ فيه مِن مخالَفاتٍ، أو أَن ينتِقِد ما يَحويه مِن مجازفات، لأنَّ غَرضَه مِن هذا النَّقل هو بيان: «كَيفية الاِحتِفال بِالمولدِ النَّبويِّ في هذه البلدةِ المُسلِمة»، مِن غير التِفاتٍ إِلىٰ ما فيه «مِن إِيجابياتٍ وسلبِيات»، ودونِ أَن يحكمَ علىٰ جملة مِن هذه التَّصرُّفات التي تحدُث بهذه المناسبة بالقبول أَو الرَّدِّ، وعليه فإِنَّ قصد المؤلِّف (رحمه الله تعالىٰ) من عرض هذه النَّماذج والصُّور مِن الاحتفالات بالمولد في بعض البلدان الإِسلامية إِنَّما هو بيان اهتمامِ المسلمين بهذه المناسبة وتعظيمهم لها، لا موافقتهم في طَريقة الاحتفال بها، ولبيان شناعة ما يحدُث في مثل هذه المناسبات، انظر كتاب: السُّنن والمبتَدعات (ص: 122 ـ 124) للشَّيخ محمَّد بن عبد السَّلام خضر الشقيري، مكتبة ابن تيمية (القاهرة).

القوَّة التي بدأَت حَياتَها بِها، لم تفتَر ولم تَضعف ولم تجرِ فيها المدنيَّة المتطَوِّرة التي سَرت في البِلاد، حاضِرها السَّعيد الحرّ الواعي، وهي أَيضًا لها مكانتُها المَرموقَة الرَّفيعة في نفُوسِ المواطنين، لا تُعابُ ولا تُشاب، ولا تُحارَبُ ولا تُصدُّ عَن نَشاطِها البنَّاءِ مِن أَيَّةِ جِهةٍ أَو هَيئةٍ أَو جَماعَة.

هَذا، والمشهورُ مِن الطُّرقِ في **الصُّومال**[1]: **الطَّريقة القادرية، والطَّريقة الأَحمديَّة،** ولكلٍّ مِنهُما شُعبٌ وفُروعٌ كثيرة، كما أَنَّ لِكلٍّ مِنهما نُظمها وتقاليدها وأَدعيتها وأَورادها التي يَرعاها، ويَحرِصُ علَيها الخلفاءُ والمُريدون، كما أَنَّ لِكلِّ طَريقةٍ علَما خاصًّا بِها، تَرفعُه رَمزًا لها في كلِّ المناسَباتِ الدِّينية، وهذِه الطُّرقُ جَميعُها تَلتقي في كلِّ عامٍ مرَّةً واحِدةً في مكانٍ عامٍّ بِالمَحفَلِ الإِسلامي في مَدينة (مقديشو) لإِحياءِ ذِكرىٰ ميلادِ الرَّسول (عليه الصَّلاةُ والسَّلام)، وهو يَومٌ خالِدٌ بحقٍّ، يَظهَر فيه الجلالُ والجمال، والمظهَر الرائع اللائق بِصاحبِ الذِّكرىٰ (صَلواتُ الله علَيه)، وتَشتَرِكُ الدَّولةُ معَ رِجالِ الطُّرقِ الصُّوفية، ويجتَمعُ الشَّعبُ كلُّه في هَذا المكانِ الرَّحيبِ المُترامي الأَطرافِ الواسِع، ليَستَمِعَ إِلىٰ ما يُقالُ مِن سِيرةِ النَّبيِّ (عليه الصَّلاةُ والسَّلام)، وليَرىٰ الحفاوةَ الحيَّة النَّابِضة، والاحتفالَ الضَّخمَ العِملاقَ النَّادِر بِمَولد رَسولِ الإِنسانية، وفيه تُلقَىٰ كلمة رئيس الحفلِ الإِسلامي، وكلِمة الدَّولة، وكلِمة الجمهوريَّة العَربيَّة المتَّحِدَة،

---

(1) عن الطرق الصُّوفية المنتشرة في الصُّومال، انظر: بغية الآمال في تاريخ الصُّومال (ص:217 ـ 224) للشَّيخ عيدروس بن الشَّريف علي العيدروس.

وكلِمة البِعثَةِ الأَزهرية، ثمَّ السِّيرة النَّبويَّة، وتُختَم الحفلةُ بِالقُرآنِ الكريم، ثمَّ تقومُ[1] كلُّ هَيئَةٍ بعدَ هَذا الحفلِ بِحَفلِها الخاصِّ، في مكانها الخاصِّ، في رَوعَةٍ وقوَّةٍ وجَلالٍ وعظَمة، ويُنقلُ هذا الإِحتِفالُ عَن طَريقِ الإِذاعةِ الصُّومالية إِلىٰ سائرِ المدُنِ والقُرىٰ، وتكتُبُ عنه الصُّحفُ الصُّومالية بِاهتمامٍ بالغ، إِلىٰ حدِّ إِفرادِ عدَدٍ خاصٍّ بِه، وتَنشُر كلَّ الكلماتِ التي أُلقيت بِاللُّغة العَربيَّة الفَصيحة كَما نطقَ بِها الخطباءُ في الحفل، وتكتُب عنه أَيضًا المَجلَّاتِ العَربيَّة التي تَصدُر في **الصُّومال**، كـ: (**مجلَّة الرِّسالة الأَزهرية**) التي تُصدِرُها البِعثةُ الأَزهَريَّة بِالصُّومال، وكـ: (**مجلَّة المركز الثَّقافي الإِسلامي**) التي يُصدِرُها (**المركز الثَّقافي الإِسلامي العربي بالصُّومال**)، وكـ: (**مجلَّة البعثة التَّعليميَّة للجُمهوريَّة العَربيَّةِ المتَّحِدَةِ** بِالصُّومال)، وكـ: (**نَشرة الصَّحافة والإِعلامِ العَربي بِالصُّومال**)، ويكفينا هَذا بِاختِصار عَن تَلاقي الطُّرقِ الصُّوفية في الإِحتفالِ بِالمَولدِ في **الصُّومال** في عاصِمة **مقديشو**، وإِن كان هَذا التَّلاقي يَظهَر بِصُورةٍ واضِحَةٍ في كلِّ المدُنِ والقُرىٰ الصُّومالية مِن رِجالِ الطُّرقِ الصُّوفية في كلِّ مُناسَبةٍ دينيَّة، وخاصَّةً المولد النَّبويّ، ولقَد رأَيتُ هَذا التَّلاقي العَظيم الفَريد في العاصِمة، وفي مَدينةِ **هرجيسا**، وفي مَدينةِ **كسمايو**، وفي مَدينةِ **برعو**، أَيامَ إِقامتي بِالصُّومال.

هذا، وجميعُ أَدعيةِ وأَورادِ وأَناشيد وأَقوالِ رِجالِ الطُّرقِ بِاللُّغةِ العَربية الفَصيحةِ السَّليمة، ولَهم مَدائح ومَواعِظ بليغةٌ هادِفَة، تحرِّكُ العَواطِفَ وتَهزُّ

(1) في الأَصل: «تقُول»، والتَّصويب مأخوذٌ مِن التَّصحيحات المرقُومة بهامشِ النُّسخة المنشورة.

المشاعِر، وتَصِلُ إِلىٰ القلُوب.

ومَلابِسُ رِجالِ الطُّرقِ ومَظاهِرُهم كرِجالِ الطُّرقِ عِندَنا، مِن عَمائم خَضـراء، ولِحىً طَويلة مُسترَسلَة، ومَلابِس زاهِية، وفي مَواكبِهِم الطُّبولُ والموسيقَىٰ والرَّقص المتَّزن، والِّذكر والأَنوار في المقدِّمة، والأَعلام الكثيرة، وركوبُ الخليفة أَو المُريد علَىٰ فَرسٍ محاطَةٍ بِالأَعلامِ والتَّلاميذ والحفاوَة، والسُّيوف المَشروعة والحِراب القائِمة، وهذِه المَواكبُ تَمُرُّ في المدينة حتَّىٰ تَصِلَ إِلىٰ مكانِ المَحفَلِ العامِّ، في صورة محبَّبةٍ مَقبولةٍ جَميلة بَهيجة، ولكلِّ طَريقةٍ أَنصارٌ يَمدُّونَها بِالمالِ والجاهِ والمدَد، حتَّىٰ تَستَمِرَّ وتتَّسِعَ وتعمَّ كلَّ البِلاد، وأَشهرُ الفُروع مِن **الطَّريقة القادرية الزَّيلعيَّة**، المنسُوبة إِلىٰ الشَّيخ عبد الرَّحمن **الزَّيلعي**، و**الأُويسيَّة**، المنسوبة إِلىٰ الشَّيخ **أُويس القَرني**، ومِن **الطَّريقةِ الأَحمدية**، و**الرَّحمانية**، و**الرَّشيدية**، و**الختمية** أَو **الميرغية**، وسنتَعرَّضُ بِالتَّفصيلِ لِكلِّ طَريقةٍ في مَقالٍ آخَر، حتَّىٰ تَتمَّ المَعرفة الكامِلة بِهذه الفُروع، ونَعرِضُ أَمثِلةً مِن مَدائِحهِم وأَدعيتِهِم، وبعضِ كتُبِهم المؤَلَّفةِ منهم، والمطبوعةِ في **مصر** و**عدَن** وبعضِ البِلادِ العَربيةِ الأُخرىٰ.

وبِالجملة، فالطُّرقُ الصُّوفية في **الصُّومال** تلقَىٰ إِقبالًا عَظيما مِن النَّاسِ جَميعا، حتَّىٰ كادَ لا يندُّ عنها مُسلِمٌ واحِدٌ مِن المسلمينَ بِهذه البِلاد، وحتَّىٰ أَصبحَت عادةً أَو مَذهبًا أَو طَريقًا لِكلِّ النَّاسِ بِلا مُبالَغة، وقَد تَعجَب حينَ تَسمَع علَىٰ أَلسِنَةِ النَّاسِ في

الصُّومال: **مَن لا شَيخَ له، فَشيخُه الشَّيطان**[1]، وبهذا تجِد التَّعليلَ الكافي في إجماع الصُّوماليِّينَ علَىٰ الاِنتِسابِ إلىٰ الطُّرقِ الصُّوفيَّة، وحين نَعلَم أَيضًا أَنَّ الاِستِعمارَ بِجَميع أَلوانِه في **الصُّومال** الكَبير كان يَرهَب الطُّرقَ الصُّوفيَّة، وكان يخافُها ويخشاها ولا يتَصدَّىٰ لها، لِأَنه إِذا تَصدَّىٰ لها سَرىٰ صياحٌ عارِمٌ في النَّاس، وثَورة جامِحة جارِفة مِن جُموعهِم، تَقتلعُ كلَّ شيءٍ في طَريقها، ولذلِك عاش عُمرَه الغارِب وهو يحسِبُ لها كلَّ حِساب، ويقدِّرُ لها وَزنَها في القَضاءِ علَيها، لِقوَّتها الرَّهيبة وغيرتها الدِّينية المَرعيَّة القَويَّة النَّافِذَة المتعلِّقة في النُّفوسِ والقلُوبِ والعقُولِ والضَّمائِر والدِّماء، ولهذا فإِنَّني أَعتَبِر أَوَّلَ أَثرٍ مِن آثارِ الطُّرقِ الصُّوفيَّة في **الصُّومال** المسلمِ أَنَّها كانَت بِحقٍّ الحِصنَ المَنيع والدِّرعَ الواقية التي حَمت **الصُّومالَ** مِن حَملاتِ التَّبشير الزَّاحِفةِ علَيه، ولا أَكونُ مُبالِغًا إِن قلت: إِنَّها الضَّربةُ القاتِلةُ التي أَصابَت التَّبشيرَ مِن أَوَّلِ حياتِه بِالصُّومال، فأَجهزَت علَيه، وجَعلَته أَثرًا بعدَ عَين، لا وُجودَ لَه، فَعلَىٰ الرَّغمِ مِن أَنَّ الاِستِعمارَ كان يُسانِدُه ويُساعِدُه ويَحميه، إِلَّا أَنه ماتَ في المهدِ وقَضىٰ علَيه قبلَ أَن يُطلِقَ الصَّيحةَ الأُولىٰ بِفَضلِ الطُّرقِ الصُّوفية ورِجالها المسلمينَ الأَقوياءِ والمخلِصين، ويكفي أَن نُشيرَ هنا إِشارةً عابِرةً، وسنَعرِضُ لها مُستقبَلا، بِأَنَّ أَوَّلَ ثَورة صُومالية علَىٰ الإِنجليز والاستِعمارِ في عَصرِنا هذا، كانت: **ثورة الدَّراويش**، بِقيادةِ البطلِ الشَّيخ **محمَّد** عبد **الله حسن**[2]، وقَد ظلَّت هذِه الثَّورة رُبعَ قَرنٍ مِن الزَّمانِ تُقاوِمُ المُستَعمِرين وتُحارِبُهم في

---

(1) مِن الكلمات المظلومة التي تحتاجُ إلىٰ تحرير سديد وتفسير مِن إِمام خبير.

(2) محمَّد بن عبد الله حسن نور: عالِم صوفي وقائد ومجاهد صومالي مشهور، ولد سنة 1864م =

أَرضِ **الصُّومال**، حتَّىٰ أَذاقَتهُم الوَيلَ والعَذاب، وجَعلَت مِن الأَدغالِ والغاباتِ مَقبرةً لهم.

فالطُّرقُ الصُّوفيَّةُ في **الصُّومال** آثارُها حيَّة وقائِمة، وهي قادِرَة إِلىٰ وَقتِنا هَذا أَن تخلِّصَ باقي **الصُّومال** الكبير مِن المُستَعمِرين، بِما تُشيعُه في النُّفوسِ والقلُوبِ مِن غيرةٍ ووَطنيَّةٍ وكَراهيةٍ لِلاستعمار، ومحبَّةٍ بينَ المُواطِنين، وجَمع الكلمة، حتَّىٰ تُجهِزَ علَىٰ الإِستعمار في **جِيبوتي** و**أنقدة**، وتخلِّصَ البِلادَ مِن العَدوِّ المُحتلِّ والدَّخيلِ في كلِّ أَراضيها، وهي أَيضًا قادِرة علَىٰ القيامِ بِكلِّ وَثبةٍ بنَّاءةٍ خلَّاقَةٍ في شتَّىٰ نَواحي الحياةِ لَو وسَّعَت آفاقَها وطوَّرت أَنظِمتَها، وهي إِلىٰ جانبِ هذِه وتلك، قادِرةٌ علَىٰ خَلقِ وَعيٍ مُتطلِّع طَموح مهذَّبٍ واعٍ، ينهَضُ ويَعمَل حتَّىٰ يعوِّضَ ما فاتَ الشَّعبَ مِن سِنينَ الغاصِب وأَيامِ الإِحتلال، وحتَّىٰ يحوِّلَ الأَدعيةَ والأَورادَ إِلىٰ نَشيدٍ خالِصٍ يردَّدُ في تَعبِيد الطُّرقِ وبِناءِ المصانع وشقِّ التُّرَع[1] وغَرسِ الأَرضِ البِكر، وتَخطيطِ المَشروعاتِ الهادِفَةِ المَطلوبة للبِلاد، وتَوجيهِ النَّاسِ الواجِهةَ السَّليمةَ المتَوثِّبة الباقية في

=

بشمال الصُّومال، قاد الجهاد ضِدَّ الاحتلال البريطاني والإيطالي والإثيوبي في الصومال في مطلع القرن العشرين، كان يلقِّبه البريطانيون بـ: المُلَّا المجنون، استمرَّ في محاربة الاستعمار البريطاني للصومال إِلىٰ أَن توفي سنة 1920م، عن ثورته صدَّ البريطانيِّين، انظر: الصُّومال وطنا وشعبا (ص: 193 ـ 198) تأليف محمد عبد المنعم يونس، دار النَّهضة العربية (القاهرة)، ط/ 1، سنة1962م.

(1) كذا في الأَصل، والمقصود هنا تتبُّع مَوارد المياه وحفر الآبار، وفي النسخة المنشورة: «النزع» !

الدِّينِ والدُّنيا، والله يُوفِّقها إلىٰ ما فيه الخير لهذا البِلادِ المُسلمِ الشَّقيق» اهـ ما جاءَ في (**مجلَّة لِواء الإسلام**) بِجَواهِر حُروفِه، وهذا إن دلَّ علَىٰ شَيء، فإنَّه يَدلُّ علَىٰ أَنَّ الاِحتِفالَ بِالمَولدِ النَّبويِّ الشَّريفِ لم يكُن مُنحَصِرًا في جِهةٍ مُعيَّنة، ولا في فِئَةٍ مُعيَّنة، بل عمَّ سائرَ الأَقطارِ الإِسلامية، علَىٰ اختِلافِ مَشارِبِهم وأَلوانِهم ولُغاتِهم واعتِقاداتِهم، يظهَر ذلِك مِن خِلالِ هاتِه النَّماذج الحيَّة.

ويجدُر بِنا في هذِه الآوِنَة الحرِجَة التي يَعيشُ فيها المسلِمونَ مِن أَبناءِ **الصُّومال** في الفِتَنِ والتفرُّق، والموتِ مِن الجوع الشَّديدِ الذي جرَّد اللَّحمَ عَن العِظام، وصيَّر هؤُلاءِ المسلِمين في حاجةٍ إلىٰ مُساعدَةِ إِخوانِهم المُسلِمين، يجِبُ علَينا أَن نَنتَهِزَ فُرصةَ ذِكرىٰ المولدِ فنُخصِّص فيها عِنايةً مَلحوظةً بِهؤُلاءِ المسلمين الذين أَدَّت بِهم الحاجةُ إلىٰ مدِّ أَيديهِم إلىٰ الصَّليبيِّين الذين لا يَرقُبون فيهم إِلًّا ولا ذِمَّة، ولا يُساعِدُونَهم إِلَّا علَىٰ حِساب المَسِّ بعقيدتِهم الإِسلامية، فعلَىٰ المسلِمينَ أَن يقُوموا بِسَدِّ هَذا الطَّريقِ في وَجهِ الصَّليبيِّين، وأَن يَمدُّوهُم بكلِّ إِعانةٍ ومُساعَدة، يُنقِذون بِها إِخوانَهم مِن أَلمِ الجوع وأَلمِ الفِتنةِ في العقيدةِ والدِّينِ بكلِّ ما يَستطيعون، كما يجِبُ علَىٰ المسلِمينَ أَن ينتَهِزوا فُرصةَ المولدِ النَّبويِّ لِكَي يُواصِلوا التَّعريفَ بِالسِّيرة النَّبويَّة، ويجدِّدوا الدَّعوةَ إلىٰ المبادئ الإِسلامية والأَحكامِ الشَّرعية، ونَحن مُحتاجونَ إلىٰ هَذا في مجتَمعِنا المُعاصِر المسلِم، لأَنَّ المُجتَمعات تَغمُرها الآن بِحارٌ وأَنهارٌ كثيرة جِدًّا مِن الثَّقافةِ الطَّارئة أَو البَعيدةِ عَن الفِكرِ الإِسلامي، فبِجوارِ هَذا الطُّوفان مِن أَلوانِ الثَّقافةِ الماديَّةِ والاِجتماعيَّةِ والفَتيَّة يجِبُ أَن يكونَ هناك رَصيدٌ كافٍ مُستَمدٌّ مِن ينابيع الثَّقافةِ الإِسلامية، مِن الكتابِ والسُّنة،

والمجال يتَّسِع لمدِّ النَّاس بِهذا المدَدِ في أَمثالِ هذه المناسَبات في ذِكرىٰ المَولد وفي يَومِ الهِجرة أَو ذِكرىٰ بَدر أَو ذِكرىٰ فَتح مكَّة أَو لَيلة النِّصفِ مِن شَعبان أَو لَيلة الإِسراءِ أَو لَيلتَي العِيدَين، وفيما يتعلَّقُ بِالاِحتِفال بِذكرىٰ المولدِ يَنبغي أَن نَجعَل أَوَّلَ دَرسٍ يتلقَّاه التَّلاميذ والطَّلبة عِندَ مُرور هذِه الذِّكرىٰ: عَن شَخصيَّةِ الرَّسولِ ﷺ، وأَن نُعمِّمَ ذلِك في جَميع مَراحِل التَّعليم، مِن أَوَّل صَفٍّ مِن الدِّراسةِ الاِبتدائية، إِلىٰ آخِر مَرحلَةٍ في الدِّراساتِ الجامِعيَّة، وذلِك بجِوار الكِتابةِ عَن الرَّسولِ ودَعوتِه في الصُّحفِ والمجلَّات، وإِلقاءِ المُحاضَراتِ وعَقدِ النَّدوات، وجَعلِ يَومِ المولدِ مُناسبةً لمؤشِّراتٍ إِسلاميَّة، وتَوزيع جَوائزَ لحفَظةِ القرآنِ والحديث، وأَن نَتصدَّقَ علَىٰ الفُقراءِ والمَعوقينَ واليتامَىٰ، لأَنَّه ﷺ كان يتيما، فَقدَ أَباه وهوَ حِمْلٌ، وفقَدَ أُمَّه وهو طِفل، ومعَ ذلك استَطاعَ هذا اليتيم أَن يكونَ أَعظَم مُصلح في الوجودِ تفضَّلَ ربُّه تَبارك وتَعالىٰ علَيه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ﴾ (الضحىٰ: 6).

فَينبغي لِلمُسلِمينَ أَن يتهَزُوا فُرصةَ ذِكرىٰ المَولدِ النَّبوي، فيُخصِّصوا فيها عِنايةً مَلحوظة بِاليتامَىٰ والضُّعفاءِ والقاصِرين لا بالعطفِ أَو الإِحسان إِليهِم فحَسب، بل علَىٰ المُسلِمينَ أَن يؤَدُّوا إِلىٰ هؤُلاءِ جَميعَ الحقوقِ التي شَرعَها الإِسلام، وأَن يزادوا علَيها ما يَستَطيعُه المُجتمع المعاصِر، وأَن يَمتدَّ هَذا العَونُ حتَّىٰ يعُمَّ المُسلِمين أَينَما كانوا، سَواء في إِفريقيا أَو في آسيا أَو في بُقعةٍ مِن العالمِ، وخُصوصًا الأَقليَّة الإِسلامية التي تُعاني مِن الاِضطِهاد والضَّغطِ الصَّليبيِّ والصُّهيوني، وأَن يجعلُوا نصبَ أَعينهِم قَوله ﷺ: «مثَلُ المؤمنينَ في تَوادِّهِم وتَعاطُفِهم، كَمثَلِ الجسدِ الواحِد، إِذا اشتكَىٰ منه عُضوٌ تَداعَىٰ لَه

سائِرُ الجسَدِ بِالسَّهَرِ والحمَّىٰ» [1]، أَو كما قال.

(1) رواه أحمد في المسند (18373)، والبخاري (6011) في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ومسلم (2586) في البرِّ والصِّلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، من حديث النعمان بن بشير (رضي الله تعالى عنهما).

الفصل الرابع :
يشتَمِل على لَمحةٍ مِن السِّيرة النَّبويَّة

قَد كنتُ أَلقيتُ محاضرةً في هذا الموضوع أَمَام الأَساتِذة والمعلِّمين والطَّلبة بِمُناسبة الاحتِفال بذِكرىٰ المولد النَّبوي، وبعدَ حذفِ ما لا تَدعو الحاجةُ إِليه، أَقول ـ وحَسبي الله ونِعمَ الوكيل ـ:

عَن **ابنِ عبَّاس** (رضي الله عنهما): قال: «بُعِثَ رسولُ الله ﷺ لأَربعينَ سنة، فمكثَ بِمكَّةَ ثلاث عشَرة سنة يُوحَىٰ إِليه، ثمَّ أُمِر بالهِجرة ـ أَي: إِلىٰ المدينة ـ فَهاجَر إِليها وأَقام بها عشر سِنين، وماتَ وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّين سنة» رواه **الشَّيخان** [1].

قد قَضىٰ رسولُ الله ﷺ **بمكَّة** بعدَ الرِّسالة ثلاث عشَر سنة ينزل فيها قرآنٌ مكِّي يقنع العقولَ والقلوبَ بِدَعوة التَّوحيد الحقِّ، وينطقُ بالحجَّة البالِغة علىٰ كلِّ مُعانِد أَو مكابِر، ويغزُو القلوبَ بِمَعناه ومَبناه وطَلاوته، ثمَّ هاجَر إِلىٰ **المدينة** وقَضىٰ بها عشرَ سِنين قبلَ وفاتِه، ينزِل فيها قرآنٌ مدنيٌّ يُشرِّع أَحكامَ العباداتِ والمعاملاتِ والمعاهداتِ والحربِ والسِّلم، ولم يفرِّط في شيءٍ تَحتاجُه الإِنسانية في كلِّ زمانٍ ومكان إِلَّا بيَّنته وفصَّلته تَفصيلا، ذلك لأَنَّ القرآنَ الكريمَ كتابُ

---

(1) البخاري (3902) في المناقب، باب هجرة النبيِّ ﷺ وأَصحابه إِلىٰ المدينة، ومسلم (2351) في الفضائل، باب كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة؟ والحديث رواه أيضا أَحمد في المسند (3429)، وغيره.

الكَون، ودستورُ السَّماء، ومعجزةُ المصطفَىٰ في دورة الفلكِ علَىٰ حَسبِ السِّنين والأَيام، فقسَّم القرآنُ الكريم حَياةَ الرَّسولِ قبلَ الرِّسالة إِلىٰ ثلاثِ مَراحل:

1/ **مَرحلة اليُتمِ بعدَ ولادتِه ﷺ.**

2/ **مَرحلة الفَقرِ حين انشِغالِه بالتِّجارة.**

3/ **مرحلة الحيرة،**

وهي حالة تأمُّلٍ شَديد، كانت تَعتَريه منذُ شبَّ، وازدادَت عِند مُشارفتِه علَىٰ الأَربعين وهو يتعبَّد في **غارِ حِراء**، ويتَفكَّر في مَلكوتِ السَّماواتِ والأَرض، ويحقِّق قلبَه بِتَوحيد الله، ويَرىٰ الله في كلِّ شيء، ثمَّ لا يَرىٰ حَوله مِن النَّاسِ إِلَّا ساجِدا لِصنَم، أَو مُنتهِكًا لحرمةِ ضَعيفٍ فَقير أَو مُوغِلا في الشَّهواتِ السُّفلىٰ... إلخ، فيُناجِي ربَّه، فَيقول: «بِأَنوار السَّماوات والأَرض، نوِّر قَلبي بِنُورك، واهدِني إِليك لأهدي هذا العالمِ الحائر الضَّالّ»، وهكذا حتَّىٰ شرحَ اللهُ صدرَه، ووضَع عنه وِزرَه الذي أنقضَ ظَهرَه، ورفَع ذِكرَه، فَجاءَه الأَمينُ **جبرائيل** بِقَوله: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ (العلق: 1).

هذه الأَطوار الثَّلاث التي تحمل حياةَ النبيِّ ﷺ قبلَ البِعثة قصَّها اللهُ علينا في محكمِ كتابِه الكريم، إِذ يقول: بسمِ الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ (الضُّحىٰ: 1 ـ 2)... إلخ السُّورة.

الأَحداث التي صاحَبت وِلادتَه (عليه السَّلام):

وُلد (صلواتُ الله وسَلامُه علَيه) يوم الاثنين الثَّاني عشَر مِن رَبيع الأوَّل [1]، بعدَ حادِثة الفيل المشهورة، فولَدته أُمُّه ﷺ **آمِنة بنت وهب** بعدَ أَن تُوفي أَبوه وهو حملٌ في بطنِها، فلَم تجِد لحملِه مشقَّة ولا نَصبا [2] كما تحدَّثت بِذلك هي نفسها، وقالت: «لقد عَلِقْتُ بِه، فَما وجَدتُ له مشقَّة حتَّى وضَعَته، فلمَّا فصل منِّي خرجَ وله نورٌ أَضاءَ له ما بين المشرِق والمغرب، ثمَّ وقعَ علَى الأَرضِ معتَمِدا علَى يدَيه، رافعًا رأسَه إِلى السَّماء» [3].

وفي تلك اللَّيلة الغرَّاءِ فُوجِئَ العالمِ بِأَحداثٍ عظيمة، اندهشَت لها العقول، وتحيَّرت فيها الأَفهام.

فَهذا إِيوانُ كِسرى، وهو البناءُ المحكَم العَجيب الذي كانوا يظنُّون أَنه لا يُزعزِعه أَيّ حادِث مِن الأَحداث، أُصيبَ بِرجَّةٍ عَنيفة صدَعت أَركانَه وأَسقَطت

---

(1) ما ذكره المؤلِّف هو المشهور في كتب السِّيرة، وهناك أَقوال أُخرى، انظرها في: جامع الآثار في السِّيَر ومولد المختار (2/ 488 ـ 501) لابن ناصر الدِّين الدِّمشقي، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية (1/ 243 ـ 254)، دار الكتُب العِلمية (بيروت)، ط/ 1، سنة1417هـ/ 1996م.

(2) في الأَصل: «صبا»، والتَّصويب من النُّسخة المنشورة.

(3) رواه ابن سعد في الطَّبقات الكبرى (1/ 102)، في ذكر مَولد رسول الله ﷺ.

البعضَ مِن شُرفاتِه [1].

كما أَنَّ نارَ أَهلِ فارس التي كانوا يعبدُونَها ويقدِّسونَها، وقَد مرَّت علَيها الدُّهور والأَحقاب لم تخمد، في تلك اللَّيلة خَمدت [2].

ومِن ذلك **بُحيرة ساوة** [3]، وكانت بِركة عَظيمة تَسيرُ فيها السُّفن للبلدانِ

---

(1) قال الشَّيخ محمَّد الغزالي (رحمه الله تعالى) في فقه السيرة (ص: 62): «وقد كانت رسالة محمد بن عبد الله ﷺ أخطر ثورة عرفها العالم للتحرُّر العقلي والمادي، وكان جند القرآن أعدل رجال وعاهم التاريخُ وأحصىٰ فِعالهم في تدويخ المستبدِّين، وكسرِ شَوكتهم، طاغية إثر طاغية، فلما أحبَّ الناسُ ـ بعد انطلاقهِم مِن قُيود العَسف ـ تَصويرَ هذِه الحقيقة، تخيَّلوا هذِه الإِرهاصات، وأَحدَثوا لها الرِّواياتِ الواهية، ومحمد ﷺ غنيٌّ عَن هذا كلِّه، فإنَّ نَصيبَه الضَّخم مِن الواقع المشرِّف يزهِّدُنا في هذِه الرِّواياتِ وأَشباهِها»، طبعة دار القلم (دمشق)، ط/ 1، سنة 1427هـ.

(2) البيهقي في دلائل النبوَّة (1/ 126)، باب ما جاء في ارتِجاس إيوان كسرىٰ وسقُوط شُرفه، ورؤيا الموبَذان، وخمود النِّيران، وغير ذلك من الآيات، ليلة وُلدَ رسولُ الله ﷺ، وابن أبي الدنيا في هواتف الجن (16)، وراجع: جامع الآثار (3/ 46) لابن ناصر الدين الدِّمشقي.

(3) بُحيرة ساوة: بحيرة كبيرة تقَع بين همدان وقُم مِن إيران، وقوله: «غاضَت»، أَي: غارَ ماؤُها وذَهب، وحديث خمود نار الفُرس، وغور بُحيرة ساوة وغير ذلك مِن الإِرهاصات التي وافقَت مولد النَّبيِّ ﷺ أَخرجَه الخرائطي في هواتف الجنان (ص: 57)، والبيهقي في دلائل النبوَّة (1/ 126)، وأَبي نعيم في الدَّلائل (1/ 138)، والطَّبري في تارِيخه (2/ 138)، وغيرهم، وإسنادها لا يصحُّ، قال الشَّيخ محمَّد الغزالي (رحمه الله تعالى) في كتابِه الماتع فقه =

التي حَولها، غاضَت هي الأُخرىٰ ليلةَ ميلادِ النَّبيِّ ﷺ.

ومِن الأَحداثِ التي ظهَرت تِلك اللَّيلة، أَنَّ تَهافُتَ الجنِّ مَلأَ الأَسماعَ بِالثَّناءِ علىٰ صاحبِ الخلقِ المِفضال [1].

كلُّ هذه الكائِنات شاركَت في الاحتِفالِ بِمَولده ﷺ، وكذلك شاعَ وذاعَ بين النَّاس، فلَم تجِد عقُولهم القاصِرة إِلىٰ فَهمِ ذلك سَبيلا، فَقام جدُّه عبد ال**مطَّلِب** بتَسميته، وسمَّاه: **(محمَّدا)**، وصنَع طعامًا دعَىٰ إِلَيه أَشراف قُريش، ولَمَّا أَكلوا سأَلوه: ماذا سمَّيتَ ابنَك، فكان جَوابه: سمَّيتُه محمَّدا، فاندَهشَ القوم، وسأَلوه: لماذا رغبتَ عَن أَسماءِ آبائِك !؟ أَجاب: «رجَوتُ أَن يحمَد في السَّماءِ والأَرض» [2].

=

السِّيرة (ص: 61): «وقد روَىٰ البعضُ أنَّ إِرهاصاتٍ بِالبعثة وقَعت عِندَ الميلاد، فَسقَطت أَربع عشرةَ شُرفة مِن إِيوانِ كِسرىٰ، وخَمدت النَّارُ التي يَعبدُها المجوس؛ وانهدَمت الكنائِس حَولَ بُحيرة ساوة بعدَ أَن غاضَت»، ثمَّ أَوردَ أبياتا من بردة البوصيري تحدَّث فيها عن هذه الإِرهاصات، وتعقَّبها بِقَوله: «وهذا الكلام تَعبيرٌ غلط عَن فِكرة صَحيحة، فإِنَّ ميلادَ محمَّد (عليه الصَّلاةُ والسَّلام) كان حقًّا إِيذانًا بِزوال الظُّلمِ وانِدثارِ عَهدِه وانِدكاكِ مَعالِمه».

(1) راجع: جامع الآثار (3/ 87 ـ فَما بعد) لابن ناصر الدين الدِّمشقي.

(2) راجع: جامع الآثار (3/ 106 ـ فَما بعد) لابن ناصر الدين الدِّمشقي، وقد صنَّف العلماء في أسماء النبيِّ ﷺ مصنَّفات، ذكر بعضها الدكتور صلاح الدِّين المنجد في: معجم ما أُلِّف =

فحقَّق اللهُ سبحانه رجاءَه، وبلَّغه في المولود آمالَه، فكان محموداً في الدُّنيا، وسَيبعثه الله المقامَ المحمود في الآخِرة، حيثُ يَغبِطه الأَنبياء، ويشفع في جَميعهِم (صلواتُ الله وسَلامُه علَيهِم) أَجمعين.

رِضاعُه ﷺ [ونشأَته] (1):

كان الشَّأنُ في القُرشيات أَنهنَّ لا يُرضِعنَ أَولادهنَّ، فلمَّا وُلد ﷺ تَداولَت إِرضاعَه: **ثوبية** (مَولاة أَبي لهب)، و**أُمّ أَيمَن بركة الحبشية**، وكان مِن عادةِ مُرضعاتِ البادية أَنَّهنَّ يأتين مكَّة يحمِلنَ أَطفال القُرشيات يرضعنها طلبًا للأُجرة، فكلُّ امرأَةٍ عُرِضَ علَيها النَّبيُّ ﷺ تُعرِض عنه وتأبَى حَملَه لِما بِه مِن يُتم، لأَنَّ الغَرضَ والمقصودَ عِندَهنَّ الأُجرة، واليتيمُ مظنَّة الفَقرِ غالبا، حتَّى إِنَّ **حليمةَ السَّعدية** (2) رفَضته أوَّل الأَمر، لكن لما شاءَت القُدرةُ الإِلهية أَن تفُوزَ هي بِذلك الكنز العظيم، هيَّأَت لها الأَسباب، بأَن امتَنعَت النِّساءُ عَن مُعاملتها، فبقَت مُرتبِكة حتَّى عنَّ لها أَن تَتوجَّه **لِآمنة** لِتأخُذ مِنها ولدَها تُرضِعه، حتَّى لا تكون مَسخرةً بين أَترابِها، فَتناولَته (عليه السَّلام)، وناولَته ثَديَها الأَيسَر، فأَعرضَ

=

عن رسول الله ﷺ (ص: 37 ـ 40).

(1) ما بين المعقوفتين زيادة مِن النُّسخة المنشورة.

(2) خَبر إِرضاع حليمة السَّعديَّة (رضي الله تعالى عنه) للنَّبيِّ ﷺ رواه ابن حبان في صحيحه (6335) في التَّاريخ، ذكر شقِّ جِبريل (عليه السَّلام) صدرَ المصطفى ﷺ في صِباه، ورواه غيره، انظر: جامع الآثار (3/ 252 ـ 279) لابن ناصر الدِّين الدِّمشقي.

عنه، فَناولَته الأَيمن، فالتقَمه، ثمَّ الأَيسَر فلَم يلتقِمه، لأَنه ﷺ كان مجبولا علَىٰ حبِّ التَّيمُّنِ مِن صِغَره، ومُلهما العدل مِن مَهدِه إِلىٰ لحدِه، فلَم يكُن لينتقِصَ مِن حقِّ أَخيه شيئا، ثمَّ إِنَّ **حليمةَ السَّعدية** ذَهبت بِه إِلىٰ البادية (بادية بني بكر) فَحصلَت لها بِه السَّعادة الحِسِّية والمعنَوية، وأَغدقَ اللهُ علَيها مِن الخير والبَركة بِفَضلِه أَمرا عظيما، فنَمت أَموالها، وازدَهرت أَحوالها، ورأَت مِن الخوارق الكثيرة الشَّيءَ الذي أَذهلَ لُبَّها، وأَلقىٰ اللهُ محبَّةَ ذلك المولود الكريم علىٰ قلبِها، فكانَت تكرَه أَن يُفارِقَها، فلمَّا تمَّ رِضاعه أَرجَعته إِلىٰ أُمِّه.

ثمَّ إِنَّ **آمنة** لَمَّا رأَت تعلُّقَ **حليمة** بِالمصطفىٰ الحبيبِ وأَعجَبها نُموَّه في البادية، أَرجَعته إِليها مرَّة أُخرىٰ، فَبقي ﷺ عِند **حليمة** إِلىٰ أَن رآه بعضُ نَصارىٰ الحبشة، وأَمعَنوا النَّظر فيه، وعلِموا أَنَّ له شأنا عظيما، التَمسوا منها أَن تُسلِّمَه إِليهم ليحمِلوه إِلىٰ ملكهِم، وما ذاك إِلَّا مكرٌ منهم، فحينئذٍ لم ترَ بُدًّا مِن أَن تُرجِعَه إِلىٰ أُمِّه، وقد أَلجأَها إِلىٰ ذلك أَيضا حادِثة شقِّ صَدرِه الشَّريف، فأَرجَعته إِلىٰ **مكَّة**، فلَم تَنشب أُمُّه أَن خَرجَت بِه ﷺ إِلىٰ **المدينة** إِلىٰ أَخوالها بِقَصدِ الزِّيارة، فلمَّا كرَّت **آمنة** راجِعة مِن **المدينة** تُوفِّيت أَثناءَ الطَّريق بِالأَبواء، فازدادَ (عليه السَّلام) يُتما علَىٰ يتم، وشاءَت إِرادةُ الله أَن يفقِدَ أَبوَيه وهو صَغير حتَّىٰ لا يترَتَّب علَيه حقٌّ لغَير مَولاه، فكان في كَفالةِ جدِّه عبد ال**مطَّلِب** الذي كان يحنُو علَيه، وكان يجِلُّه ويحترِمُه ويقرِّبه ويفضِّلُه علَىٰ أَولادِه، ويقُولُ في حقِّه: «إِنَّ لِابني هذا لَشأنًا

عَظيما» [1].

ثمَّ إِنَّ عبد **المطَّلِب** ماتَ والنَّبيُّ ﷺ في السَّنةِ الثَّامنة مِن عُمره، فعَهِدَ بِكفالتِه إِلىٰ **أَبي طالَب** (عمّ النَّبيِّ ﷺ)، لأَنه تفرَّسَ فيه امتِثالَ أَمرِه والوَفاءَ بِعَهدِه، فقامَ **أَبو طالب** هو الآخَر بِكفالة ابنِ أَخيه، وكان يحبُّه محبَّةً تفُوقُ محبَّته لأَولادِه، فلَم يكُن أَحدُهما يَصبِر علَىٰ فِراقِ الآخَر، وقَد شاهَد **أَبو طالب** منه (عليه السَّلام) آيات كثيرة، جَعلَته يتَنبَّأُ لَه بِالشَّأنِ العظيم، منها أَنَّه كان إِذا أَكلَ معَه المُصطفَىٰ مِن الطَّعامِ شَبِعَ جَميعُ الحاضِرين، وإِن كان الطَّعامُ قليلا، وفي كلِّ يَومٍ تَزدادُ الآيات، فمرَّةً يأخذُه ليَستَسقِيَ بِه مِن قَحطٍ أَصابَ أَهلَ مكَّة، فتَتهاطَل الأَمطارُ الغَزيرة، ومرَّة يتَحدَّث لَه **بحيرا** الرَّاهب عَن المُصطفَىٰ ويحثُّه علَيه، ويحذِّرُه علَيه مِن اليهود، وأَنه نبيُّ آخِر الزَّمان، وهكَذا ظلَّ المُصطفَىٰ الحبيب في قُريش طِوالَ أَربعينَ سنة، وهو مَوسومٌ بِالصِّدقِ وبِحُسنِ الأَخلاق، مِثالًا في الطَّاعةِ والأَمانة والوفاءِ بِالعهد، معَ أَنه نَشأَ يتيما أُمِّيًّا، لكن الله تعالىٰ هو الذي تَولَّىٰ تَربيَّته وتأديبَه، فكان ﷺ سيِّد المتأَدِّبين وقُدوتهم، وهذا ما يجعلُ السيِّدةَ **خديجة بنتَ خُويلد** ـ وهي أَعظمُ امرأَةٍ مالًا آنذاك في قُريش ـ تَرغَبُ في مُعاملَتِه، ليخرُجَ إِلىٰ **الشَّام** في

---

(1) قال الزرقاني في شرح المواهب (1/ 353): «ذكر ابن إسحاق: أَنه كان يُوضَع لعبد المطلب فراشٌ في ظلِّ الكعبة، وكان لا يجلس علَيه مِن بنيه أَحدٌ إِجلالا له، وكان ﷺ يأتي حتَّىٰ يجلس علَيه، فتَذهبُ أَعمامُه يؤَخِّرونَه، فيقولُ عبد المطلب: دَعوا ابني، ويَمسَح علَىٰ ظَهرِه بِيده، ويقول: إِنَّ لِابني هذا لَشأنا»، وراجع: الرَّوض الأُنف (1/ 195) للسُّهيلي.

تجارتها، فتَوجَّه ﷺ إلى **الشَّام** صُحبةَ **مَيسرة** (مَولى خَديجة)، فَشاهَد **مَيسرةُ** منه (عليه السَّلام) في سفَرِه ذلك مِن الخوارق والآياتِ الواضِحاتِ الأَمرَ العَجيب، وتَحدَّث إليه الرُّهبانُ الذين مرَّ بهِم في طَريقه عَن رَفيقه **محمَّد** ﷺ، وأَنه نَبيُّ آخِر الزَّمان، زِيادةً علَى ما شاهدَه مِن الرِّبح الكَثير في التِّجارة، فكان ذلك مِن أَكبَر الدَّوافع للسيِّدة **خَديجة** التي جَعلَتها تَرغَبُ في زَواجِه (علَيه السَّلام)، لأَنَّها تلقَّت هي الأُخرى كذلِكَ مِن الأَحبارِ بأَنَّه نبيُّ آخرِ الزَّمان، فاستَجابَ المصطفَى، وتزَوَّجها، وقد سبقَ له أَنه رعَى الغَنمَ علَى قَراريط لأَهلِ مكَّة، اقتضَت الحِكمةُ الإِلهيَّة أَن يَستلهِمَ منها كيفَ يُوجِّه الأُمَّة، وكيفَ يتَمَّرن علَى سياسةِ أَخلاقها المتباينة.

نُزولُ الوَحيِ وعَهدُ الرِّسالة:

ثمَّ إِنَّه لَمَّا عمَّ الجهلُ، واستَفحلَ الظُّلم، وعاشَ النَّاسُ في الهمَجيَّة، وسادَت عِبادةُ الأَصنامِ سائرَ الدُّنيا مثل الجزيرة العربية، انحطَّ النَّاسُ إلى دَرجةِ البهائم، فَلا أَخلاق ولا دين، إِلَّا شرب الخمور وانتهاك المحارم وأَكل الرِّبا، وقَد مرَّ علَى ميلادِ سيِّدِنا عيسى (عليه السَّلام) ستِّمائةَ سنة لم تَنزل فيه رِسالة، ولم يَسمَع النَّاسُ مَن يُذكِّرهُم بِآياتِ الله، تَداركَ اللهُ عبادَه بِرَحمتِه، فأَرسلَ إِليهِم رَسولًا مِن أَنفُسِهِم، أَشرفُهم نفسًا، وأَزكاهم مَحتِدًا، يَعرِفونَ صِدقَة وعَدلَه وأَمانتَه ونَزاهتَه، فكان هَذا الرَّسول الكَريم يتَعبَّد في غارِ حِراء في شَهرِ رَمضان، فَبينَما هو كذلك، إِذ تَبدَّى لَه **جِبريل**، فقال له: اِقرأ، أَجاب ﷺ: ما أَنا بِقارئ، فَضمَّه **جِبريل**، وهكَذا تكَرَّرت

الأَسئِلة والضَّمُّ مِن **جِبريل** والإِجابةُ مِن النَّبيِّ ﷺ ثلاث مرَّات، ثمَّ قال لَه **جبريل**: ﴿ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: 1 ـ 5)، فَرجعَ الحبيبُ (عليه السَّلام) إِلىٰ **خَديجةَ** يَرجِفُ فؤَادُه رُعبًا وخَشية، فقال لها: «ما لي ـ وأَخبَرها الخبَر ـ لقَد خَشيتُ علَىٰ نفسي ؟ فقالت: كلَّا، أَبشِر فَوالله لا يخزِيكَ اللهُ أَبدا، إِنَّك لتَصِل الرَّحِم، وتحمِل الكَلَّ، وتكسِبُ المَعدوم، وتقري الضَّيف، وتُعينُ علَىٰ نَوائب الحقِّ» (1).

خَديجة بِنت خُويلد كانت مِن الذينَ لهم نَباهة، فكانَت وَزيرَ صِدقٍ لِإِمامِ المُرسلين، ومِثالًا للإِخلاصِ له، فلَم يُخامِرها رَيبٌ في أَنَّه النَّبيُّ المُنتظَر، ولم تتَردَّد في أَنَّ الذي تَبدَّىٰ لَه وخاطَبه ملَكٌ مِن الملائكة، لِأَنه ﷺ متَمسِّكٌ بِأَخلاقِ التَّقوىٰ التي هي سَببُ النَّجاةِ والفَوز بِرضوانِ الله تَعالىٰ، فانطلَقت بِه إِلىٰ **ورقة بن توفل** (ابن عمِّها)، ذلِكُم الرَّجل الفذُّ الذي صدَّقَ النَّبيَّ ﷺ وآمنَ بِرسالتِه لأَوَّلِ وَهلة، وبشَّره بِأَنَّه نبيُّ آخرِ الزَّمان، وأَخبَره بِأَنَّه سيُخرج مِن مَوطنِه، وأَنَّ الذي تَبدَّىٰ لَه هو الملَكُ الذي أَتىٰ **موسى** (علَيه السَّلام)، وتمنَّىٰ **وَرقة** أَن لَو أَدركَ زَمنَ

---

(1) رواه أحمد في المسند (25959)، والبخاري (3) في باب بدأ الوحي، ومسلم (160) في الإيمان، باب بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ، وغيرهم مِن حديث أمِّ المؤمنين عائشة (رضي الله تعالىٰ عنها).

البِعثة حتَّىٰ ينصُر داعيَ الله نَصرا مؤَزَّرا [1].

ثمَّ انقطَعَ الوَحيُ ثَلاث سنَوات، ليشتاقَ إِليه الرَّسول، ويَطمئِنَّ قلبُه، ثمَّ بعدَ تِلك الفَترة أَنزلَ اللهُ علَيه ﷺ القرآنَ ليُنذِرَ النَّاسَ ويَدعُوَهم إِلىٰ عبادةِ الله وحدَه، فَنزلَ قَول الله تَعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ (المدثر: 1 ـ 5).

ثمَّ أُمِرَ بِعُمومِ الإِنذارِ والجهرِ بِالدَّعوة إِلىٰ الله تعالىٰ، بعدَ أَن كانت سِرًّا، فنَزلَ قَوله تَعالىٰ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر: 94)، وأَمَره أَن يَبدأَ أَوَّلا وقَبلَ كلِّ شَيءٍ بِأَقاربِه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (الشُّعراء: 213)، فَقامَ ﷺ متَحمِّلا أَعباءَ الرِّسالة، غَير مُكترِثٍ بِما يُلاقيه مِن أَذىٰ في سَبيلِ تَبليغها، فَصعِدَ الصَّفا ونادَىٰ: «يا صباحاه»، فاجتَمعَت علَيه قَبائِلُ قُريش، فقالَ لهم: «أَرأَيتُم لَو أَخبَرتكُم أَنَّ خَيلًا تَخرجُ علَيكُم مِن سَفح هذا الجبل، أَكُنتُم تُصدِّقوني ؟ قالوا: نعَم، ما جرَّبنا علَيكَ كذِبًا، قال: فإِنِّي نَذيرٌ لكُم بينَ يدَي عَذابٍ شَديد، فقالَ لَه **أَبو لهب**: تبًّا لك، أَلهذا جَمعتَنا، فأَنزلَ الله عزَّ

---

(1) قصَّة ورقَة بن نوفل (رضي الله تعالىٰ عنه) مذكورة في حديث عائشة (رضي الله تعالىٰ عنها) السَّابق، وقَد أفرد أخباره في جزء الإِمام برهان الدين إبراهيم البقاعي، حقَّق فيه إِسلامه، ورجَّح فيه أَيضا صحبتَه للنبيِّ ﷺ، سمَّاه: بذل النُّصح والشَّفقة للتَّعريف بِصُحبة السيِّد ورقَة، طبع بِتَحقيق: د. محمَّد نبيل طريفي، بِدار الفكر العربي (بيروت)، ط/ 1، سنة 2003م.

وجلَّ: ﴿تَبَّت يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: 1)... إلخ السُّورة[1]، فمِن يَومئذٍ اشتدَّت عَداوةُ **أَبي لهب** لَه ﷺ، وشاركَته في ذلِك امرأَته **أُمُّ جميل** (العَوراء)، التي كانت أَيضًا مِن أَلدِّ الأَعداءِ لِلحَبيبِ المُصطفَىٰ.

واستَمرَّ (عليه السَّلام) يَدعو إِلىٰ الله تعالىٰ بِكلِّ ثَبات، وبكلِّ جُرأَة وصُمود، لا يُثني عَزيمتَه الشَّامخة ما يُلاقيه مِن مُعارَضاتٍ كاذِبة، وادِّعاءاتٍ مُغرضة، رغمَ كثرة أَعدائِه ووحدَتِه ﷺ، فكان يخاطِبُ قُريشًا أَعداءَه في أَندِيتِهم بِتَسفيه أَحلامِهم وتَضليلِ آبائِهم، ويقُولُ لهم أَحيانا: «إِنِّي قَد جِئتكُم بِالذَّبح»[2]، فكان يأخذُهم الرُّعبُ لمقالِه، لِما يَعلمُون مِن صِدقِه، وهكَذا لم تزَل دَعوتُه تَزدادُ في كلِّ يَومٍ ظُهورًا وانتِشارا، الأَمر الذي جَعلَ خُصومَها يشعُرونَ بِخُطورة الوَضع، فَرأَوا مِن اللَّازِمِ علَيهم أَن يتَّخِذوا مَوقفًا للنَّيلِ منها والإِطاحةِ بِسُمعتِها، فدبَّروا مكيدةً نَتجَ عنها ما كانوا يحذَرونَه مِن انتِشارِها، فكانوا يقفُونَ في مَواسِم الحجِّ ويقولون: «إِنَّ محمَّدًا ساحِر»، و: «إِنَّه يفَرِّقُ بينَ المرءِ وزَوجِه، وبينَ الإِبن وأَبِيه»، حِينَئذٍ سمِعَت القبائلُ **بِمُحمَّد**، واتَّجهَت الأَنظارُ

(1) أَخرجَ القصَّة الإِمام أَحمد في المسند (2544)، والبخاري (4972) في التَّفسير، باب قـــــوله: ﴿وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: 1 ـ 2]، ومسلم (208) في الإيمان، باب في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: 213]، وغيرهم مِن حَديث ابن عباس (رضي الله تعالىٰ عنهما).

(2) رواه أَحمد في المسند (7036)، والبزار في مسنده (2497)، وابن حبان (6567) في ذِكر بعضِ أَذىٰ المشركين رسولَ الله ﷺ، عِند دَعوته إِيَّاهُم إِلىٰ الإِسلام، من حديث عبد الله بن عمرو (رضي الله تعالىٰ عنه)، وحسَّنه محقِّق المسند الشَّيخ شعيب الأَرناؤوط.

إليه، وآمَن بِه الكثيرُ مِن النَّاس.

وظلَّ (عليه السَّلام) مَحروسًا بِرعايةِ الله تَعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة: 69)، يُدافِعُ عنه عمُّه **أَبو طالب** كلَّ أَذىٰ، وانضَمَّ **بنُو هاشم** إِلىٰ النَّبيِّ (علَيه السَّلام)، فكانوا يَحمُونَه مِن كَيدِ الكائِدين، وقاطَعتهُم قُريش، وكتَبوا الصَّحيفةَ بينَهم بِذلك، فَلا بَيعَ ولا نِكاح، ولا أَيَّ مُعاملَةٍ بينَ الطَّرفَين، حتَّىٰ يُسلِّمَ **بنُو هاشِم** النَّبيَّ ﷺ لِقُريش يقتلُونَه، فلمَّا فشِلَت مُحاولة قُريش، اقتَرحوا علَيه ﷺ أَن يعبُد آلهتَهم ويَعبدُوا إِلَهه، فَنزَل قَول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (الكافرون: 1 ـ 2)... إلخ السُّورة [1].

وقَد تَعرَّض المُستَجِيبونَ لِداعيَ الإِيمانِ بِالله لأَلوانِ التَّعذيبِ وصنُوفِ الأَذىٰ، فلَم يُغيِّر ذلك اتِّجاهَهم، ولم يزَعزِعْهُم عَن إِيمانِهم بِرَبِّهِم، ولم يَزِدهُم إِلَّا محبَّة في دينِهم ونَبِيِّهِم، وصبَروا حتَّىٰ نَصرَ اللهُ جُندَه، ومنهُم مَن ماتَ تَحتَ التَّعذيب، مثل: **ياسر** وزَوجته **سُميَّة** التي كانت أَوَّل شَهيد في الإِسلام، وكان المُصطفَىٰ يُبشِّرهما بِالجنَّةِ وهما تحتَ التَّعذيب، فَيقُول: «صَبرًا يا آل ياسِر، ومَوعِدُكم الجنَّة» [2].

---

(1) ذكر الإِمام ابن الجوزي في سبب نزولها ثلاثة أَقوال، منها الذي واحد ذكره المؤلِّف، انظر الباقي في زاد المسير (4/ 499)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط/ 1، سنة1422هـ.

(2) رواه الحاكم (5666) في مناقب عمار بن ياسر (رضي الله عنه)، وقال: صحيح علىٰ شرط =

أَمَّا **بِلال**، فكان مِن أَجلِّ الصَّابرين، يخرجُ بِه العدوُّ **أُميَّة** بن **خلَف** إِلى حرِّ الرَّمضاء، ويجعَل علَى صَدرِه الحِجارةَ الكَبيرة، ويقول له: «لا تَزالُ هكذا حتَّى تَموت أَو تكفُر بِمُحمَّد»، فَهانَت علَيه نفسُه في الله، فكانَ يُردِّدُ تحتَ أَلوانِ التَّعذيب: «أَحدٌ أَحد»، ولم يتزَعزَع [1].

وكثيرونَ أُولئِكَ الَّذين صبَروا علَى المِحَنِ في سَبيلِ الله، حتَّى أَذِنَ لهم الرَّسولُ الكريمُ بِالهِجرة، فَمِنهُم مَن هاجَر إِلى **الحبشة ثمَّ إِلى المدينة**، ومِنهم مَن هاجر إِلى **المدينة**، وبقيَ ﷺ **بِمكَّة** حتَّى دبَّر أَعداؤُه مُؤَامرةً لِاغتيالِه والقَضاءِ علَيه نِهائيًّا، فأَمَره ربُّه بِالهِجرة، فَهاجَر إِلى **المَدينة**.

= مسلم، ووافقَه الذَّهبي، والطبراني في الأَوسط (1508) عَن جابر (رضي الله تعالى عنه)، وأخرجه أَبو نعيم في الحلية (1/ 140) من حديث عثمان (رضي الله تعالى عنه)، والبيهقي في الشُّعب (1515)، باب في شُحِّ المرءِ بِدينه حتَّى يكونَ القَذفُ في النَّار أَحبَّ إِليه مِن الكُفر، عن ابن إِسحاق صاحب (السِّيرة).

(1) الصَّحابي الجليل أَبو عبد الله بلال بن رباح الحبشي، مؤذِّن رسول الله ﷺ وخازنه على بيت مالِه، أَحد السَّابقين للإِسلام، شهِد المشاهِدَ كلَّها مع رَسول الله ﷺ، ولم يؤذِّن بعدَ وفاة النَّبيِّ ﷺ، خرجَ مع البعوثِ إِلى الشَّام، وتوفي في دمشق سنة 20هـ، له أَخبار منثورة في كتبِ السِّيَر، ومِن أَحسَن الكتُبِ التي عبَّرت بصِدقٍ عَن ثباته وصَبره (رضي الله تعالى عنه) في المِحَن التي ابتلاه الله تعالى بها ليَرفعَ مِن شأنه، كتاب: في سبيل العقيدة الإِسلامية، للشَّيخ عبد اللَّطيف سلطاني (رحمه الله تعالى)، فالزم قراءته، فإِنَّه نِعمَ المؤنس.

هِجرتُه ﷺ إلى المدينة وآثارُها:

هاجرَ ﷺ ولم يكُن في **مكَّة** طالبَ سُلطانٍ ومُلك حتَّىٰ يكتَفي بِسلطان، بعثَه اللهُ إلىٰ خلقِه لإقرار تَوحيد الله في القلُوب، والقضاءِ علَىٰ الشِّرك، وتَركيز عناصِر الخير والعدلِ بينَ النَّاسِ جَميعا.

هاجَر إلىٰ **المدينة** وهذِه دَعوتُه، فَتلقَّاه أَنصارُه وبايَعوه علَىٰ النَّصرِ وعلَىٰ السَّمع والطَّاعة، وتَركَ هو وأَصحابُه دِيارَهم وأَموالَهم ابتغاءَ مَرضاتِ الله، يَنشُر دَعوتَه علَىٰ عبادِ الله، وخلَّفوا في **مكَّة** بين المشرِكين أَربابِ القلُوبِ القاسية إِخوانًا ملأَ الإِيمانُ قلوبَهم، ولكن أَقعَدَهم وَضعُهم الماديُّ عَن الهِجرة معَ إِخوانِهم في الله، حتَّىٰ صارَت دَعوتهم الوَحيدة: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾ (النساء: 74).

فكانَت هِجرتُه إلىٰ **المدينة المنوَّرة** حادِثًا خَطيرا، أَنهَىٰ عَهدا وبدأَ عَهدا، وهدَم نظما وبدأَ نظما، أَنهىٰ عَهدا كانت الدَّعوةُ الإِسلاميةُ فيه جَريمةً يُعذَّب بِأَنواع التَّعذيبِ مَن يَنطِقُ بِها، ومَن يَستَجيبُ لها، وكان المسلِمونَ قِلَّةً مُضطَهدينَ مَنبوذين، وبدأَ عَهدا صارَت الدَّعوةُ الإِسلاميةُ فيه نُورًا وهُدىٰ، يجهَر بِها الدَّاعي، ويتَسابقُ إِليها المستَجِيبون، وصارَ المسلِمونَ كثرةً أَعِزَّة، وكلِمتُهم هي العُليا، وهدَم نظُما كانَت جائِرة، تُهضَم فيها الحقوق، وتُستَباحُ الحرُمات، وبنَىٰ نُظما عادِلة.

وبِالجملة، فإنَّ الهِجرةَ ثَورةٌ علَىٰ الشِّركِ والمُشركينَ الذين يفتِنُون المؤمنين في عقيدَتِهم، وهُم في **مكَّة** قَلائل مُستَضعفُون، مَغلُوبونَ علَىٰ أَمرِهم مُعذَّبون، ولم يَستَطِع الرَّسولُ ﷺ دَفعَ العَذابِ عنهُم.

إِنَّ قِصَّةَ الهِجرة قِصَّةُ الإِيمانِ وجَمع المسلمين تَحتَ رايةٍ واحِدة، هيَ راية الإِسلام، وقيادةٍ واحِدة، قيادة محمَّد ﷺ، إِنَّها هِجرةُ التَّضحية بِكلِّ غالٍ ورَخيص، بِالنَّفسِ والمال، والدَّارِ والولَد، والأَهلِ والعَشيرة، إِنَّ تِلك الهِجرةَ دَرسٌ عَظيمٌ في قوَّة العَقيدةِ وعظَمةِ النَّفس، وشِدَّةِ الإِيمانِ في سَبيلِ انتِصارِ دينِ الله وإِعلاءِ كلِمتِه وانتِشارِ رِسالةِ الإِسلام ودَعوته، فَنشأَت أُمَّة، وظَهرت جُيوش، واستَعرَ كِفاح، وعلَت راية لا إِله إِلَّا الله محمَّد رَسول الله: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ (الأنفال: 7ـ8).

ولقَد تأَثَّر الصَّحابةُ (رضي الله عنهم) بِهذا المنهَج، فتَركوا أَوطانَهم العَزيزة، معَ أَنَّ فِراقَ الوطَنِ شَديدٌ علَىٰ النُّفوس، بِحَيث لم يَرجِعوا إِلىٰ أَوطانِهم إِلَّا إِلىٰ الموت، فكانَ ذلك أَحبَّ إِليهِم مِن الدُّنيا ومتاعِها، وقدَّموا الدِّينَ علَىٰ الدنيا، فلَم يُبالوا بِضَياعِها، ولم يلتفِتوا إِلىٰ فَنائها، وفرُّوا مِن بِلادٍ إِلىٰ بِلاد، احتِفاظا لِدينِهم مِن الفِتنة، فكأَنَّهم كانوا قَد خُلِقوا لِلآخِرة، وكانوا مِن أَبنائها، فَصارَت الدُّنيا كأَنَّها خُلِقَت لهم.

لقَد هاجَر الكِبارُ والصِّغارُ والرِّجالُ والنِّساءُ إِلىٰ **الحبشة** وإِلىٰ **المدينةِ المنوَّرة**،

وقَد وسَّعَ ﷺ مفهومَ الهِجرة، وأَنَّ ذلك يشمَل الهِجرةَ عمَّا نَهى اللهُ عنه بِتَركِ المعاصي، يقُول ﷺ لِفُدَيك (أَحَد الصَّحابة): «يا فُدَيك، أَقِم الصَّلاة، وآتِ الزَّكاة، واهجُر السُّوء، واسكُن مِن أَرضِ قَومِكَ حيثُ شِئتَ تكُن مُهاجِرا» رواه **البغَوي وابنُ منده وأَبونعيم** (1)، فَما أَحوَج المُسلِمين أَن يَرجعوا إِلى سِيرة الرَّسول بعدَ هِجرته، ليَعرِفُوا كيفَ بَدأَ البِناءَ لِنظامٍ جَديد، وما أَوَّل ما بدأَ بِه في عَهدِه الجديد، وإِنَّ لنا فيه أُسوة حَسنة، وهو أَحقُّ مَن نَهتَدي بِهَديِه ونَسيرُ علَى سنَّتِه، لأَنه مؤَيَّدٌ بِربِّه، ولأَنَّ خُططَه نَجحَت وأَثمرَت، فقَوِيَت شَوكةُ المسلمين، وعزَّت دَولتُهم، وانتشَرت دَعوتهم.

وأَوَّل ما بدأَ بِه ﷺ في بِناءِ عهدِه الجديد: تَوحيد صفُوفِ المسلمين، وتَطهير نفُوسهم وقلُوبهم مِن آثارِ الاختِلافِ والعَداوة والبغضاء، فَفي كتُبِ السِّيرة أَنَّ رَسولَ الله ﷺ لَمَّا وَصلَ إِلى **المدينة** مُهاجِرًا مِن **مكَّة** بنَى مَسجِدَه ليكُونَ متَعبَّدا ومجتَمعًا للمُسلمين، ومقرًّا لِلدَّولة، ومَعهدًا ومَدرسة، ومُنتَدى ومُشاورة، ومقرَّ قيادةٍ واستقبال وفُود، فكانَ المَسجِدُ يمثِّل كلَّ الوَسائل الحضارِيَّة التي تتعلَّق

---

(1) رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (2639)، باب بيان مُشكِل ما رُوي عن رسول الله ﷺ في الهجرة وهل قطعَها فتحُ مكَّة أم لم يقطعها ؟ وابن منده في معرفة الصَّحابة (ص: 253 ـ 254)، في ترجمة بشير بن فُديك، وأبو نعيم في الحلية (8/ 7)، والحديث رواه أيضا ابن حبَّان في صحيحه (4861)، باب الهجرة، والطبراني في الأوسط (2298)، والبيهقي في السنن (17773) في السِّير، باب الرُّخصة في الإِقامة بِدار الشِّرك لمن لا يخافُ الفِتنة.

بِكيانِ الدَّولة، مِن مَعابِد ومَساجِد، ومِن مَدارس، ومِن وَسائل إِعلام، ومن دارِ حكومة.

ثمَّ أَخذَ ﷺ في تَوثيقِ عُرىٰ المودَّة والإِخاءِ بينَ المسلمين، فآخَىٰ بينَ المُهاجِرين بَعضهم بِبَعض، وقال لهم: «تآخَوا في الله أَخَوَين»، ثمَّ أَخذَ بِيَد عليٍّ بن أَبي طالب، وقال: «هَذا أَخي»[1]، وآخَىٰ بينَ الأَنصارِ بَعضهم بِبَعض، وطهَّر قلُوبَ الأَوسِ والخزرَج ممَّا كان بَينَهم مِن الأَحقادِ التي دامَت سِنين، وآخَىٰ بينَ المُهاجِرينَ والأَنصار، وصار لِكلِّ مُهاجرٍ أَخٌ مِن الأَنصار، لَه حقُوقَ الأَخ وواجِباتِه، وكتَبَ بينَهم كِتابًا وثَّق فيه أُخوَّتَهم، وقوَّىٰ وحدَتَهم، وممَّا جاءَ فيه: «إِنَّهم أُمَّة واحِدة مِن دونِ النَّاس، وأنَّ الجارَ كالنَّفس، غير مُضارّ ولا آثم، وما كان بينَهم مِن حدَثٍ أَو شِجارٍ يخاف فَساده، فإِنَّ مَردَّه إِلىٰ الله وإِلىٰ رَسولِ الله ﷺ»[2]، وبهذا العملِ الجليلِ الذي بدأَ بِه الرَّسولُ ﷺ كوَّن بينَ المسلِمين كُتلةً

(1) رواه الترمذي (3720) فيالمناقب، باب مناقب علي بن أَبي طالب (رضي الله عنه)، والحاكم في المستدرك (4288) في كتاب الهِجرة، والطبراني في المعجم الكبير (13909)، مِن حديث ابن عمر (رضي الله تعالىٰ عنهما)، قال ابن تيمية: «أَحاديث المؤَاخاةِ بين المهاجِرين بعضِهِم معَ بعض، والأَنصارِ بعضِهِم معَ بعض، كلُّها كذِبٌ، والنَّبيُّ ﷺ لم يُؤَاخ عليًّا، ولا آخَىٰ بين أَبي بكرٍ وعُمَر، ولا بين مُهاجريٍّ ومهاجرِيٍّ، لكنْ آخَىٰ بينَ المهاجِرين والأَنصار»، انظر: منهاج السنَّة (7/ 279)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط/ 1، سنة1406هـ/ 1986م.

(2) انظر: مجموعة الوثائق السِّياسية للعهد النبوىٰ والخلافة الراشدة (ص: 59 ـ 62) للدكتور =

واحِدة، وبنَىٰ مِنهُم بِناءً قوِيًّا متَماسِكا، يشدُّ بَعضه بعضا، وشعَر كلُّ مسلمٍ بِأَنَّه جُندِيٌّ للإِسلامِ والمسلمين، علَيه أَن يقُومَ بكلِّ ما استَطاعَ مِن خِدماتٍ وواجِبات، واتَّجهَت جُهودُ كلِّ فَردٍ إِلىٰ الغايةِ الواحدة، وهي نُصرةُ الإِسلام وعزَّةُ المسلمين، واطمأَنَّ المُهاجِرون إِلىٰ البلَدِ الجديد، والعَهدِ الجديد، ونسوا وَطنَهم وأَهليهِم وأَموالَهم، وأَنِسَ الأَنصارُ بِالمودَّةِ بينَهم وبِالأُخوَّة التي جَمعَ اللهُ بِها بَينَهم، وأَثنَىٰ علَيهِم بِقَوله: ﴿وَالذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَالِايمَنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُوثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: 9)، وامتَنَّ اللهُ علَىٰ المسلمين جَميعا بِنعمةِ هذا الإِخاء والتَّآلُف بين قلوبهم، فقال عزَّ شأنه: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ (آل عمران: 103)، وفي ظلِّ هذا الإِخاءِ اطمأَنَّ المُسلِمونَ وأَنِسَ بَعضهم بِبَعض، وأَمِنَ كلُّ واحدٍ منهُم جانبَ أَخيه.

=

محمَّد حميد الله الحيدر آبادي، دار النفائس (بيروت)، ط/ 6، سنة 1407هـ.

[السَّنة الأُولى مِن الهِجرة] (1):

- وفي هذِه السَّنة ـ أَي: السَّنة الأُولى مِن الهِجرة ـ بنَى الرَّسولُ ﷺ مَسجِدَ قُباء.

- وفيها جُعِلَت الصَّلاةُ أَربعًا بعدَ أَن كانَت اثنَين.

- وفيها اتَّجَهَ ﷺ إِلى اتِّخاذِ شِعارٍ لعبادةِ المسلمين تميِّزُها عَن شَعائر غَيرهم، وإِلى إِبراز شَخصية إِسلامية لا يُشارِكُ المسلمين فيها غَيرهم، فاتَّخذَ الأَذانَ لكلِّ صَلاةٍ مِن الصَّلواتِ الخمس.

- وفيها صلَّى الجمعة، لَمَّا ارتَحَلَ مِن قُباء إِلى المدينة صلَّاها في طَريقه في بني سالم ـ وهي أَوَّل جُمعة صُلِّيَت في الإِسلام ـ وخَطبَهم ـ وهي أَوَّلُ خُطبةٍ سُمِعَت في الإِسلام ـ.

- وفيها استقَرَّ الكيان الدّولي: قُريش لم تَعتَرِف بِمُحمَّدٍ ﷺ، فَماذا يكون ؟ فَبدأَت الحربُ في التَّمهيد، فكَانَت سَريَّة حَمزة (عمّ النَّبيِّ ﷺ) يعتَرِض عِيرًا لِقُريش.

---

(1) لمعرفة أَهمِّ الأَحداث والوقائع التي جرت للنبيِّ ﷺ وللإِحاطة بِتاريخ تشريع بعض الأَحكام مرتَّبةً حسب السِّنين، راجع: الفِكر السَّامي في تاريخ الفقه الإِسلامي (1/ 168 ـ فَما بعد) للحجوي، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط/ 1، سنة 1416هـ/ 1995م، وأمَّا غزواته ﷺ وسراياه فتُراجع في كتبِ السِّيرة القديمة والحديثة..

- ثمَّ سَريَّة عُبيدة بن الحارث بن عبد المطَّلِب إِلىٰ بطن رابغ.
- ثمَّ سريَّة سَعد بن أَبي وقَّاص إِلىٰ الخرار (واد بِالحجاز) يَعتَرِضُ عيرًا لِقُريش.
- وغَزوَة **ودان**: في صفَر.

[السَّنة الثَّانية]:

وفي السَّنة الثَّانية كانت الغزَوات والسَّرايا التَّالية:

- غَزوة بُواط: في رَبيع الأوَّل.
- غَزوة العشيرة: علَىٰ رأسِ ستَّة عشَر شَهرا مِن الهجرة.
- ثمَّ بَدر الأُولىٰ.
- سَريَّة عبد الله بن جحش.
- غَزوة بدر الكُبرىٰ: في رَمضان.
- سريَّة عُمير بن عديٍّ الخطمي.
- غَزوة قرقرة الكدر.
- سريَّة سالم بن عمير.
- غَزوة بني قَينُقاع: منتَصف شوال.

- غزوة السويق: في ذي الحجَّة.
- سريَّة محمَّد بن مسلمة إلى كَعب بن الأَشرف.
- وفيها اتَّجه الإِصلاحُ الإِسلاميُّ إلى مُعالجَة مُشكِلَةِ الفُقراء والمساكين، وسَنِّ القَوانين التي تكفل بِرَّ الأَغنياء بِالفقراء، وتأمين الفُقراء مِن أَن يفتكَ بهِم العدَمُ والعَوز، ففُرِض فيها: الصَّومُ، والزَّكاة، وزكاةُ الفِطر، هذِه الواجِبات الثَّلاث تَهدِفُ إلى غَرضٍ واحِد، وهو الرَّحمةُ بِالفُقراءِ ومُشاركتُهم الأَغنياءَ فيما رَزقَهم الله.
- وفيها أَيضا صُرِفَت القِبلةُ عَن **بَيتِ المقدِس** إلى **الكَعبة**، وقَد قالَ اللهُ تَعالى في تَحويلِ القِبلَة: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (البقرة: 144)، وبيَّن سُبحانَه أَنَّ هَذا التَّحويلَ كان امتِحانًا محَّصَ اللهُ سُبحانه بِه الَّذينَ صَدقُوا في إِيمانِهم والَّذين تَظاهَروا بِه فَحسب، ذلِكَ لأَنَّ ضِعافَ الإِيمانِ ممَّن أَسلَموا مِن اليَهودِ لَمَّا حُوِّلَت القِبلَة قالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ (البقرة: 141)، وقالوا: «رَجعَ محمَّدٌ إلى دينِ آبائِه»، فقالَ سُبحانَه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ (البقرة: 142).
- وفيها ـ أَي: السَّنة الثَّانية ـ ضَحَّى رَسولُ الله ﷺ بِكَبشَين.

[السَّنة الثَّالثة]:

وفي السَّنة الثَّالثة:

- فيها حرِّمَت الخمر.
- وفيها كانَت الغَزوات التَّالية:
- غَزوة غَطفان.
- غَزوة بحران.
- سَريَّة زَيد بن حارثة إِلى القَرْدة.
- غَزوة أُحد.
- غَزوة حَمراء الأَسد (بعدَ أُحد بِيَوم).
- سَريَّة أَبي سلَمة بن عبد الأَسد.
- سَريَّة عبد الله بن أنيس.
- سَريَّة المنذِر بن عَمرو إِلى بِئر مَعونة.

السَّنة الرَّابعة:

- كان فيها غَزوة بني النَّضير.
- غَزوة ذاتِ الرِّقاع.

- غَزوة بدر الأَخيرة (في شعبان لموعدِ أَبي سفيان).
- وفيها نَزلت آية التَّيمُّم.
- وفيها حدِّدَت عقُوبة الرَّجم، فَرجَم ﷺ اليهوديَّ واليَهوديَّة.
- وفيها صلَّى صَلاةَ الخوف.

السَّنة الخامِسة:

- فيها غَزوة دومة الجندل.
- وغَزوة المريسع.
- وغَزوة الخندق.
- وغَزوة بني قُريظة.
- وسَريَّة محمَّد بن مسلمة إِلى القُرطاء (بطنٌ مِن بني بكر [أَحد بطونِ بني] (1) كلاب).
- وفيها نَزلَت آيةُ الحِجاب.
- وفيها زُلزِلَت المدينة.

---

(1) بهذا الموضع مِن الأَصل يوجَد بياض، وما أَثبتناه بين المعقوفتَين زيادة بيانٍ أخذناه مِن كتبِ السِّيرة.

السَّنة السَّادِسة:

- كانَت فيها قِصَّة الإِفكِ المشهورة.
- وفيها قالَ رأسُ المنافِقين: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلأَعَزُّ مِنْهَا ٱلأَذَلَّ﴾(المنافقون: 8).
- وفيها وقَعت صَلاة الكسوف.
- وفيها اعتَمر رَسولُ الله ﷺ عُمرةَ الحديبية.
- وفيها بَيعة الرِّضوان تحتَ الشَّجرة.
- وفيها قحطَ النَّاس، فاستَسقىٰ رسولُ الله ﷺ بعدَ أَن أَتاه الأَعرابيُّ وهو علَىٰ المِنبر، فنَزلَ المطرُ ودامَ أَياما، فَرجعَ إِليه الأَعرابيُّ، فقالَ له: «ادعُ اللهَ أَن يحوِّلَها عنَّا، فقَد تَهدَّمت البيوت»، فقال ﷺ: «اللَّهمَّ حَوالَينا، ولا علَينا»، فانقَشعَ السَّحابُ عَن المدينة [1].
- وفيها وقَعت الغَزوات التَّالية:
- غَزوة بني لحيان.

---

(1) رواه أحمد في المسند (13743)، والبخاري (933)، في الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، ومسلم (897)، في صلاة الاستسقاء، باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء، من حديث أنس (رضي الله تعالىٰ عنه).

- غَزوة الغابة.
- سرية عكاشة بن محصن الأَسدي.
- سرية محمَّد بن مسلمة إلى بني ثَعلبة.
- سرية زيد بن حارثة إلى بني سالم.
- سرية زيد ـ أَيضا ـ يعتَرِض عِيرًا لِقُريش.
- سريَّتُه ـ أَيضا ـ إلى بني ثعلبة.
- سَريَّتُه ـ أَيضا ـ إلى جذام.
- سَريته ـ أَيضا ـ إلى وادي القرى.
- سريَّة عبد الرَّحمن بن عَوف إلى دومة الجندل.
- سريَّة علي بن أَبي طالب إلى بني سعد بن بكر.
- سَرية زَيد بن حارِثة إلى أُمِّ قرفة الفزرية.
- سريَّة عبد الله بن عتيك إلى أَبي رافع اليهودي.
- سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام اليهودي بِخَيبر.
- سرية كرز بن جابر الفِهري إلى العرنيِّين الذين كفَروا بعدَ إِسلامهِم.
- سريَّة عمرو ابن أُميَّة الضَّمري إلى أَبي سفيان بن حرب بمكَّة، لأَنه أَرسلَ

للنَّبيِّ ﷺ مَن يقَتله غَدرا.

السَّنة السَّابِعة:

- فيها بعثَ رسولُ الله ﷺ الرُّسلَ إِلىٰ الملوك: كِسرىٰ، قَيصر، النَّجاشي، ملك غسَّان، وغَيرهم، واتَّخذَ ﷺ الحاتم، وخَتمَ بِه الرَّسائلَ التي بعثَها إِلىٰ المُلوك.
- وفيها حرم الحمُر الأَهلية ومُتعة النِّساء.
- وكانَت فيها الغزَوات التَّالية:
- غَزوة خَيبَر.
- وغَزوة وادي القرىٰ.
- سَريَّة عمر بن الخطَّاب إِلىٰ تُرَبة.
- سَريَّة أَبي بكر الصدِّيق إِلىٰ فزارة.
- سريَّة بشير بن سعيد إِلىٰ بني مرَّة بفدك.
- سريَّة غالب بن عبد الله اللَّيثي إِلىٰ الميفعة (بِناحية نَجد).
- سريَّة بشير بن سعد إِلىٰ [اليمَن] [1] (وهي أَرضٌ لغَطفان).
- عُمرة القَضاء: في ذي القِعدة.

---

(1) بهذا الموضع يوجَد بالأَصل بياض، وما أثبتناه بين المعقوفتَين مأخوذٌ من النُسخة المنشورة، وفي كتُبِ السِّيرة: إِلىٰ يمَن وجَبار.

- سريَّة ابن أَبي العَوجاء السّلمي إِلى بني سليم: في ذي الحِجَّة.

السَّنة الثَّامِنة:

- فيها عمِلَ لَه المِنبر، فخَطبَ علَيه ﷺ، وكان يخطبُ على جذع، فحَنَّ الجذعُ حتَّى سَمِعَ النَّاسُ صَوتَه، فَنزلَ إِليه ووضَعَ يدَه علَيه فَسكَن، وهو أوَّل مِنبر صُنِعَ في الإِسلام.
- وفيها كانَت سَريَّة غالب بن عبد الله اللَّيثي إِلى بَني المُلوِّح بِالكديد.
- سَريَّة غالب أَيضا إِلى مصاب أَصحابِ بشير بن سَعد بِفدك.
- سَريَّة شجاع بن وهب الأَسدي إِلى بني عامِر.
- سَريَّة كَعب بن عمير الغفاري إِلى ذاتِ أَطلاح.
- سَريَّة مؤتة: وهي مِن عَملِ البلقاء بِالشَّام.
- سريَّة عَمرو ببن العاصِ إِلى ذاتِ السَّلاسل.
- سَريَّة أَبي عُبيدة إِلى حيٍّ مِن جُهَينة بِالقبلية (ساحِل البَحر).
- سرية أَبي قتادة الأَنصاري إِلى خضرة (وهي أَرض محارب بِنَجد).
- سريَّته أَيضا إِلى بَطنِ أَضم (على ثلاثِ بُرَد مِن المَدينة): في أَوَّل شَهرِ

رمضان، وهي كانت [قبلَ] [1] فَتح مكَّة المكرمة في: 20 رمضان.

- سريَّة خالد بن الوليد إلى العزَّى واللَّات عقِبَ فَتح مكَّة.
- سَريَّة عَمرو بن العاص إلى سُواع (صنَم لهذَيل، علَى ثَلاثةِ أَميال مِن مكَّة).
- سريَّة سعد بن زيد الأَشهلي إلى مَناة (صنَم للأَوس والخزرَج بِالمشلل).
- سريَّة خالد بن الوليد إلى [بني جَذيمة بن كنانة وكان] (2) أَسفل مكَّة بِناحية يلَملَم).
- غَزوة حُنين: في شوال.
- سَريَّة أَبي عامر الأشعري في طلَب الفارِّين مِن هَوازن.
- سَريَّة الطُّفيل بن عمرو الدَّوسي إلى ذي الكفَّين (صنَم).
- غَزوة الطَّائِف: في شوال.

السَّنة التَّاسِعة:

- فيها آلى الرَّسولُ ﷺ مِن نِسائِه، وأَقسَمَ أَن لا يَدخُل علَيهِنَّ شهرا،

---

(1) يوجد بهذا الموضع في الأَصل بياض، ولعلَّ ما أَثبتناه يتَماشى مع سِّياق الكلام.

(2) يوجد في الأَصل بهذا الموضع بياض، وما أثبتناه بين المعقوفتَين مأخوذٌ مِن النُّسخة المنشورة، ومنها حذف المؤلِّف جملة: «مِن عبد القيس علىٰ لَيلة».

والقِصَّةُ مشهورة [1].

- وفيها هدَم رَسولُ الله ﷺ مَسجِدَ الضِّرار الذي بناه المُنافِقون.

- وفيها قَدِمَت الوفُودُ علَىٰ رَسولِ الله ﷺ مِن كلِّ جانب، وكانَت تُسمَّىٰ: سنة الوفُود.

- وفيها لاعَنَ الرَّسولُ ﷺ بين عُويمر العجلاني وبين امرأَتِه في المسجِد بعدَ العَصر، حينَ أَنكَر حَملَها بعدَ رُجوعِه مِن غَزوة تَبوك.

- وفيها ماتَ أَحدُ أَعداءِ الرَّسول ﷺ، وهو: عبد الله بن أُبيٍّ بن سَلول، كَبير المنافِقين، فَصلَّىٰ علَيه النَّبيُّ ﷺ، ونَهاه اللهُ عَن الصَّلاةِ علَىٰ المنافِقين بِقَوله: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة: 85).

- وفيها أَمرَ رَسولُ الله ﷺ أَبا بكر الصدِّيق، فَحجَّ بِالنَّاس، وأَمرَ عليَّ ابنَ أَبي طالب أَن يقرأَ سُورةَ بَراءة علَىٰ المُشرِكين، وينبذَ لَهم عَهدَهم، وأَن لا يحجَّ بعدَ العامِ مُشرِك، ولا يَطوف بِالبيتِ عُريان.

وفيها كانَت الغَزوات التَّالية:

- سريَّة قُطبة بن عامِر إِلىٰ خَثعَم.

---

(1) انظر الرِّوايات الوادرة في إِيلاء النبي ﷺ مجموعَةً في: جامع الأُصول (1/ 351ـ 356) لابن الأثير، الكتاب السَّابع: في الإِيلاء.

- سريَّة الضحَّاك بن سفيان الكلابي إلى القُرَطاء.
- سريَّة علقمة بن مُجزِّز المُدلجي إلى ناسٍ بالحبشة.
- سَريَّة علي بن أَبي طالب إلى الفلس ـ وهو صنَم لِطَيء ـ ليَهدِمَه.
- سريَّة عكاشة بن محصن إلى الجناب (مَوضِعٌ بالحجاز).
- غَزوة تَبوك.
- بَعث أَبي موسى ومُعاذ إلى اليمَن.

السَّنة العاشِرة:

- أَرسل خالِدا إلى بنيعبد المَدان (قَبيلة بنَجران)، فأَسلموا.
- ثمَّ بعثَ عليَّ بن أَبي طالب إلى اليمَن في رَمضان.
- ثمَّ حجَّة الوداع: خرجَ إليها ﷺ لخمسٍ بقينَ مِن ذي القِعدة.
- وفي التَّاسع مِن ذي الحجَّة بِمَوقفِ عَرفة أَتمَّ اللهُ نِعمتَه علَى رَسوله والمؤمنين، فأَكملَ الدِّين، ونَزلَ علَى المصطفى الأَمين وهوَ واقِفٌ بِعَرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: 3)، وكان اليومُ جُمعة، وقبلَ نزُولِ الآياتِ السَّالِفةِ الذِّكرِ خطَبَ ﷺ في جُموعِ الأُمَّةِ الإِسلامية [خطبتَه] [1] التي بيَّن فيها للنَّاس ما لهم وما علَيهم،

(1) ما بين المعقوفتَين زيادة يقتضيها السِّياق، والمقصود بها هنا: خُطبة الوداع المشهورة.

فأَمرَ بِتقوَىٰ الله وطاعتِه، وحرَّم الرِّبا والدِّماء، وأَوصَىٰ بِالنِّساءِ خَيرا، وبعدَ أَداءِ الحجِّ رَجعَ (عليه السَّلام) إِلىٰ **المدينة**.

السَّنة الحادية عشَر:

- في صفَر جهَّز (عليه السَّلام) سَريَّةَ **أُسامة بن زيد**، التي هي آخِرُ سَريَّةٍ جَهَّزها الرَّسولُ ﷺ، وأوَّل جَيشٍ جهَّزه سيِّدنا **أَبو بكر** (رضي الله عنه).

وَفاتُه صلى الله عليه وسلم:

وفي يَوم الاثنين 13 رَبيع الأوَّل سنة 11 مِن الهِجرة، الموافق لـ: 8 يونيو سنة633 ميلادية، التَحقَ ﷺ بِربِّه بعدَ أَن بلَّغ الرِّسالة، وأدَّىٰ الأَمانة، ونصَحَ الأُمة، وجاهَد في سبيلِ الله وعبَد ربَّه، وكانَت وفاتُه **بِالمدينة المنوَّرة**، عاصِمة الإِسلام، ومُنطلَق جَحافِل جُيوشِه[1]، والتي بِفَضلها فُتِحت القُرىٰ، وانتشَر [الدِّينُ][2] في سائرِ رُبوع الدُّنيا.

---

(1) في الأَصل: «جُيوش»، والتَّصويب من النُّسخة المنشورة.

(2) زيادةً تخدُم سياقَ النَّصِّ.

قَبسٌ مِن أَخلاقِه ﷺ:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4)، أَقسمَ الله سبحانه في كتابِه الكَريم علىٰ ما خصَّ بِه رسولَه مِن الخلُقِ العظيم، وحَباه مِن الفَضلِ العَميم، فكان (عليه السَّلام) مجبولا علىٰ حُسنِ الخلُق، فِطرةً فطَره الله عليها، لم تحصل له بِرياضة، بل بجُود إِلهيٍّ ومَنح ربَّاني، فلَم يزَل يترقَّىٰ في هذا المقامِ حتَّىٰ بلغَ فيه الغاية القُصوىٰ التي تكلُّ عن التَّعبير عنها الأَفهام والأَقلام، فلا يُحصيها عدٌّ، ولم تقِف عِندَ حدٍّ، كيف لا ! وقَد تأَدَّب بِآدابِ القرآنِ الكريم، فكلُّ ما استَحسنَه القرآنُ تخلَّق بِه، وكلُّ ما نهَىٰ عنه القرآنُ استَهجنَه وحذَّر منه، ولقَد سئِلَت سيِّدتُنا **عائشة** (رضي الله عنها) عَن خلُقِ صاحبِ الخلقِ الكريم، فأَجابت بِقَولها: «كان خلُقه القرآن، أخذ العفو، وأمر بالعرف، وأَعرضَ عَن الجاهِلين، فكان يعفُو، وكان يصفَح، وكان لا يَدفَع السَّيِّئةَ بالسيِّئة، وكان كثيرا ما يتوسَّل إِلىٰ مَولاه أَن يَزيده مِن جَميلِ الأَخلاق، ويقول: «اللهمَّ كما حسَّنتَ خَلقي، فحسِّن خلُقي» [1]، فاستجابَ اللهُ دعاءَه، وحقَّق آمالَه.

---

(1) رواه أَحمد في المسند (24392)، و البيهقي في الشُّعب (8184) في حسن الخلق، بفصل في الحلم والتؤدة والرِّفق في الأُمور كلِّها، مِن حديث عائشة (رضي الله تعالىٰ عنها)، وقال محقِّق المسند الشَّيخ شعيب الأَرناؤوط: «حديث صحيح، رجاله ثقات رِجال الشَّيخَين»، وأخرجه أَحمد أيضا في المسند (3823)، والطيالسي (372)، وابن حبان (959) في باب =

وكان مِثال الرَّحمة والشَّفقة والحنان، وتحدَّث عَن نفسِه بِنَفسِه، فقال: «أَنا رَحمة مُهداة»[1]، رحمة للكَونِ كلِّه، حتَّىٰ لأَعدائِه الذين يحاربونَه كان ينهىٰ عَن قتلِ نِسائِهم في مَيدان الحرب رَحمة بهم، بلغَ مِن رَحمتِه أَنه نَهىٰ عَن تَعذيبِ المخلوقات، حتَّىٰ الحيوان عِندَ ذَبحِه، ونَهىٰ عَن المُثلة بِأَعدائِه، رغمَ عَداوتهم له، وما ذاك إِلَّا لأَنه عَينُ الرَّحمة، وليسَ بِعَجيبٍ علَىٰ مَن وَصفَه ربُّه بِالرَّحمة وشهِدَ له بها أَن تكون هذه شِيمته، والله تعالىٰ يقول فيه: ﴿بِالْمُومِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: 129).

وقَد ثَبتَ أَنه لَمَّا شُجَّ وجهُه الشَّريف يوم أُحد، وكُسِرت رُباعيتُه، قيل له: اُدع علَيهم، قال: «إِنَّ اللهَ بعثَني رَحمة، ولم يَبعثني لعَّانا، اللَّهمَّ اهدِ قَومي»، وفي

= الأَدعية، ذِكرُ ما يُستحَبُّ لِلمرءِ أَن يسأَل الله جلَّ وعَلا تحسينَ خلُقِه كما تفضَّل عليه بِحُسن صُورتِه، والبيهقي في الشُّعب (8183)، مِن حديث ابن مسعود (رضي الله تعالىٰ عنه).

(1) رواه الحاكم في المستدرك (100) في الإِيمان، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ علَىٰ شَرطِهما، والطبراني في الأَوسط (2981) مِن حَديث أبي هريرة (رضي الله تعالىٰ عنه)، ورواه مُرسلا عن أَبي صالح ابن أبي شيبة في المصنَّف (31782) في الفضائل، باب ما أَعطَىٰ الله تعالىٰ محمَّدا ﷺ، والدارمي في السُّنن (15) في دلائل النبوَّة، باب كيف كان أَوَّل شأن النَّبيِّ ﷺ، البيهقي في الشُّعب (1339) في فَصْل في شَرفِ أَصلِه وطهارة مَولِده ﷺ.

رواية: «اللَّهمَّ اغفِر لِقَومي، فإنَّهم لا يَعلمون» [1].

لِنتأَمَّل ـ معشَر المؤمنين ـ في هذا السُّلوكِ القَويم، وهذه الدَّعوة العظيمة التي انبثقَت مِن هذا الرَّسولِ الكريم، وكيفَ رَحِم أَعداءَه في أَحرَج المَواقف، وصفَحَ عنهم واستغفَر لهم واعتذَر عَن سُوء فِعلِهِم، ثمَّ أَضافَهم إِلى نَفسِه الشَّريفة الزَّكية، حيث قال: «قَومي»، أَبى خُلُقه الكريمُ أَن يُقابِلَ السيِّئةَ بِالسيِّئة.

وقَد وردَ أنَّ الله أَرسلَ إِليه ملَك الجِبال ليأمُره بِما شاءَ في أَعدائِه، فقال له الملَك: «إِن شِئتَ يا محمَّد أَن أُطبِقَ علَيهِم الأَخشَبَين» ـ وهما جَبلانِ بِمكَّة ـ فقال المصطفَى: «لا، بل أَرجو أَن يخرِجَ اللهُ مِن أَصلابِهم مَن يعبُد اللهَ وحدَه لا يُشرِك بِه شيئا» [2].

بهذه المُعاملات الجميلة نالَ المكانةَ العُظمى، واستحقَّ ثناءَ المَولى: ﴿وَلَوْ

---

(1) رواه بإِسنادٍ مُرسل البيهقي في الشُّعب (1375)، فصل في بيان النبيِّ ﷺ وفَصاحتِه، وروى الجزء الأول منه مسلم (2599) في البرِّ والصِّلة والآداب، باب النَّهي عَن لَعن الدَّوابِّ وغَيرها، والبخاري في الأَدب المفرد (321)، باب لعن الكافر، وغيرهما، مِن حديث أَبي هريرة (رضي الله تعالى عنه)

(2) رواه البخاري (3231) في بدء الخلق، باب إِذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السَّماء، آمين، فَوافقَت إِحداهما الأُخرى، غفِر له ما تقدَّم مِن ذنبِه، ومسلم (1795) في الجهاد والسِّيَر، باب ما لقيَ النبيُّ ﷺ مِن أَذى المشرِكين والمنافِقين، مِن حديث عائشة (رضي الله تعالى عنها).

كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: 159).

وكان يحثُّ أَتباعَه في تَوجيهاتِه على التَّخلُّقِ بِالرَّحمة، ويُبيِّن لهم مَزاياها السَّامية، كقَوله: «الرَّاحمون يَرحَمهم الرَّحمن، اِرحَموا مَن في الأَرض يَرحَمكُم مَن في السَّماء» (1)، وقَوله: «خابَ وخَسِرَ عبدٌ لم يجعَل اللهُ في قلبِه رَحمة لِلبشَر» (2)،

(1) رواه الحميدي (602)، وابن أبي شيبة في المصنَّف (25355)، وأحمد (6494)، والبخاري في التاريخ الكبير (9/ 64)، وأَبو داود (4941)، والترمذي (1924) وقال: حديث حسنٌ صحيح، والطبراني (14317)، والبيهقي في السُّنن (17905)، وفي الشُّعب (10537)، وغيرهم مِن حَديث عبد الله بن عمرو (رضي الله تعالى عنهما)، وهو الحديث المشهور عندهم بالحديث المسلسل بالأوليَّة، قال الشَّيخ عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس (1/ 93 ـ 94): «تَداولَت الأُمةُ ـ هذا الحديث ـ واعتنَى بِه أَهلُ الصِّناعة، فقدَّموه في الرِّواية علَى غَيره ليتمَّ لهم بِذلك التَّسلسل، وليقتديَ بِه طالب العِلم، فَيعلَم أنَّ مبنَى العِلم على التَّراحُم والتَّوادُد والتَّواصل، لا علَى التَّدابُر والتَّقاطُع، فإِذا شبَّ الطَّالِبُ على ذلك شبَّت معَه نَعرة التَّعارُفِ والتَّراحُم، فَيشتدّ ساعِدُه بذلك، فلا يَشيبُ إِلَّا وقَد تخلَّق بِالرَّحمة، وعَرَّف غَيرَه بِفَوائِدِها ونَتائِجها، فَيتأَدَّب الثَّاني بِأَدبِ الأَوَّل، وعلَى الله في الإِخلاصِ والقبول المعوَّل»، وقد أفردَ هذا الحديث بالتأليف لأَهمِّيته جماعة مِن العلماء، منهم الشَّيخ محمَّد العيد بن البشير الهاملي (مفتي سور الغزلان)، فإِنَّ له رسالة في ذلك عنوانُها: (عِقدُ اللُّؤلؤ والمرجان المستَخرَج من بَحرِ قوله ﷺ: الرَّاحِمون يَرحمهم الرَّحمن)، وقد يسَّر الله لنا خدمتها منذ زمنٍ، وسنقوم بِنَشرها قريبا ـ إِن شاء الله تعالى ـ.

(2) عَزاه الهيتمي في زَواجِره (1/ 108) للدُّولابي وأَبي نُعيم وابن عساكر، وفي الأَصل سقطت كلمة: «قلبه»، فأَثبتناها مِن النُّسخة المنشورة.

وقوله: «لا يَدخُل الجنَّة إِلَّا رَحيم»[1]، إلى غَير ذلك مِن إِرشاداتِه القَولية والعَملية التي كان يُربِّي علَيها أُمَّتَه، وكان يتخلَّق بِها سِلما وحَربا.

[جُودُه ﷺ وكَرمُه]:

أمَّا جُوده (عليه السَّلام): فقَد كان آيةً في الجود، فَهو أَجوَدُ بِالخير مِن الرِّيح المُرسلَة، ما سُئِلَ عَن شَيءٍ قطُّ، فقال: لا، جاءَه أَعربيٌّ يَسأَله شَيئًا فَجبذَه بِردائِه حتَّى أَثَّرت حاشيةُ الرِّداءِ في عُنقِه ﷺ مِن شِدَّةِ الجبذة، وقال: يا محمَّد، مُر لي مِن مالِ الله الذي عِندَك، فالتفَتَ إِليه وضَحِك، ثمَّ أَمرَ لَه بِعَطاء[2].

هكَذا كانَت حالُه معَ الجُفاة، غِلاظِ القلُوب، يُلاطِفُهم ويَبشُّ في وُجوهِهم، ويَعفُو عَن زَلَّاتِهم، وكان يُعطي لِلأُمَّةِ الصُّورةَ الحيَّة عَن الكَرمِ والصَّفح، حيثُ لم يقتَصِر علَى الصَّفح حتَّى يشفعَه بِالعَطاءِ الذي يَستَجلِب القلوبَ الجامِحة، ويؤَلِّف بينَ النُّفوسِ المُتنافِرة، فكانَت أَعمالُه ﷺ لا تَصدُر إِلَّا عَن حِكمةٍ عَظيمة، وعَطاؤُه دَواءً ناجِعًا لأَمراضِ الكُفر، سجَّلَ لَه التَّاريخُ مَواقِفَ كثيرة في هَذا المِضمار، مِن ذلك أَنَّه أَعطَى **صَفوانَ بن أُميَّة** وادِيًا مملوءًا نَعما

---

(1) رواه البيهقي في الشُّعب (11059)، و الدَّيلمي في الفردوس (7067) عن أَبي هريرة (رضي الله تعالى عنه).

(2) أَخرجَه أَحمد في المسند (12548)، والبخاري (5809) في اللِّباس، باب البُرود والحبرة والشَّملة، ومسلم (1057)، باب إعطاء مَن سأَل بفُحشٍ وغِلظة، مِن حديث أَنس (رضي الله تعالى عنها).

وإبلا، فقال **صفوان**: «أَشهَدُ ما طابَت بِهذا إِلَّا نَفسُ نَبِيٍّ»، وكان ذلك سَبب إِسلامِه [1]، هكذا كان كَرمُه (علَيه السَّلام)، لا يقف عِندَ حدٍّ، لِأَنه يَستَنيرُ بِتَعاليمِ الله، واللهُ تَعالىٰ يقول: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾ (الحديد: 7)، وكان يحثُّ الأُمَّةَ علَىٰ الجود، كقَوله: «ليسَ لكَ مِن مالِكَ إِلَّا ما أَكَلتَ فأَفنَيت، أَو لَبستَ فأَبلَيت، أَو تَصدَّقتَ فأَبقَيت» [2]، وقَوله: «اِتَّقوا النَّارَ ولَو بِشقِّ تَمرة» [3]، إِلىٰ غَير ذلِك مِمَّا كان يُرشِدُ بِه أُمَّتَه تَوجِيهًا وسُلوكا.

---

(1) ذكره الواقدي في المغازي (3/ 946)، مارسدن جونس، دار الأعلمي (بيروت)، ط/ 3، سنة1409هـ/ 1989م، قال ابن الأثير في جامع الأُصول (12/ 521): « هو أبو وَهْب صفوان بن أُمية الجُمَحي القرشي، هرب يوم الفتح فاستأمنَ له عُمَير بن وَهب وابنه وهب بن عمير رسول الله ﷺ، فأمَّنَه، وأَعطاهما رداءَه وبُرده أَمانًا له، فأَدركه وَهب بن عُمَير، فردَّه إِلىٰ النبي ﷺ، خرج مع رسول الله ﷺ إِلىٰ حُنين، فشَهِدها، وشهِدَ الطائفَ كافراً، وأعطاه مِن الغنائم فأَكثر، فقال صفوان: أَشهدُ بِالله ما طابت بهذا إِلَّا نفسُ نبيٍّ، فأَسلمَ يَومئِذ، فأَقام بمكة، ثمَّ هاجر إِلىٰ المدينة، ونزل علىٰ العبَّاس، فذُكِر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله: لا هِجرَةَ بعدَ الفتح، وكان صفوان أَحدَ أَشرافِ قريش في الجاهلية، مات بمكة سنة 42» اهـ بتصرُّف مِنَّا.

(2) رواه أَحمد في المسند (16322)، ومسلم (2958) في الزُّهد والرَّقائق، وغيرهما، مِن حديث مطرف عن أبيه عبد الله بن الشِّخِّير (رضي الله تعالىٰ عنه).

(3) رواه أحمد في المسند (18254)، والبخاري (1417) في الزَّكاة، باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، ومسلم (1016)، باب الحثِّ علىٰ الصَّدقة ولَو بِشقِّ تَمرة، أَو =

[صِدقُه ﷺ]:

ومِن أَخلاقِه ﷺ الصِّدق، كان صادِقًا لا يقولُ إِلَّا الصِّدق، لم يَجرِ علَىٰ لِسانِه كَذِبٌ قَطُّ، حتَّىٰ في المزاح، كان يُمازِحُ ولا يقُولُ إِلَّا حقًّا [1]، مِن أَجلِ ذلك لقَّبَه أَهلُ **مكَّةَ** بـ: «الصَّادِق الأَمين»، وكانوا يقُولونَ له: «ما جرَّبنا علَيكَ كذِبا» [2]، وكان مَشهورًا بَينَهم بِالعَدل، فكانُوا يحكِّمونَه في مَشاكِلهم، فيَجِدُون عِندَه الحلَّ الذي يُرضِيهِم، وذلِكَ قَبلَ أَن تَنزِلَ علَيه الرِّسالة، ومِن ذلك قِصَّة الحجَرِ الأَسوَد لَمَّا اختَلفُوا فيمَن يضَعُه في مكانِه، فكانَ ﷺ هو الحكَمُ العَدلُ فيه [3]، فكان أَمينًا، ظَهرَت أَمانته واشتَهرت وهو في حالِ الصِّبا، وإِنَّ أَهلَ **مكَّةَ**

=

كلِمة طيِّبة، وأَنَّها حِجابٌ مِن النَّار، وغيرهم، مِن حديث عدي بن حاتم (رضي الله عنه).

(1) روىٰ أَبو هُريرة (رضي الله تعالىٰ عنه)، عَن رسولَ الله ﷺ أَنَّه قال: «إِنِّي لا أَقولُ إِلَّا حقًّا»، قال بعضُ أَصحابِه: فإِنَّك تُداعِبنا، يا رسولَ الله، فقال: إِنِّي لا أَقولُ إِلَّا حقًّا»، أخرجَه الإِمام أحمد (8481)، واللَّفظ له، والترمذي (1991) في البرِّ والصِّلة، باب ما جاء في المزاح، وقال: هذا حديث حسن، ورواه أيضا البخاري في الأَدب المفرد (265) في باب المزاح.

(2) رواه كما سبق تخريجه أَحمد في المسند (2544)، والبخاري (4972) ومسلم (208)، وغيرهم مِن حَديث ابن عباس (رضي الله تعالىٰ عنهما).

(3) روىٰ قصَّة إعادة بِناء الكعبة ووضع الحجر الأسود الإمام أحمد في المسند (15504)، والبيهقي في دلائل النبوَّة (2/ 58 ـ 60) في جِماع أَبواب صِفة رَسول الله ﷺ، باب ما جاء

=

كانوا يُودِعُون عِندَه بَضائِعَهم النَّفيسة التي يخافونَ علَيها الضَّياع.

[تَواضُعه ﷺ وحياؤُه]:

ومِن الأَخلاقِ الكَريمةِ التي كان يتَمتَّع بِها هذا النَّبيّ: التَّواضُع، والحياء.

فكانَ كثيرَ التَّواضُع، إِذا أَتاه الطِّفلُ أَو الخادِمُ يُمسِكُ بِيده ويَذهَب بِه حيثُ شاء، لا يَمتَنِعُ ﷺ (1)، وكان يقبَل الهديَّة ويكافِئُ علَيها (2).

أَمَّا الحياء، فكان أَشدَّ حَياءً مِن العَذراءِ في خِدْرِها، ما لم تُنتَهك حُرمات الله، فإِذا انتُهِكَت حُرمات الله، انتقَم لله بكلِّ شَجاعةٍ وجَراءة.

=

في بِناءِ الكعبة على طريق الإِختِصار، وما ظهرَ فيه على رسول الله ﷺ مِن الآثار، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: 96]، وغَيرهما.

(1) لعلَّه يشير إِلى حديث أَنس بن مالك (رضي الله تعالى عنه)، قال: «إِنْ كانَت الأَمةُ مِن إِماءِ أَهلِ المدينة، لتأْخُذ بِيد رَسول الله ﷺ، فتَنطلِقُ بِه حيثُ شاءَت»، رواه البخاري (6072) في الأَدب، باب الكبر، وغيره.

(2) أَخرجَ أَحمد في المسند (24591)، والبخاري (2585) في كتاب الهبة وفضلها والتَّحريض عليها، باب المكافأَة على الهديَّة، عن عائشة (رضي الله تعالى عنها) قالت: «كان رسول الله ﷺ يَقبلُ الهديَّة ويُثيبُ علَيها».

[صبرُه ﷺ]:

أَمَّا الصَّبر، فكانَ قِمَّة الصَّابرين، واللهُ تَعالىٰ قَد أَرشدَه إِلىٰ الصَّبر في كثير مِن آياتِ القُرآن، قالَ تعالىٰ: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (المدثر: 7)، ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ (المزمل: 10)، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: 34).

صبَر وتَحمَّل ﷺ مِن الأَذىٰ ومِن المشاقِّ ما تَعجِزُ عَن حَملِه الجِبالُ الرَّاسيات، ويكفينا في الحديثِ عَن صَبره، صَبره علَىٰ قُريش، وما قاساه مِن أَذاهُم إِلىٰ أَن أَظفَره اللهُ بهِم، وحكَّمَه فيهِم، حِينَما فتحَ مكَّة ودَخلَها بِجُيوشٍ كثيرة، واضِعًا [1] رأسَه علَىٰ ظَهرِ ناقتِه حياءً مِن الله تعالىٰ، فلَم يشكُّوا في الِانتِقامِ مِنهُم وأَخذِه إِيَّاهُم بِجَرائِمهِم التي ارتكَبُوها في جانبِه الشَّريف، مثل: شَجّ وَجهِه، وكَسر رُباعيته، وإِخراجه مِن مكَّة (موطنه وأَحبّ البِقاع إِليه)، ووقُوفهم حَجرة عثارٍ في طَريقِ دَعوته، فلمَّا قَهر اللهُ قوَّتَهم وملَّكَه رِقابَهم، كان مَوقفُه مِنهُم أَن صفَحَ وعَفا عنهم، فاجتَمعَ بهِم في المسجِدِ الحرامِ أَمامَ الكَعبة المُشرَّفة، ووقَفَ قائِلا: «يا مَعشرَ قُريش، ما تظُنُّونَ أَنِّي فاعِلٌ بِكُم ؟»، قالوا: خَيرا، أَخٌ كَريم، وابنُ أَخٍ كَريم، فَقال: «أَقولُ كَما قالَ أَخي يوسف: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ

(1) في الأَصل: «متَواضِعا».

ٱلْيَوْمَ﴾ (يوسف: 92)، اِذهَبوا فأَنتُم الطُّلقاء» [1].

ثمَّ لنتَأَمَّل كَيفَ وقَفَ يُلاطِف **أَبا سُفيان بن حَرب** يَوم فَتح مكَّة بعدَ أَن انحلَّت عُراه، وهوَ الَّذي حزَّبَ الأَحزاب، وقَتلَ الأَصحاب، وكان مِن أَلدِّ الخصُوم، لَمَّا دارَت علَيه الدَّائرةُ لاطفَه الرَّسولُ الكَريمُ وعاملَه المُعاملةَ الحسَنة، ولم يزِد علَىٰ قَوله: «أَلَم يأْنِ لك يا أَبا سفيان، أَن تَعلَم أَن لا إِلهَ إِلَّا الله !؟»، فقال **أَبو سفيان**: بِأَبي وأُمِّي أَنتَ يا رَسولَ الله، ما أَحلَمَك وأَكرمَك وأَوصلَك ! فَعفا عنه وصفَح، وأَكرمَه بِأَن جَعلَ بَيتَه أَمانًا مِن القَتلِ لمن دَخلَه، فقال: «مَن دَخلَ دارَ أَبي سفيانَ فَهو آمِن» [2]، لأَنَّ غَرضَ هذا الرَّسول الدُّخولُ في الإِسلامِ والتَّخلُّق بِأَخلاقِه، لا الغَرض الشَّخصي، ولا الاِنتِقام للنَّفس، فقَد قدَّمنا أَنه كان لا ينتقِمُ لِنفسِه.

---

(1) هذا الحديث علىٰ شهرته ليس له إسناد ثابت، رواه ابن هشام عن ابن إِسحاق بإِسنادٍ معضل، وضعَّفه الحافظ العراقي في تخريج الإِحياء، انظر: فقه السِّيرة (ص: 383) للغزالي، بتخريج الألباني، وراجع السِّلسلة الضَّعيفة (1163) له أيضا.

(2) رواه الطَّبراني في المعجم الكبير (7264)، والبيهقي في دلائل النبوَّة (5/ 34 ـ 35) في جُمَّاع أَبواب فتح مكَّة، باب نُزول رسول الله ﷺ بِمَرِّ الظَّهران وما جرىٰ في أَخذِ أَبي سُفيان بن حَربٍ وحكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء وإِسلامِهم وعَقدِ الأَمانِ لأَهلِ مكَّة بِما شرَطَ ودُخولِه معَ المسلمين مكَّةَ وتصديقِ الله تعالىٰ ما وعدَ رسولَه ﷺ، وغيرهما مِن حَديث ابن عباس (رضي الله تعالىٰ عنهما)، قال الأَلباني في السِّلسلة الصَّحيحة (3341): «وهو أَصحُّ وأَتمُّ ما وقَفتُ علَيه مُسندًا في قصَّةِ فَتح مكَّة (حَرسَها الله».

بِهذه السِّياسة النُّورانية الرَّشيدة، وبهذا السُّلوك الجميل ساسَ العَربَ كلَّهم حتَّىٰ انقادوا إِليه، وانضمُّوا تحتَ رايتِه، واجتمعوا عليه، بعدَ أَن كانوا كالوَحشِ الشَّارد، فَقاتلُوا أَهاليهم وأَبناءَهم في سَبيلِ الدِّينِ الذي جاءَ بِه، وهَجَروا أَوطانَهم في سَبيلِ مَرضاتِه وانتصارا لدينه، حتَّىٰ كوَّنَ دَولةَ الإِسلام، دَولة الإِيمانِ والقُرآن، وأَضحَت كَلمة الله هي العُليا، ودَخلَت الجزيرةُ العَربيَّة في دينِ الإِسلام، وأَصبحَت دارَ أَمنٍ وإِيمان، تقول: لا إِله إِلَّا الله، محمَّد رَسولُ الله، وبعدَ أَن بلَّغَ ﷺ الرِّسالةَ التَحقَ بِربِّه، التَحقَ بِالرَّفيقِ الأَعلىٰ، واختارَ الآخِرةَ علَىٰ الأُولىٰ، تَرك فينا الهدَىٰ والنُّورَ والكتابَ المُبين، والسنَّةَ الغرَّاء، طَريقًا إِلىٰ الله واضِحا، ونبراسًا نيِّرا، وأَرشَدنا إِلىٰ التَّمسُّكِ بِهما بِقَوله: «تَركتُ فيكُم ما إِن تَمسَّكتُم بِه، لَن تضلُّوا، كتاب الله، وسنَّتي».

أَجل، إِنَّها الشَّريعةُ التي تكفَّلَ اللهُ بِحفظِها وبقائِها بقاءَ الدَّهر، فلَم تَتبدَّل، ولم تَتغيَّر بِتَغيُّر وتَعاقُب الدُّهور والأَحقاب، إِنَّها الحبلُ المَتين، والدِّفاعُ العتيد الذي لو تدرَّعت بِه الأُمَّةُ المُحمَّديَّة لا تُزعزِعُها أَيَّة قوَّةٍ مَهما تأَلَّبت، ومَهما تجنَّدت، ومَهما قَويت عَددًا وعُدَّة، فالنَّصرُ لِلمؤمنين أَتباع سيِّد المُرسلين، الذين وعَدَهم بِه ربُّ العالمين بِقَوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: 38)، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُومِنِينَ﴾ (الروم: 46)، ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ (محمد: 8).

أَجَل ـ مَعشر المُسلمين ـ النَّصرُ حَليف مَن ينصُرونَ دينَ الله العليِّ، الدِّين

المُستقيم الذي لا يقبَل الله دِينًا سِواه، وبِفَضلِ أُولئِك الذين طبَّقوه وحكَّموه تزَعزَعَت عُروشُ **كِسرى** و**قَيصر**، بِهذه الأَبعادِ السَّامية علَينا أَن نَعيشَ معَ السِّيرةِ المُحمَّديَّة سائِر أَيامِ حَياتِنا، كَي نُحقِّقَ لِأَنفُسِنا الخيريَّةَ التي أَثبتَها لَنا القرآنُ الكَريم.

خاتمة

(نسأَل اللهَ حُسنَها)

أَقول: إِنَّ جميعَ النِّقاطِ التي كانت موضوعَ **النَّدوة** قَد تعرَّضنا لها في هذا البحث، فَفي (**الفصلِ الأَخير**) منه، وفي حَجَّة الوداع بِالذَّات، نَجِد أَنه ﷺ بيَّن في خُطبته للنَّاسِ ما لهم وما عليهِم، فأَمرَ بِتَقوىٰ الله وطاعتِه، وحرَّم الرِّبا والدِّماء، وأَوصَىٰ بِالنِّساءِ خَيرا.

وأَمَّا مُعاملتُه معَ المجتَمع الجاهِلي، فقَد ذكر كذلِك في نفسِ هذا (**الفصل**) كما شاهَد **أَبو طالب** آيات كثيرة، وكان يُستَسقَىٰ به مِن قَحطٍ أَصابَ أَهل مكَّة، وقَد تحدَّث عنه **بحيرا الرَّاهب**[1]، وظلَّ ﷺ في قُريش طِوالَ أَربعين سنة وهو مَوسومٌ بِالصِّدقِ وبحُسنِ الأَخلاق، مِثالًا في الطاعةِ والأَمانة والوفاء بِالعَهد، وهذا ما رغَّب **خَديجة** في مُعاملتِه أَوَّلا، وفي الزَّواج بِه مرَّة ثانية.

وقَد ذكَرنا في (**الفصول الثَّلاثة**) حكمَ الاحتِفال بذكرىٰ مولده والغاية،

---

(1) رواه الترمذي (3620) في المناقب، باب ما جاء في بدء نبوَّة النبي ﷺ، وابن أَبي شيبة في المصنَّف (36541) في المغازي، ما رأَىٰ النَّبيُّ ﷺ قبلَ النُّبوَّة، عن أَبي موسىٰ الأَشعري (رضي الله تعالىٰ عنه)، والحاكم في المستدرك (4229) في كتاب تَواريخ المتقدِّمين مِن الأَنبياء والمرسلين، انظر: جامع الآثار في السِّير ومولد المختار (3/ 393 ـ 410) لابن ناصر الدِّين الدِّمشقي، وراجع أيضا: فِقه السِّيرة (ص: 69 ـ 70) للشَّيخ الغزالي، بِتَخريج الأَلباني، ففيه تحقيقٌ لطيف.

وأَنَّ الاحتفالَ بِمَولده بِدعةٌ حَسنة، وكذلك مِن خِلالِ سِيرته ﷺ قَبل الهِجرة وبعدَها، وفي فتح **مكَّة**، مِن خِلال ذلك يظهَر لنا مُعاملته الطيِّبة معَ أَصحابِه وأَعدائِه.

[المحافظة على الكليَّات الخمس]:

أمَّا المحافظةُ علَى الكليَّاتِ الخمسة، فقَد تَطرَّقنا لها في **(الفصلِ الثَّالث)** مِن هذا البحث، وقَد بيَّنها الرَّسولُ ﷺ في كثير مِن الأَحاديث التي يَطولُ جلبُها، فمِنها قَوله ﷺ: «إِنَّ دماءكُم وأَموالكم وأَعراضَكم حَرامٌ عليكُم، كحُرمة يَومِكُم هذا، في شَهرِكم هذا، إِلى يَوم تلقَون ربكم فَيسأَلكُم عَن أَعمالِكم، أَلا فلا تَرجِعوا بَعدي كفَّارا يَضرِب بَعضكم رِقابَ بعض» (1).

وقَد تقدَّم لنا أَنه ينبغي لنا أَن لا تكون هذِه الذِّكريات جافَّة مِن الإِرشادِ والوَعظِ والتَّوجيه، لأَنه ﷺ يغتَنِم المواسِمَ فيُرشِد أُمَّته ويُوجِّهها ويشرِّع لها في المواسم، مثل: عرفات، ومِنًى، والغزَوات، لأَنَّها مَواسِم تجمعُ الكثيرَ مِن المسلمينَ السَّامِعين لها والمبلِّغين لِغَيرهم. اهـ.

---

(1) رواه أحمد في المسند (20386)، والبخاري (7447) في التَّوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ [القيامة: 21]، ومسلم (1679) في القسامة والمحاربين والقِصاص والدِّيات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأَموال، مِن حديث أبي بكرة (رضي الله تعالى عنه).

ولقَد أَعطاه اللهُ مِن العِناية والرِّعاية حتىٰ أَرضاه، ومهَّد له مِن أَسبابِ النُّمو الكريم والتَّربية العالية ما جعلَه يشِبُّ ويتَرعرعُ بعيدا عَن أَخطاءِ التَّربية وانحِرافاتِ البيئَة، فجاءَ طاهِرا في نَسبِه، كامِلا في خلُقِه، تَنمو معَه أَخلاقه كما نَما، وتَنتشِر معَه أَمانته حَيثما عُرِف، ولم يلقَ مِن ظُروفِ اليُتمِ وحاجةِ الفقرِ ما ينحرِفُ عَن تَربيته أَو يفسد علَيه نشأَته، بل كان قِمَّة في الخلُق، وعلَما في الأَمانة، ومثَلا رائعًا لِكلِّ مجامع السُّلوك الحسَن، والتَّفكير المتَّزن، فلا عجَب وهو كذلك، إِذ عَرفَه النَّاس بـ: **الأَمين**، وأَشاروا إِليه بِالرِّفعة والسُّموِّ، وإِنَّ في حَياتِه ﷺ بكلِّ ما فيها مِن أَحداث، وبكلِّ ما فيها مِن مجاهدةِ النَّفسِ والظُّروف، وما مثَّلته علَىٰ الواقع مِن حقائق ومُثُل، إِنَّ فيها ما يُغري بِالقادةِ أَن يُتابِعوا نفسَ الخطَط، وما يلهب إحساسات الجماهير أَن تجذوا وتتابع وأَن تغالب كلَّ أَلوانِ القَهر، داخِلَ نفُوسها، وداخِلَ ظُروفها، كَي تَستقيمَ وتَنهضَ، وتفكَّ عَن نفسِها أَغلالَ الجهل وثقلة التَّقليد ووَصمة الضّعفِ والجمود، وعلَيها أَن تُصلِحَ أَخلاقَها وبَرامجَ تَعليمها، ولقَد سمِعنا أَنَّ بعضَ الزُّعماءِ لَمَّا سُئِل عَن انتصارِ دولة وانهزامِ دولة، أَحالَ الانهزامَ علَىٰ سوء بَرامج التَّعليم، والعكسَ بِالعكس.

وبِالجملة، إِنَّ الحقَّ لا بدَّ له مِن أَنصار، ولا بدَّ للعَدالةِ مِن مناخ، ولا بدَّ للأُمةِ مِن كَرامة وعِزَّة، فإِذا انعدَمت في الأُمة رُوح الكَرامة والإِحساس بِالعزَّة، وعَجزَت أَن تكونَ للحقِّ نَصيرا، وللعَدلِ قوَّة، هانَت علَيها أَعالي الأُمور، وغاضَت في الطِّين خانِعةً ذليلة.

والحمدُ لله الذي هَدانا لهذا، وما كنَّا لِنَهتَدِيَ لولا أَن هَدانا الله.

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم على صاحبِ الذِّكرى المجيدة، والسِّيرة الحميدة، دَعوة **إبراهيم** وبُشرى **عيسى** (عليهما السَّلام)، وشَفيع الأَنبياءِ والمرسلين، وقائِد الغرِّ المُحجَّلين، في كلِّ لحظةٍ مِن لَحظاتِ الدُّنيا إلى يَومِ الدِّين، صلاةً وسَلاما بِقَدر ما تحمَّله في سَبيلِ النَّصيحة لِأُمَّتِه، وصلِّ اللَّهمَّ عليه يوم أَن تحمَّل الرِّسالةَ أَمينا، وأدَّاها صادِقا مخلِصا رَحيما، وعلَى مَن اهتدَى بِهَديه إلى يومِ الدِّين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

قال جامِعُه محمَّد باي بن محمَّد عبد القادر بلعالِم:

فَرغتُ مِن تَبييضه يوم: 13 ربيع الثَّاني سنة 1413هـ[1] بالمدرسة الدِّينية التَّابعة لمسجِد مصعب بن عمير، بـ: **الركينة (أولف)**، ولاية **أدرار**، الجمهورية الجزائرية.

نسأَل اللهَ أَن ينفَعنا بِه والمسلمين، وأَن يجعلَه خالِصًا لوَجهِه الكريم، وأَن ينفعَ بِه مَن قرأَه أو كتَبه أَو سعَى في شَيءٍ منه، آمين.

كما نَسأَله سبحانَه أَن يغفِرَ لنا ولوالدينا ولمشايخنا والمسلمين، والحمدُ لله ربِّ العالمين. (انتهى)

---

(1) الموافق تقريبا ليوم: 10 أكتوبر 1992م، أَي: بعد شهر وخمسة أَيام مِن عقد النَّدوة التي كان موضوعُها سببًا في تحرير هذه الرِّسالة.

مَراجع كتاب (**فتح المجيب في حكم الإِحتفال بِمَولد النبي الحبيب**)

مفردات القرآن: للأصفهاني.

حاشية الأجهوري على البيقونية.

شرح المحلِّي على جمع الجوامع.

مختار الصحاح: للرَّازي.

الإِعتصام: للشَّاطبي.

فتاوى ابن تيمية.

النِّهاية: لابن الأَثير.

صحيح البخاري.

الموطأ: للإمام مالك.

التَّمهيد: لابن عبد البرّ.

الجامع لأَحكام القرآن: للقرطبي.

الرَّدُّ المحكم: للشَّيخ هاشم الرِّفاعي.

الحاوي للفتاوى: للسيوطي.

تاريخ السَّخاوي.

نزهة الرَّاوي وبغية الحاوي: للشَّيخ المختار الكنتي.

الإِحياء: للغزالي.

الإِحتفال بذكرى المولد النَّبوي الشَّريف: لمحمد بن علوي.

تحفة الآثار: للشَّيخ محمَّد الأمين بن القرشي.

كشف الدِّثار على تحفة الآثار: للمؤلِّف.

مجالس التَّذكير مِن كلام البشير النَّذير: للشَّيخ عبد الحميد بن باديس.

بعض الجرائد والمجلَّات وكتُب السِّيرة.

القسم الثّالث:

قسم الملاحق.

رأَينا أَن نُلحِق بِنصِّ هذا الكتاب ملحقَين لهما ارتباط متين بموضوع هذا الكتاب، من ناحية مضمونه، ثمَّ من ناحية الشَّخصيات التي لها علاقة بِموضوع النَّدوة التي كانت سببا في تحرير هذه الرِّسالة كما سبقَ بيانه في القسم الدِّراسي من هذا الكتاب.

الملحق الأول: محبَّة الرَّسول في طاعتِه والأُسوة به: للشّيخ أَحمد حماني (رئيس المجلس الإِسلامي الأَعلى).

الملحق الثَّاني: المولد النّبويُّ الشّريف في الجزائر عبر العُصور: لمؤرِّخ الجزائر الشَّيخ عبد الرَّحمن الجيلالي.

محبَّة الرَّسول في طاعتِه والأسوة به [1]

اِسمَحوا لي ـ أَيُّها الإِخوة ـ أَن أُخاطِبكم مِن فَوقِ هذا المِنبَر، وأَشكُر الذين دعَوني لِصُعوده، ثِقةً مِنهم بِأَنَّني أَهلٌ لمخاطَبتِهم مِنه، كما صعِدَه مِن قَبلي جلَّة العلماءِ الأَعلام، والدَّكاتِرة العِظام، الذين أَلِفتُم سَماعهم، واعتادَ **المركز** أَن يقدِّمهم إِليكم.

والحقيقة أَنِّي دونَ ما رُشِّحتُ له وما ظُنَّ بي، ولكنِّي لم أَسمَح لنَفسي بِالاعتِذار، ولبَّيتُ الدَّعوةَ متَعاوِنًا معَ أَهلِ الفَضل، ممَّن يَبذلون الجهدَ المشكورَ والتَّضحياتِ الغالية في سَبيلِ رُقيِّ أُمَّتِنا والنُّهوضِ بِها وإِنقاذِها مِن ظلُماتِ الجهلِ ودَركاتِ الإِنحطاطِ والتخلُّف إِلى نُور العلمِ والمعرفة، وصعُود دَرجاتِ التَّقدُّمِ والرُّقيِّ.

وإِنَّ كلِمتي هذِه لا ترقَى إِلى دَرجةِ محاضَرة، ولا تقْوى أَن تكونَ بحثًا عِلميًّا، وإِنَّما هي سمَرٌ دينيٌّ، يتَحدَّث فيه أَخٌ إِلى إِخوانِه، أَو أَبٌ إِلى أَبنائِه، فإِن

---

(1) محاضرة أُلقيت بِالمركز الثقافي الإِسلامي بالجزائر العاصمة، بمناسبة المولد النبوي الشَّريف، ونُشِرت بمجلة الأَصالة، السَّنة الخامِسة، العدد: 31، رَبيع الأول 1396هـ/ مارس 1976م، ص: 126 ـ 139، وللشَّيخ أحمد حماني محاضرة تقع في (17) صفحة، بعنوان: أَهمية الاحتِفال بالأَعياد الدِّينية والوطنية، لم نُدرِجها في قسمِ الملحقات على أَهمِّيَّتها البالغة وارتباطها المتين بموضوع هذه الرِّسالة، لأَنَّ نُسختها بها أَخطاء كثيرة، يفوق عدَدها عدد ظباء خِراش..

شاقَت كان ذلك مِن حُسنِ حَظِّي وسَعادتي، وإِن شقَّت كنتُ بِما قدَّمتُ قَد اعتذَرتُ لدَىٰ كِرامِ النَّاس.

مَولدُ الرَّسولِ والاحتِفالُ بِذكراه:

لا شَكَّ أَنَّ محمَّدًا رَسول الله أَكرمُ خَلقِ الله علَيه وأَفضَلُهم عِندَه، قَد اختارَه علَىٰ علمٍ لِتبليغ رِسالتِه، وأَداءِ أَمانتِه، رَحمةً للعالمين، بشيرا ونَذيرا ليُخرِجَهم مِن الظُّلماتِ إِلىٰ النُّور، مِن الجهلِ إِلىٰ العِلم، ومِن الضَّلالِ إِلىٰ الرُّشد، ومِن العَمىٰ إِلىٰ الإِبصار، ومِن القَسوة والجهلِ إِلىٰ اللِّينِ والحِلم، ومِن العُبودية لِغَير الله إِلىٰ الحريَّة الحقَّة بِالعُبودية لله وحدَه، فكانَت رِسالَته رَحمةً للنَّاسِ أَجمعين،

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(الأَنبياء: 106).

فَميلادُ الرَّسولِ الكَريمِ ميلادُ النُّور والرَّحمة، وحقّ علَىٰ البشَريَّة جَمعاءَ أَن تَحتفي بِمَقدَمِه، وتَحتفِل بِذكراه احتِفالًا صَحيحا، بِإِحياءِ سنَّتِه، واقتِفاءِ آثارِه، والتَّعرُّفِ إِلىٰ دينه، وإِذاعةِ شَمائلِه، وإِشاعةِ فَضائلِه.

عيد المَولدِ عِند المُسلمين:

وقَد اعتادَت الأُمةُ الإِسلامية كلَّ سنَة أَن تَحتفِيَ بِذكرىٰ ميلاده في اليَوم: 12 مِن أَوَّل الرَّبيعَين، وأَن تَعتبِرَ هذا اليوم عيدًا لها، يَصطبغُ بِالصِّبغة الدِّينية، وإِن لم يكُن عيدا دينيًّا بِالمعنَىٰ الشَّرعيّ، لأَنَّ العيدَ الدِّينيَّ الشَّرعيَّ هو ما شُرع فيه عِباداتٌ خاصَّة بِه، وسنَّت فيه أَعمالٌ دينية يؤَدِّيها المؤمنون، وأَقوالٌ يقُولونَها،

وقُربات يقدِّمونَها، كالصَّلاةِ والخروج إِليها، والتكبير والتَّهليل، وتَقديمِ النُّسكِ أَو إِخراج الصَّدقةِ الواجِبة، وأُذِن فيها في تَبادُلِ التَّهاني وحضُور أَلعابٍ أَو القيام بِها، فالشَّارعُ هو الذي سنَّ ذلك أَو أَذِنَ فيه، وقال عنه: «إِنَّ لِكلِّ قَومٍ عيدا، وهذا عيدُنا» (1).

وليسَ يَوم المَولدِ بِعيدٍ دينيٍّ بِهذا المعنَى، لأَنَّ الشَّارعَ لم يؤَسِّس فيه عبادةً خاصَّة، ولا أَمرَ بِالاحتفالِ بِه، ولكنَّ المسلمين أَحدثُوه في أَعيادِهم القَوميةَ منذُ قُرونٍ كثيرة، ولم يحدِثوا فيه عبادةَ العيد، وهُم اليومَ مُجمِعون علَى الإِحتفاءِ فيه، والاحتِفالِ بِه، حُبًّا في محمَّدٍ ﷺ، ووفاءً له، وتمسُّكًا بِشَريعتِه، وإِعلانًا للارتباطِ بِسُنَّتِه.

ومَن أَحقُّ النَّاسِ بِاحتفاءِ المسلمين واحتِفالِهم بِه، وإِظهارِ محبَّتِه والتعلُّقِ بِه، وإِعلانِ الوفاءِ لَه والابتهاج بِيَومه، مِن محمَّدٍ ﷺ ويَومه ؟

إِنَّ يَومَ محمَّدٍ ﷺ في الأَيامِ لهوَ اليَوم الأَغرّ، وإِنَّ ذِكراه لأَجَلّ الذِّكر، وإِنَّ العِبرةَ في ذلك لأَعظَم العِبَر.

---

(1) مِن حديثٍ صحيح رواه مسلم وغيره، خاطبَ بِه رسولُ الله ﷺ أَبا بكر لما نَهى جارِتَين كانتا عِند عائشة تغنِّيان وتضربان على الدّفِّ، وأَذِن لهما الرَّسولُ في فعلِهما. حمَّاني. والحديث كما ذكر الشَّيخ حمَّاني (رحمه الله تعالى) أَخرجه مسلم (892) مِن حديث عائشة (رضي الله تعالى عنها)، في كتاب صلاة العيدَين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد.

وقَد كان شَعبنا في **الجزائر** ينتَهِز هذا اليوم الأَغرّ ليُعلِنَ حبَّه للرَّسول، والتَّمسُّك بِشَريعتِه، واظَبَ على ذلك أَيامَ عُسرِه ويُسره، وأَعلنَ للصَّديقِ والعدوِّ شِدَّة وَفائِه، وفي ذلك قال شاعِرُه الكبير **محمَّد بن العابد السماتي**[1] (رحمه الله)، فأنشدَه كل أَبنائِه منذ قالَه إِلى اليَوم:

---

(1) هومحمَّد بن العابد بن عبد الله السَّائح السماتي، ولد ببلدة أولاد جلَّال سنة 1308هـ/ 1890م، وبها نشأ، وعن شيوخها تدرَّج في العلم، وفي سنة 1920م قصد مدينة قسنطينة وتتلمذ على يد الشَّيخ ابن باديس ولازم مجالسه، ومنذ سنة 1930م صار ذراعه الأَيمن في مدرسة التَّربية والتعليم بِقسنطينة، ثم انتقل مدرِّسا ومعلِّما في بعض المدُن، وفي مرحلة الثَّورة التَّحريريَّة التحق بالجبال، إِلى أَن أُلقي القبضُ عليه، فسُجِن إِلى أَن غادر المستدمِر الفرنسي أَرضَ الجزائر، فعاد ليتمَّ نشاطه التعليمي بمدينة عين مليلة، توفي سنة 1967م، ودفن في مقبرة أولاد جلال مع أسلافِه، له عدَّة مقالات منشورة في الشِّهاب والبصائر، وكتاب: تقويم الأَخلاق (مطبوع)، انظر: محمَّد العابد السماتي (حياته وآثاره)، تأليف الأُستاذة عتيقة سماتي، دار السَّبيل للنشر والتَّوزيع، ط/ 1، سنة 2010م.

أَنتَ يا يَوم محمَّدٌ في جَبينِ الدَّهرِ تاجْ
جِئتَ بِالنُّور المُجدّد فكَسا الكَونَ ابتهاجْ
فابعَثِ النَّخوةَ لحنًا في رؤُوسِ النَّاشِئينْ
فَهْيَ في الأَكوانِ مَعنًى يَستَفِزُّ الغافِلينْ
واملأ الدُّنيا فخارا أَيُّها النَّشءُ الجديدْ
واشْدُ بِالذِّكرى هَزارًا تُطرِبُ الحفلَ الرَّشيدْ
لكَ في المَجدِ سَناءُ دُونَه هام القَمَرْ
سَلْ تخبِّرك سَماءُ بِهَواديك الغُرَرْ

ثمَّ يختمُه بِالتَّنويه بِذكرِ هذا الوطَنِ المحمَّديِّ، المقيمِ علَى حبِّ النَّبيِّ، المتطلِّع إِلى التَّحرُّر مِن قَبضَةِ العدوِّ العادي، فيقُول:

وطنٌ مجَمَّعُ المفاخِر وجَديرٌ بِاهتمامْ
هوَ في الأَرضِ الجزائر هوَ في القَلبِ غَرامْ (1)

(1) صدرُ البيتِ مكرَّر في الأَصل المعتَمد، والتَّصويب مِن مقال نشره الشَّيخ أحمد حماني بجريدة: البصائر: العدد 12، 15 محرم 1413هـ / 16 جويلية 1992م، تحت عنوان: رائعة ابن العابد (يوم محمَّد)، وجاء فيه: «هذا ما أذكُره مِن نصِّ هذا النَّشيد، وقَد يكونُ محرَّفًا في بعضِ كلماتِه، لأنِّي أُمليه مِن الذَّاكِرة الكليلة، فليُصحِّحه بناتُ التَّربية وأَبناؤه، وقد أَحبَبتُه – وما زِلتُ أُحبُّه، وعلَّمتُه حتَّى في تازولت، وقُمنا بإِنشادِه في المولد سنة 1961، رغمَ أَنفِ السجَّانين الذين ارتاعوا لِسَماعِه».

وقَد أَصبحَ هذا النَّشيدُ تَشدو بِه حَناجِر عشَرات الآلافِ مِن فِتيانِ وفتَياتِ شَعبِنا، في حَماسٍ دينيٍّ وطَنيٍّ عَظيمٍ منذُ سنَة 1936، وكانَ مِن الأَناشيد التي دعَّمت روحَ المقاومةِ والاستبسالِ في شَعبِنا.

إِنَّ الأُمةَ الإِسلامية في مختلفِ أَوطانها، مِن أَقصَىٰ الشَّرقِ إِلىٰ أَقصَىٰ الغَرب، تَسعَىٰ بِالاحتِفالِ بِعيدِ المَولدِ للإِعرابِ عَن محبَّتها للنَّبيِّ، فتُقيمُ في هذا اليومِ المهرَجانات العَظيمةَ والولائِمَ الفَخيمة، وتُظهِر مَعالِم الزِّينة في الدُّور والأَسواقِ والشَّوارع مِن المدُنِ والقُرىٰ، ويفتن النَّاس في التزيُّنِ بِأَحسَنِ أَنواع اللِّباسِ والزِّينة، وفي انتخابِ أَلذِّ المآكِل، وأَشهَىٰ الحلويات، وأَحلَىٰ المشروبات، ويجتَمعُ المتديِّنون في المساجِد لَيلاً أَو نَهارا لحلقاتِ الذِّكرِ أَو سَماع العِظات، أَو تِلاوة قِصَّة المَولدِ أَو إِنشادِ القصائِد والمدائح الموشَّحات، وتسخو أَنفُسُ أَهلِ الخير والمعروفِ بِأَنواع الإِحسانِ والصَّدقات، ويجِدُ البائس الفَقير فيه ما يسدُّ خلَّته ويقيم أَوده ويكفيه يومه مِن أَلذِّ المطعوماتِ والمشروبات، وتَشيع فيه أَنواع الفَرح والمَرح بين الرِّجال والنِّساءِ والولدان، يُعلِنون ذلك بِالأَغاني والأَلعابِ وتَفجير المُفرقعات، وقَد يخرُج بَعضهم ـ في بعضِ الجِهات ـ عمَّا يُبيحُه الدِّين، ويأذَن فيه الخلُق القَويم بارتكابِ المنكَرات، وتُنفَق فيه الأَموال الطَّائلة غير مأسوفٍ علَيها مِن المنفِقين والمنفِقات.

فَهل أَصابَ المسلِمونَ وَجهَ الصَّوابِ بِما فَعلُوا ؟

وهَل حقَّقوا الغَرضَ الذي إليه رمَوا ؟

وهَل وفَّقوا إلىٰ الحقِّ بِما صنَعوا ؟

محبَّة الرَّسول واجِبٌ أَكيد:

لا شكَّ أَنَّ هدفَ المسلمين مِن إِقامةِ هذا العيد والاحتِفال فيه هو إِعلانُهم عَن حبِّهِم النَّبيَّ (عليه الصَّلاة والسَّلام)، والإِعرابُ عَن وفائِهِم لذِكراه والتَّمسُّك بِدينه، والانتِساب إِليه.

ومِن المعلومِ أَنَّ حبَّ النَّبيِّ فَرضٌ علَىٰ كلِّ مُسلم، وواجِبٌ أَكيدٌ مِن الواجِباتِ الدِّينيَّة، ولا يتمُّ إِيمانُ أَحدٍ حتَّىٰ يكونَ الله ورَسولُه أَحبَّ إِليه ممَّا سِواهما: مِن نفسِه ومالِه، وولدِه ووالدِه والنَّاسِ أَجمعين، وإِن هو أَحبَّ شيئًا أَكثَر مِن حبِّهِما، وآثرَ شيئًا علَيهِما، كان مِن الهالِكين.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ إِقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(التوبة: 24).

وروَىٰ **البخاري** و**مسلم** أَنه ﷺ قال: «ثلاثٌ مَن كنَّ فيه وَجدَ حَلاوةَ الإِيمان: أَن يكونَ الله ورَسوله أَحبَّ إِليه ممَّا سِواهما... » **الحديث** [1].

(1) الحديث كما ذكر الشَّيخ حمَّاني (رحمه الله تعالىٰ) أخرجه البخاري (16)، كتاب الإِيمان، =

المحبَّة:

إنَّ عاطِفةَ المحبَّة في الإنسانِ مِن أَنبلِ العَواطفِ وأَسماها وأَرقِّها وأَجملِها، وأَقواها سَطوةً علَىٰ النُّفوسِ وأَشدِّها، إذا تمكَّنت مِن إنسانٍ ملكَتهُ وسَيطَرت علَىٰ حَواسه وإدراكِه، وجَعلَته ـ وهو السَّميعُ البَصير ـ الأَصمَّ الأَعمَىٰ كما جاءَ في الحديثِ: «حبُّكَ الشَّيء يُعمي ويُصِمُّ» (1).

وقالَ الشَّاعِر (2):

وكذَّبتُ طَرفي فيك والطَّرفُ صادِق وأَسمَعتُ أُذني فيك ما ليسَ تَسمَعُ

إنَّ عاطِفةَ المحبَّة قَد تَدفعُ العاشِقَ الوالِهَ إلىٰ الشَّفقةِ والرَّحمة والحنانِ والبذلِ وفعلِ الإحسان، وقَد تَدفعُه إلىٰ القَسوة والغِلظةِ والإجرام، إلىٰ التَّضحية البالِغة واقتِحامِ الأَهوال، اِرضاءً للمَحبوبِ واكتِسابًا لمودَّتِه، وبُرهانًا علَىٰ الصِّدقِ في

= باب حلاوة الإيمان، ومسلم (43)، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، مِن حديث أنس بن مالك (رضي الله تعالىٰ عنه)

(1) أَخرجَه البخاري في (تاريخه)، وأحمد في (مسنده)، وأبو داود في (سُننه). حمَّاني. والحديث كما ذكر الشَّيخ حمَّاني (رحمه الله تعالىٰ) أخرجه البخاري في تاريخه (1853)، والإمام أَحمد في مسنده (21694)، وأَبو داود في سننه (5130)، كتاب الأَدب، باب في الهوىٰ، مِن حديث أَبي الدَّرداء (رضي الله تعالىٰ عنه)، وهو حديث ضعيف لا ينتهي إلىٰ دَرجة الحسن، كما قال الحافظ العلائي، وصحَّح وقفه محقِّقُ المسنَد المحدث الشَّيخ شعيب الأَرناؤُوط.

(2) البيت للنجاشي الحارثي، وقيل لبشار بن بُرد.

محبَّته، وطاعة لهواه وتجنُّبا لسخطِه.

وقَد عَرَّفَ علماءُ الشَّريعة المحبَّةَ بِأَنَّها: «دَوامُ ذِكرِ المحبُوب»، وقال بعضُهم: «هي إِيثارُ المحبوب»، وبعضُهم قال: «المحبَّةُ الشَّوقُ إِلى المحبُوب».

وقالَ آخَر: «مَيلُ القلبِ إِلى مُوافِق لَه».

قال القاضي **عياض** (رحمه الله): «وأَكثَر العِبارات المتقدِّمة إِشارة إِلى ثَمراتِ المحبَّةِ دونَ حَقيقتها، وحقيقةُ المحبَّة الميلُ إِلى ما يُوافِق الإِنسان».

ثمَّ شرحَ ذلك بأَنَّ هذه الموافقة تحصلُ إِمَّا لإِدراكٍ حِسِّي، أَو لإِدراكٍ عَقليٍّ قَلبي، أَو لِوُجودِ الإِحسانِ والإِنعامِ مِن المحبوب، وقال ما فَحواه: «هذِه الموافَقةُ إِمَّا لِاستِلذاذِه بإِدراكِه حِسًّا، كحُبِّ الصُّوَر الجميلة، والأَصواتِ الحسَنة، والأَطعِمةِ والأَشرِبة اللَّذيذةِ وأَشباهِها ممَّا يَميلُ إِليه كلُّ طَبع سَليمٍ لموافَقتِها له، وإِمَّا لِاستِلذاذِه بإِدراكِه معنًى بِالعقلِ والقلبِ المعانيَ الشَّريفةِ والحقائق اللَّطيفة، كحُبِّ الصَّالحينَ والعلماءِ العامِلين، وأَهلِ المعروفِ والمُحسِنين لِما أُثِر عنهُم مِن السِّيَر الجميلةِ والأَفعالِ الحسنة، وطَبعُ الإِنسانِ يَميلُ إِلى الشَّغفِ بِأَمثالِهم، وقَد يَبلُغ بِبَعضهِم حبّ أَقوامٍ والتَّشيُّع لَهم إِلى التَّضحيَّة البالِغة، مِن الجلاءِ عَن الأَوطان، والصَّبر علَى هَتكِ الحرُمِ واختِرامِ النُّفوس، أَو يكون حبّه لموافَقةٍ لَه مِن جِهة إِحسانِه لَه وإِنعامِه علَيه، والنُّفوسُ مجبولةٌ علَى حُبِّ مَن أَحسَنَ إِليها وأَنعَم

علَيها» [1].

وحبُّ العَبدِ ربَّه يجِبُ أَن يكونَ فوقَ كلِّ حُبٍّ، وأَسمَىٰ مِن كلِّ حُبٍّ، لأَنه سُبحانه خلقَ كلَّ شيءٍ فأَحسَنَ خَلقَه، وصوَّرَ النَّاسَ فأَحسَنَ صُوَرهم، وأَنعَمَ بِما لا يُعدُّ ولا يُحصَىٰ علَيهِم، وهو وَحدَه المتَّصِف حقيقةً بِالجمالِ والكمال، والبرِّ والإِحسان، وكلُّ ما يَميلُ إِليه الإِنسانُ في الوُجود ويحبُّه هو مِن صُنع اللهِ وفَيضِ جُودِه وإِحسانِه، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل: 88)، وهو سُبحانه وتعالىٰ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ (السجدة: 5 ـ 6)، فحبُّ العَبدِ ربَّه حُبٌّ لسيِّده مَولاه القَويِّ القادرِ المُبدع، الرزَّاقِ المنعِمِ الرَّؤُوفِ الرَّحيم الرّحمان، إِنَّه حبٌّ لمن هو أَهلٌ للمَجدِ والحمد، والتَّقديسِ والعَظَمة، والجلالِ والجمال.

قالت **رابِعة العَدوية** تخاطِبُ ربَّ العِزَّة:

أُحبُّكَ حُبَّيْنِ حُبَّ الهوَىٰ ... وحُبًّا لأَنَّك أَهلٌ لِذاكا
فأَمَّا الذي هو حُبّ الهوَىٰ ... فَشيءٌ شغلت بِه عَن سِواكا
وأَمَّا الذي أَنتَ أَهلٌ لَه ... فكَشفُكَ لي الحجب حتَّىٰ أَراكا [2]

---

(1) انظر: كتاب الشِّفا بِتَعريف حقوق المصطفىٰ (ج/ 2، ص: 29 ـ 30)، ط/ بيروت (دار الفكر).حمَّاني.

(2) من تفسير المنار (ج/ 10، ص: 215). حمَّاني.

وإذا أَحبَّ العبدُ مَولاه فنيَ في طاعتِه، ووزنَ كلَّ حَركةٍ مِنه أَو سكونٍ بِميزانِ شَرعه، ورَضيَ ما يرضيه وسخط ما يسخطه، وهذا هو شأنُ المؤمنِ حقًّا، كما تُعرِبُ عَن ذلك نُصوصٌ واضِحة مِن الشَّريعة: «مَن كان يؤمنُ بِالله واليومِ الآخرِ فليقُل خَيرا أَو ليصمت» (1)، ﴿لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوۤاْ ءَابَآءَهُمْ أَوَ اَبْنَآءَهُمْ أَوِ اِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْايمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (المجادلة:21).

وأَمَّا حُبُّ المؤمنِ الرَّسولَ، فإِنَّه دونَ حبِّه لله، وفَوقَ حبِّه لكلِّ شَيء، ﴿وَالذِينَ ءَامَنُوۤاْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلهِ﴾ (البقرة: 164)، وإِنَّ محمَّدا ﷺ أَهلٌ لِما أَوجَبَ اللهُ لَه علَى كلِّ مُؤمنٍ مِن الحبِّ، وذلِك لِما اتَّصفَ بِه مِن جَمالِ خَلق، وكمالِ خلُق، وإِحسانٍ إِلى الخلقِ أَجمعينَ، حتَّى الوحوش في أَكماتها، والطير في وكناتها.

لقَد كان ﷺ مِن خلُقِه في أَجملِ صُورة، معَ وفُور عَقل، وصحَّةِ فَهم،

---

(1) حديث رواه مسلم وغيره. حمَّاني. والحديث كما ذكر الشَّيخ حمَّاني (رحمه الله تعالى) أخرجه مسلم (47)، كتاب الإِيمان، باب الحث على إكرام الجار والضَّيف، ولزوم الصَّمت إِلَّا عَن الخير وكَون ذلك كلّه مِن الإِيمان، مِن حديث أَبي هريرة (رضي الله تعالى عنه)، وأَخرجه أيضا البخاري (21694)، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، وأَبو داود (5154)، كتاب الأدب، باب في حقِّ الجِوار، الترمذي (2500)، في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ.

وفَصاحةِ لسانٍ، وقوَّة حَواس، وتَناسُقِ أَعضاء، واعتِدالِ حَركات، وكان معَ جَمالِ خلقِه أَوسطَ قَومِه حَسَبا، وأَشرفَهم نَسَبا، وأَكرمَهم أُمًّا وأَبا، وأَعزَّهم نفَرا.

وكان خلقُه القرآن، في علمٍ ـ ممَّا علَّمه الله ـ واسِع، وقلبٍ لله خاشِع، وحلمٍ وافر، وكرَمٍ كبِير، وصَبر عَظيم، وشجاعةٍ نادِرة، وزُهدٍ كامِل، وتَواضُع شامِل، وعفَّةٍ وحَياء، ومُروءَةٍ ووَقار، ورَحمةٍ سابِغة، وأَدبٍ رَفيع، وشُكرٍ للنِّعمةِ جَزيل، وعَدلٍ مُطلَق، في كلِّ ذلك لا يَسبِقه سابِق، ولا يلحَقه لاحِق، ومثُله الرَّائعة لكلِّ خلقٍ ذكِر ممَّا أَكَّدته الآيات الكثيرة مِن كتابِ الله أَو تَواتَرت بِه الأَخبار في سِيرته، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4).

وإِنعاماته علَىٰ النَّاس، ورَحمته بالخلقِ أَجمعين وإِشفاقه عليهِم، وحرصه علىٰ هِدايتِهم، وإِيصالِ الخير إِليهِم واستِنقاذِهم مِن النَّار، وتأَلمه مِن عِنادِ المعانِدين وإِعراضِ المُعرِضين، وسُروره باهتداءِ المُهتدَين ممَّا نطقَت بِه الآيات، وشهِدَت بِه الآثارُ الصَّحيحة.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَد جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُومِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: 129)، وقال: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَيٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُهْدِىٰ مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ (النحل: 37)، وقال: ﴿طَسَمٓ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُومِنِينَ﴾ (الشعراء: 1 ـ 3)، وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُومِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً﴾ (الكهف: 6).

وهكَذا تجتَمعُ فيه (عليه الصَّلاةُ والسَّلام) كلّ دَواعي مَيلِ القُلوبِ إِليه ومحبَّتها إِياه، والتَّاريخُ شاهِدُ صدقٍ علَىٰ أَنَّ كلَّ مَن لقِيَه واستَمعَ إِليه ونظَر في وَجهِه الكَريم، وسَبَر خُلقَه العَظيم، لم يَملِك قلبه أَن يلين، وجَوارِحَه أَن تَخشع، لولا العِناد في أَقوامٍ أَصرُّوا علَىٰ الكفرِ والضَّلال، حتَّىٰ أَعتَىٰ القلوب وأَشدّها قَسوةً وأَعظمها كفرا كانت تذلُّ إِذ تَستَمع إِليه ﷺ يتلو آيات القرآنِ كَما هي قصَّة **الوليد بن المغيرة، وعُتبة بن رَبيعة، والنَّضر بن الحارث،** ممَّن ختمَ اللهُ لهم بِالشَّقاء، وكما هي قِصَّةُ **عمر بن الخطَّاب** (رضي الله عنه) وكثير ممَّن كانوا قَد بيَّتوا قَتلَه وجاءُوه ليقتلُوه، فلمَّا لقَوه أَو استَمعوا لَه، أَو رأَوا مِن حُسنِ مُعاملتِه الأَمثلةَ الرَّائعة، لانَت قلُوبهم وأَسلَسوا قيادَهم، وأَسلَموا إِلىٰ الله وُجوهَهم، وأَصبَحَ أَحبّ إِليهِم مِن سَمعهِم وبَصرهِم وكلِّ عزيز علَيهم، كما أَعلنَ ذلك **عَمرو بن العاص، وابن أَبي شيبة، وصفوان بن أُمية، وهند بنت عتبة،** وكثير غيرهم (رضي الله عنهم)، وكلُّ مَن درسَ سيرتَه ممَّن لم يَره، وعلِمَ بها أَنباءَه، وتَتبَّع أَقوالَه وأَعمالَه، لا يَملِك أَن يَميلَ إِليه ويعجب أَو يؤمِنَ بِه ويحبَّه ويفديه.

محبة الرَّسول في طاعته والأُسوة فيه:

لهذا وجَبت علَىٰ المؤمنينَ طاعته، وتأَكَّدت محبَّته، وشأنُ مَن أَحبَّ شَيئًا أَن يُؤثره ويُوافِقَ مُراده، ويقدِّم هُدىٰ المحبوبِ علَىٰ هَواه، ورِضاهُ علَىٰ رِضاه، ولَو كانت دَعوَىٰ المحبَّة كافيةً لِتَصديقِ كلِّ ناطقٍ بِها لكانَ الأَمرُ سَهلا مَيسورًا لِكلِّ زاعمٍ أَن يَزعُمَها، ودعيٍّ أَن يدَّعيها، ولكن الدَّعوىٰ يصدِّقها أَو تكذِّبها الأَعمال

والاِمتِحانُ بِالطَّاعةِ والاتِّباع والاقتِداء، أَو بِالعِصيانِ والمُخالفةِ والإِعراض.

إِنَّ طاعةَ الرَّسولِ مِن مُستلزَماتِ الإِيمانِ بِه، والإِذعانِ الكاملِ لَه، والتَّصديقِ بكلِّ ما جاءَ بِه، بِحَيث يُطابِقُ التَّصديق بِالقلبِ القَول بِاللِّسان، فتُذعِنُ الجوارحُ وتَستَجيب، ويتمُّ الاِهتِداءُ ويكمُل الإِيمان.

وكان (عليه الصَّلاةُ والسَّلام) يشتَرِط علَىٰ مَن آمنَ بِه أَن يُبايعَ ـ فيما يُبايع علَيه ـ علَىٰ السَّمع والطَّاعة في العُسرِ واليُسر، والمَنشَطِ والمكرِه، وهَذا مِن مُستلزَماتِ الرِّسالة، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ اِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (النساء: 63).

وقَد جاءَ في بَيعة العقَبة عَن **عُبادة بن الصَّامِت** (رضي الله عنه) أَنَّهم بايَعوه ـ فيما بايعُوه علَيه ـ: «علَىٰ السَّمع والطَّاعة، في المنشَطِ والمكرَه، والعُسرِ واليُسر، فإِن وفَّوا فلَهم الجنة» [1]،

وجاءَ في آية بَيعة النِّساء: ﴿وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ (الممتحنة: 12).

وقَد دلَّت الآياتُ الكثيرة المُحكَمة والأَحاديث الصَّحيحة المتواتِرة معًا علَىٰ وُجوبِ طاعتِه، وأَنَّها مِن طاعةِ الله، مقرونة بِها، وشَرطٌ مِن شُروطِ محبَّة الله، وأَنَّ

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام، وصحيح مسلم. حمَّاني. والحديث كما ذكر الشَّيخ حمَّاني (رحمه الله تعالىٰ) أخرجه مسلم (1709)، كتاب الإِمارة، باب وجوب طاعة الأُمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، وانظر: السِّيرة النَّبوية (1/ 454) لابن هشام، تحقيق: مصطفىٰ السَّقا وغيره، طبعة البابي الحلبي وأولاده (مصر)، ط/ 2، سنة 1375هـ/ 1955م.

عِصيانَه ومخالفتَه عِصيانٌ لله ومخالفةٌ لَه، قالَ تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ (النساء: 79)، [وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ (النساء: 58)] (1)،

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾(الأنفال: 20).

وقد بيَّنت الآيات أَنَّ طاعتَه رشدٌ واهتِداء، وأَنَّ عِصيانَه ضَلالٌ مُبين. قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾(النور: 52)، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ وَلَا مُومِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡراً أَن تَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلاً مُّبِيناً﴾(الأحزاب: 36).

وإِنَّما تَتِمُّ طاعته بِالإِتيانِ بِما أَمرَ بِه، وهجرانِ كلّ ما نَهىٰ عنه، والرِّضاءِ بكلِّ ما حكَم بِه والإِذعانِ لَه، قَال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ (الحشر: 7)، ومِن رَحمةِ الله بِعبادِه أَن جعلَ الطَّاعةَ فيما أَمرَ بِه علَىٰ قَدرِ الإِستِطاعة، قالَ (عليه الصَّلاةُ والسَّلام): «فإِذا نَهيتكُم عَن شيءٍ فدَعوه، وإِذا أَمرتكُم بِشَيءٍ فأْتُوا مِنه ما استطَعتُم» (2).

---

(1) هذه الآية أَشار إليها الشَّيخ حماني (رحمه الله تعالىٰ) بِالهامش، وأثبتناها في الأَصل تَتميما للفائدة.

(2) رواه مسلم وأحمد والنسائي. حمَّاني. والحديث كما ذكر الشَّيخ حمَّاني (رحمه الله تعالىٰ) أخرجه مسلم (1337)، كتاب الحج، باب فرض الحجّ مرَّة في العُمر، وأحمد (10429)، والنَّسائي (2619)، كتاب مناسك الحجِّ، باب وجوب الحج، من حديث أبي هريرة =

ولقَد جاءَ الوَعدُ الصَّادِقُ بِحُسنِ الجزاءِ والثَّوابِ العظيمِ علَىٰ الطَّاعة، كما جاءَ الوعيدُ الشَّديدُ بِسُوءِ الجزاءِ علَىٰ المخالَفةِ والعِصيان، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يُّطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾(الأحزاب: 71)

وقال: ﴿وَمَنْ يُّطِعِ ٱللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقاً﴾(النساء:68).

روىٰ **البخاري** مِن حَديثِ **أَبي هريرة** أَنَّه ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتي يَدخُلون الجَنَّة إِلَّا مَن أَبىٰ، مَن أَطاعَني دخلَ الجَنَّة، ومَن عَصاني فقَد أَبىٰ» (1).

وقالَ اللهُ في المخالِفِ أَمره: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولاَ﴾(الأحزاب: 66)، فهُم في النَّارِ يتَمنَّون ما لا يتَحقَّق لهم ممَّا فرَّطوا فيه في دُنياهُم، وكان سَهلا علَيهِم مُيسَّرا لَهم، ومَن خالَفه لم يأمَن الفِتنةَ في الدُّنيا والعذابَ الأَليمَ في الآخِرة.

وليسَ بِصادقٍ في دَعواه الإِيمانِ وحُسنِ الطَّاعةِ مَن غلَبته شَهوته، وآثرَ هَواه علَىٰ الطَّاعةِ والامتِثالِ بِتَنفيذ حكمٍ مِن أَحكامِه، والإِذعانِ لِما أَمرَ بِه، فقَد زعَم

=

(رضي الله تعالىٰ عنه).

(1) الحديث كما ذكر الشَّيخ حمَّاني (رحمه الله تعالىٰ) أخرجه البخاري (7280)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

قَومٌ أَنَّهم آمنوا بِه وأَذعَنوا لِما جاءَ بِه، ثمَّ جاءُوه للخِصامِ والتَّحاكُم، فلمَّا حكمَ بينَهم بِالعدلِ بِما أَراه الله، لم تَرضَ طائِفةٌ منهم بِحُكمِه، وطلَبوا العدلَ عِند غَيره، فعَجبَ الله مِن صُنعِهِم تَعجِيبا، وكذب دعوىٰ إيمانهم، فقال: ﴿ءَالَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلَۢا بَعِيداً﴾ (النساء: 59)، ثمَّ قال: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُومِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِيۤ أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ (النساء: 64)، فهؤُلاءِ لَيسوا بِالمؤمنين، وإِنَّما هم مِن المنافِقين، يُظهِرونَ الإِيمانَ بِأَقوالِهِم ويُسرُّون الكفرَ في قلوبِهِم، فتُبرزُه أَعمالُهم وتَصرُّفاتهِم، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً﴾ (النساء: 60).

في هؤُلاءِ وأَمثالِهِم جاءَ قَوله تعالىٰ في سورة النُّور أَيضا: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِالْمُومِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَاتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُومِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (النور: 45 ـ 49).

فمُقتضَىٰ الإِيمانِ السَّمعُ والطَّاعةُ والامتِثالُ والرِّضَى والتَّسليم بِما يُوافقُ الهوىٰ والمصلَحة الشَّخصية، وبِما يخالِفُ ذلِك، وبهذا يكونُ الفَلاح، وأمَّا الإِعراضُ والمخالفةُ وتَقديمُ الهوىٰ علىٰ الطَّاعة، فإِنَّه مِن شأنِ المنافِقين الظَّالمين.

والطَّاعةُ وحسنُ الاِتِّباع آيةُ المحبَّةِ وبُرهانُ الصِّدقِ في الإِيمان، والإِعراضُ والصَّدُّ والمخالَفةُ للأَمرِ والنَّهيِ دليلُ العِصيانِ والغَفلة، زعَمَ قومٌ أَنَّهم يحبُّون اللهَ وهُم مُعرِضون، فأنزلَ فيهِم قوله: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (آل عمران: 31).

قالَ علماءُ التَّفسير: نزَلت في **كعب بن الأَشرف** (مِن زُعماءِ اليهود) وفي غَيره مِنهم، إِذ قالوا: «نحنُ أَبناءُ الله وأَحبَّاؤُه، نحنُ أَشدُّ حبًّا لله».

قال **الزَّجَّاج**: «إِن كنتُم تحبُّون الله، أَن تَقصِدوا طاعتَه، فافعَلوا ما أَمركُم بِه، فإِنَّ محبَّة العبدِ لله والرَّسولِ طاعتُهما ورِضاه بِما أَمَرا» [1].

وأَمَّا دَعوىٰ المحبَّة معَ الإِصرار علَىٰ العِصيانِ والمخالفِة لأَمرِ المحبوبِ ونَهيِه، فلا يَستقيمُ في ذَوقِ صَحيحِ الوجدان، كما أَعربَ عَن ذلك قَولُ مَن قال:

تَعصي الإِلهَ وأَنتَ تُظهِرُ حبَّهُ ... هَذا لعَمري في القياسِ بَديعُ
لَو كان حبُّك صادِقًا لأَطَعتَه ... إِنَّ المُحِبَّ لمن يحبُّ مُطيعُ

(1) الشِّفا (ج/ 2، ص: 9). حمَّاني.

الأُسوَةُ الحسَنةُ في رَسولِ الله:

والأُسوةُ في الرَّسولِ ﷺ اتِّباعُه والقُدوةُ الصَّالحةُ فيه، وتَركُ مخالَفتِه في قَولٍ أَو فِعل، وذلك واجِبٌ علَىٰ كلِّ مَن آمنَ بِه وأَحبَّه، قالَ تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأَحزاب: 21)، أَي: قُدوة صالحة، فإِنَّ رسولَ الله لا يعمل إِلَّا الصَّالح، وعَملُه أَكملُ الأَعمالِ وأَحسنُها، وعبادتُه أَصحُّ العباداتِ وأَحراها بِالقَبولِ عِندَ الله، وطاعتُه لله أَجلُّ الطَّاعات، فمَن سلكَ طَريقَه واقتفَىٰ أَثره اهتدَىٰ وأَفلَح، ومَن حادَ عَن طَريقه ورَغبَ عَن سنَّتِه ضلَّ وغَوىٰ، كَما أَفصحَ عنه الحديثُ الصَّحيح: «إِنَّ خَير الهديِ هَديُ محمَّدٍ وشرَّ الأُمور مُحدثاتها، وكلَّ بِدعةٍ ضَلالة» (1).

لقَد كان محمَّد ﷺ أَعرفَ النَّاسِ بِربِّه، وأَتقاهُم له، وأَشكرهم لِنعمِه وأَخشاهُم لنِقَمِه، وأَسلَمهم طَريقة، يعبدُ اللهَ مخلِصًا له الدِّين، مُستقيما علىٰ الطَّريقِ كما أُمِر، لا يحلُّ ما حرَّم الله، ولا يحرِّم ما أَحلَّ الله، ولا يُشرِّع للنَّاسِ ما لم يأذَن بِه الله، وإِنَّما يُبلِّغ عَن ربِّه ما يُوحىٰ إِليه، وقَد أَباحَ الله بِشَرعه للنَّاسِ زِينتَه التي أَخرجَ لعبادِه والطَّيِّباتِ مِن الرِّزق، ورفَع بِه الإِصر والأَغلال التي كانت علَىٰ مَن قَبلَه مِن الأُمم.

---

(1) أخرجه مسلم (867)، باب تخفيف الصلاة والخطبة، مِن حديث جابر بن عبد الله (رضي الله تعالىٰ عنه).

وقَد اجتَهدَ قَومٌ مِن الصَّحابةِ في العبادة، واعتقَدوا أَنَّهم مُقصِّرون، وأَرادوا أَن يأخذُوا أَنفسَهم بِالزُّهد، وأَن يَرفُضوا الدُّنيا وزَخارِفها ومتاعَها، ويتركُوا النِّساءَ ويتَرهَّبوا، وسأَلوا أَزواجَ النَّبيِّ عَن عَملِه في السِّرِّ، فقالَ بعضُهم: «لا آكُل اللَّحم»، وقال بعضُهم: «لا أَتزوَّج النِّساء»، وقالَ بعضُهم: «لا أَنامُ علَىٰ فِراش»، فبلغَ ذلك النَّبيَّ ﷺ، فقال: «ما بالُ أَقوامٍ يقُول أَحدُهم كذا وكذا !؟ ولكنِّي أَصومُ وأُفطِر، وأَنامُ وأَقوم، وآكل اللَّحمَ وأَتزوَّج النِّساء، فمَن رَغِبَ عَن سُنَّتي فليسَ مِنِّي» (1)، ولَيس أَغلَظ مِن هذا القَولِ في الرَّدِّ علَىٰ مَن انحَرفَ عَن اتِّباع طَريقه في العبادةِ وأَعرضَ عَن سنَّتِه، حتَّىٰ لَو أَرادَ بِذلك الرَّغبةَ في العبادة، والاجتهادَ في القُربة والغلوَّ في الدِّين وسنَّةُ النَّبيِّ ﷺ الوسَط، فلا إِفراطَ ولا تفريطاً وأُمَّةُ المسلِمينَ الأُمَّة الوَسط، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ (البقرة: 142)، وخَيرُ الأُمور أَوسَطها والغلُوُّ في الدِّينِ قَبيحٌ مِثل الإِهمال والتَّفريط، ﴿قُل يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ (المائدة: 79).

وفي هؤُلاءِ الأَصحاب البَررة الذين لم يُريدوا العِصيان، وإِنَّما أَرادوا الرَّغبة، نزلَ

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة. حمَّاني. والحديث كما ذكر الشَّيخ حمَّاني (رحمه الله تعالىٰ) أخرجه البخاري (5063)، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ومسلم (1401)، كتاب الحج، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، مِن حديث أَنس بن مالك (رضي الله تعالىٰ عنه).

قَوله تعالىٰ تَعليما لهم ولَنا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلاً طَيِّباً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُومِنُونَ﴾(المائدة: 89 ـ 90)، فَعلِمنا مِنها أَنَّ الاِنحِرافَ عَن سنَّةِ الرَّسولِ ﷺ في التَّوسُّط، والغُلوَّ في تَعذيبِ النَّفسِ بِتَرك الطيِّباتِ مِن الرِّزقِ الحلالِ تقرُّبا إِلىٰ الله اعتِداءٌ ومجاوزةٌ لِلحَدِّ، لأَنه شرعٌ لِما لم يأذَن بِه الله، وتحريمٌ لِما أَحلَّ الله، والتَّحريمُ والتَّحليلُ لله وحدَه، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَاذَنْ بِهِ ٱللَّهُ﴾(الشورىٰ: 19)، والأُسوةُ الحسنةُ والقُدوةُ الصَّالحة إِنَّما تكونُ في رَسولِ الله، فمَن أَرادَ أَن يعبُدَ اللهَ كما يحبُّ مِنه، ويَرضَى عنه، علَىٰ أَكملِ الوُجوه وأَحسنِها، فليتَّبع سُنَّةَ **محمَّدٍ** وطَريقَته فيها، فبِذلك أَمرَ الله، ﴿وَمَآ ءَاتِيكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهِيكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ﴾(الحشر: 7)، وقال(عليه الصَّلاةُ والسَّلام): «أَمَرتُ أُمَّتي أَن يأخذُوا بِقَولي ويُطيعوا أَمري، ويتَّبعوا سُنَّتي، فمَن رَضيَ بِقَولي فقَد رَضيَ بِالقرآن»، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتِيكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهِيكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ﴾(الحشر: 7)، وقالَ(علَيه الصَّلاةُ والسَّلام): «مَن اقتَدىٰ بِي فهو مِنِّي، ومَن رَغبَ عَن سنَّتي فلَيسَ مِنِّي»[1].

ولقَد التزَم السَّلفُ الصَّالحُ مِن الصَّحابةِ والتَّابِعين والعلماءِ الرَّاسِخين أَن يتَّبِعوا سنَّتَه ولا يَحيدوا عَن طَريقه، وأَن يحذَروا البِدعةَ ويحذِّروا غَيرَهم مِنها.

قالَ **عبدُ بن مسعود** (رضى الله عنه): «القَصدُ في السُّنَّةِ خيرٌ مِن الاجتهادِ

(1) الشفا، ج/ 2، (ص: 11). حمَّاني.

في البِدعة» [1].

وقالَ **علي بن أَبي طالب** (كرم الله وَجهَه) **لعثمان** (رضى الله عنه) لما نهاه عن القِران في الحجِّ: «لم أكُن لِأَدعَ سنَّة رَسولِ ﷺ لِقَولِ أَحَدٍ مِن النَّاس» [2].

وقالَ **عمر بن الخطاب** (رضى الله عنه) ونظَر إلى الحجَرِ الأَسوَد: «إِنَّك حَجرٌ لا تَنفَع ولا تضرُّ، ولَولا أَنِّي رأَيتُ رَسولَ الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتُك، ثمَّ قبَّلَه» [3].

وإِنَّما فعلَ ذلك اتِّباعًا لرَسولِ الله، وإِن كان في شيءٍ تعبُّدي غَير مَعقولِ المعنَى، فإِنَّ الوفاءَ للرَّسولِ والاتِّباعَ يُوجِبُ ذلِك.

وكان **الحسن البصري** (رضى الله عنه) يقول: «عملٌ قليلٌ في سُنَّة، خيرٌ مِن عَملٍ كثير في بِدعة» [4].

وقال **عمر بن عبد العزيز** (رضى الله عنه): «سنَّ رسول الله وولاة أَمرِه بعدَه سُننا، الأَخذُ بِها تَصديقٌ بِكتابِ الله، واستِعمالٌ لِطاعةِ الله، وقوَّةٌ علَى دينِ الله، ليسَ لأَحدٍ تَغيِيرها ولا تَبديلها ولا النَّظر فيها، مَن اقتدَى بِها فهو مُهتَدٍ ومَن

---

(1) الشفا، ج/ 2، (ص: 14). حمَّاني.

(2) الشفا، ج/ 2، (ص: 14). حمَّاني.

(3) الشفا، ج/ 2، (ص: 15). حمَّاني.

(4) الشفا، ج/ 2، (ص: 13 ـ 14). حمَّاني.

انتَصرَ بِها فهو منصُور، ومَن خالفَها واتَّبعَ غَيرَ سَبيلِ المؤمنين ولَّاه الله ما تَولَّىٰ، وأَصلاهُ جهنَّمَ وساءَت مَصيرا» (1).

وسَمِعَ **الزبيرُ بن بكارسفيانَ ابن عُيينة** يقول: «سمِعتُ **مالكَ بن أَنس** وأَتاه رَجلٌ فقال: يا أَبا عبد الله، مِن أَينَ أُحرِم ؟ قال: مِن ذي الحليفة، مِن حيثُ أَحرمَ رَسول الله ﷺ، فقال: إِنِّي أُريدُ أَن أُحرِمَ مِن المسجِد، فَقال: لا تفعَل، قال: إِنِّي أُريد أَن أُحرِمَ مِن المسجدِ مِن عِند القَبر، قال: لا تفعَل، فإِنِّي أَخشَىٰ عليكَ الفِتنة، قال: وأَيُّ فِتنة في هَذا!؟ إِنَّما هي أَميالٌ أَزيدُها، قال: وأَيُّ فِتنة أَعظَم مِن أَن تَرىٰ أَنَّك سَبقتَ إِلىٰ فَضيلةٍ قصر عنها رَسولُ الله ﷺ، إِنِّي سمِعتُ اللهَ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلذِينَ يُخَالِفُونَ عَنَ اَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ اَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ﴾ (النور: 61) (2).

وكان **مالك** كثيرا ما يُنشِد:

وخَيرُ أَمرِ النَّاسِ ما كان سُنَّةً وشرُّ الأَمرِ المُحدثات البَدائع

البِدَعُ والمُنكرات في المَوالد:

إِذا كانت المخالَفة لِسنَّة رَسول الله والرَّغبة عنها مذمومة، ولَو أَرادَ المخالِفُ طاعةً وخَيرا بإِنشاءِ قُرباتٍ واختِراع عباداتٍ واجتهادٍ في طاعات، زُهدا في الدُّنيا

(1) الشفا، ج/ 2، (ص: 13). حمَّاني.

(2) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، ج/ 2، (ص: 119). حمَّاني.

وإعراضًا عَن مُتعها، فأَولىٰ وأَحرىٰ بِالذَّمِّ والرَّدِّ علَىٰ صاحبِه مَن ادَّعىٰ المحبَّة وهو غافلٌ عَن الفَرائض والأَركان، أَو أَتىٰ مِن الأَعمالِ ما كان بَعيدا عَن شكلِ القُربة وصفةِ العبادة، فإِنَّ مِثلَ هذا لا يُبرهن عَن المحبَّة، ولا يُعرِبُ عَن الطَّاعة.

إِنَّ كثيرا مِن النَّاسِ ابتَدعوا مَوالد ـ غَير مَولدِ النبيِّ ﷺ ـ وأَقاموا لها احتِفالاتٍ مَصبوغة بِالدِّين، وهُم عَن الأَركانِ والفَرائض مِن الدِّين غافِلون، وعَن الصَّلاةِ ساهون، وكثيرٌ منهم أَلصقُوا بِها بِدَعا ومنكرات شَنيعة، وارتكَبوا فيها مُوبِقاتٍ فَظيعة، ممَّا يَبرأ منه الدِّين، ويشمئِزُّ لَدىٰ رؤيته كلّ ذي خلُقٍ قَويم، مِن ذلك ما يقَع عِندَ قُبور بعضِ الصَّالحين، ويسمَّىٰ في الشَّرق: **(موالد)**، وفي الجزائر: **(الزَّردات)**، وقَد كان لَه بِبلادِنا منذُ حين سوقٌ رائجة، وأَشهرُها: **(زَردة سيدي عابد)** [1]، بِقُرب مَدينة غليزان، يؤتَىٰ لحضورها مِن الشَّرقِ والغَرب.

إِنَّ الذين يقيمون هذه الاحتِفالات المنسوبة إِلىٰ الدِّينِ يزعُمون أَنَّهم يُعظِّمون هؤُلاءِ الصَّالحين، ويُنفِق فيها الأَغنياءُ الأَموالَ الطَّائِلة، ويَرىٰ فِعلَهم بعضُ الفقهاءِ والعلماءِ فيَسكتُون رَغبةً أَو رَهبة.

وفي ذلك يقولُ الأُستاذُ الإِمام **محمَّد عَبده**، كما نقلَ صاحب **(تفسير المنار)**: «لقَد تشَوَّهت سيرة مدَّعي التَّصوُّفِ في هذا الزَّمان، وصارَت رُسومهم أَشبَه

(1) عن هذه الزَّردة وما كان يقَع فيها من مخالفاتٍ شَرعية، انظر: سلسلة مقالاتٍ بِعنوان: إِلىٰ زيارة سيدي عابد، بقلَم الأُستاذ محمَّد السَّعيد الزَّاهري (رحمه الله تعالىٰ)، نشرها بجريدة: الصِّراط السَّوي: الأعداد: 6 ـ 8 ـ 12 ـ 13 ـ 17، سنة 1352هـ/ 1933م.

بِالمعاصي والأَهواءِ مِن رُسومِ الدِّين، وأَظهرُها في هذا البِلاد الاحتِفالات التي يُسمُّونَها: (**موالد**)،... زاعِمين أَنَّهم يتقرَّبون إِلى الله... ولا يَرون ما يكونُ فيها مِن المنكَراتِ مُنافيا للتقرُّبِ إِلى الله، كأَنَّ كرامةَ الشَّيخ الذي يحتفِلونَ بِمَولدِه تُبيحُ المَحظورات، وتُحِلُّ للنَّاسِ التَّعاونَ علَى المنكَرات، فالموالِدُ أَسواقُ الفُسوق، فيها خِيامٌ للعَواهِر، وحاناتٌ للخُمور، ومَراقِص يجتَمِعُ فيها الرِّجالُ لمشاهدَةِ الرَّاقِصاتِ المُتهتكات، الكاسياتِ العارِيات، ومَواضعُ أُخرىٰ لِضُروبٍ مِن الفُحشِ في القَولِ والفِعلِ يُقصَد بِها إِضحاكُ النَّاس، وبعضُ هذه الموالِدِ يكونُ في المقابِر، ويُرىٰ كبارُ مشايخ الأَزهَر يتخطَّونَ هذا كلَّه لحضُور مَوائِد الأَغنياءِ في السُّرادِقاتِ والقِبابِ العَظيمة [التي] يَضرِبونها وينصِبونَ فيها الموائد المَرفُوعة، ويوقِدونَ الشُّموعَ الكثيرة احتِفالا باسمِ صاحبِ المَولد» [1].

ونَرىٰ مِن هَذا النَّصِّ أَنَّ الأُستاذَ **عَبدُه** (إِمام المصلِحين في هذا العَصر) ينتَقِد أَعمالَ ثلاثِ طَوائف انحَرفوا عَن السُّنةِ والدِّينِ الصَّحيح:

طائفة الصُّوفية: الذين أَفسَدوا رُسومَ التصوُّفِ الحقيقي والتديُّنِ الصَّحيح.

وطائفة الأَغنياء: الذين أَسرفوا في إِقامةِ حفلاتٍ تُستَباحُ فيها القَبائح، وتُرتكبُ فيها الفَواحِش والمنكرات.

---

(1) تفسير المنار (ج/ 2)، عند الكلام علىٰ قوله تَعالىٰ: ﴿وَالذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ (البقرة: 164). حمَّاني.

وطائفة علماء الدِّينِ والفقهاء الجامِدين: الذين يَرونَ المنكرَ ولا ينهَون عنه؛ بل يكونُ حضُورُهم مُشاركةً وتَشجيعًا لمرتكبِيه، وحجَّةً لهم علَىٰ مَن أَنكَر علَيهِم.

وما وَصفَه الأُستاذُ الإمامُ صادِقٌ علَىٰ ما كان يَجري عِندنا، ومنطبِقٌ تَمامًا علَيه، مِن انحِرافٍ عَن السنَّة، وفَسادٍ في الدِّينِ لَدىٰ الطَّوائفِ الثَّلاث، ولكن أُستاذنا الإمام **عبدالحميد ابن باديس** (رحمه الله) وجَماعته المتأَثِّرينَ بِدَعوَة الإِصلاح، وتَعاليمِ الإمامِ **محمَّد عَبدُه** حارَبوا هذا الفَساد، فاندثَر أَكثَره، وإِن بَقيَت آثاره.

وممَّا يقَع في عيد المولدِ النَّبويِّ مِن المنكراتِ المكاءُ والتَّصديةُ في بُيوتِ الله، والضَّربُ علَىٰ الآلاتِ والنَّفخُ في المزامِر والقيامُ بِالرقَصات، وإِنَّما عبد اللهَ بِالمكاءِ والتَّصديةِ أَهلُ الجاهِلية، فقالَ الله فيهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ (الأنفال: 35)، والمكاء: الصَّفير، والتَّصدية: التَّصفيق، وقيل: المكاء: الضَّربُ بِالأَيدي، والتَّصدية: الصِّياح.

قال **الشَّوكاني**: «ومعنَىٰ الآية أنَّ المشرِكينَ كانوا يصفِّرون ويصفِّقون عِندَ البيتِ الذي هو موضع الصَّلاةِ والعِبادة، فَوضَعوا ذلِكَ موضعَ الصَّلاة» [1].

وحاشَا لله أَن يكونَ عمل الجاهِليَّة لَنا طاعَة وما استقبَحه القرآنُ لنا قُربة أَو عَلامة محبَّةٍ للرَّسول ﷺ ووفاءً له وقيامًا بِحقِّه.

---

(1) تفسير فتح القدير (ج/ 2، ص: 291 ـ 292). حمَّاني.

وإِنَّما يُبرهِنُ علَىٰ حبِّه والوفاءِ لَه الاستِقامة علَىٰ دينه وإِحياء سنَّتِه وطاعة أَمرِه ونَهيِه، فِعلا وتركا، والأُسوة الحسنة فيه: ﴿قُلِ اِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

(آل عمران:31).

المولد النّبويُّ الشّريف في الجزائر عبر العُصور [1]

بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيم

تَحتفِل الجزائر اليوم علَىٰ غِرار بقيَّة دولِ العالمِ الإِسلامي بِذكرىٰ المولدِ النَّبويِّ الشَّريف. فتَفرح بِنعمةِ الإِسلام، وتَسعَد بِرسالتِه، وتُجدِّد تَمسُّكَها بِمبادِئه وقيَمِه، وتَحرِص علَىٰ سلُوكِ طَريقه، وتحيِّي بِهذه المناسبة الفَضائل والقيَم الإِنسانيَّة والحضارية التي جاءَ بِها سيِّدُ الخلق، ومنقِذ البشَريَّة منذُ ما ينيفُ عَن أَربعة عشَر قَرنا، وصوبا نَحوها طَريق الحقِّ والعدلِ والصِّدق. فدَعا إِلىٰ الوحدة والتَّوحيد، والعلمِ والعمَل، والأُخوَّة والتَّضامُن، والتَّعاونِ والتآزر، والجهادِ والتَّضحية والفداء، والمحبَّة والسَّلام، والرَّحمة والرِّفقِ بالضُّعفاء، ونَهىٰ عَن المنكَرِ والفُرقة، والمشاحَنة والاعتداء، والظُّلمِ وأَكلِ مالِ الغَي، فساد مجتَمعًا إِسلاميًّا عادِلا، خاليًا مِن الحقدِ والأَنانية وأَمراضِ الفُرقة والخِصام، ودكَّ حصونَ الظُّلمِ والعُدوان، وزَرعَ تَعاليمَ الله سُبحانه وتَعالىٰ في صدقٍ وأَمانٍ وعلمٍ في تَسامُح ورِفق، وأَرشدَ في لينٍ ويُسر.

---

(1) محاضرة أَلقاها في أَعمال الأُسبوع الوطني الأوَّل للقرآن الكريم، المنظَّم مِن طرف وزارة الشُّؤُون الدِّينيَّة والأَوقاف، بتاريخ: 07 ـ 12 ربيع الأول 1421هـ/ 10 ـ 15 جوان 2000م، وللشَّيخ عبد الرَّحمن الجيلالي (رحمه الله تعالىٰ) محاضَرة بعنوان: قصَّة نشأَة المولد النَّبويِّ الشَّريف، تقع في 33 صفحة، ألقاها بالمركز الثَّقافي الإِسلامي (العاصمة)، بتاريخ: 19 فيفري 1978م..

أنبئوني ـ أَيُّها الإِخوة الكرام ـ كيف تَنشأ مِثل هذه الأَعمال عَن وليد نشأَ يتيما بِصَحراء قاحِلة مُقفِرة مِن أَرضِ الجزيرة العربيَّة منذُ عَصرٍ بعيد، بِوادٍ غَير ذي زَرع، ولا ماءٍ ولا ضرع، ونشأَ مُقِلًّا لم يترك لَه والدُه مِن المال سِوَىٰ خَمسةِ جِمالٍ وقَطيع مِن الغنَمِ وجارِية، ويُروىٰ أَقل مِن ذلك [1]، ولم يكُن لَه ما يستَعينُ بِه علَىٰ الإِستِغناء عَن الكَسب، فكان يَرعَىٰ الغنَم [2]، والقوم في تشتُّتٍ وتفرُّق، هناك غارات مشتبِكة، وإِحَنٌ وحَزازات متَوارثَة، وعادات أَليمة قائِمة، وهناك بناتٌ موؤُودة، وأُمَّهاتٌ متشَرِّدَة، وأَرحامٌ متقَطِّعة، وعَصبِيَّات مُستَعصِية، وعشائر متَنازِعَة، وقلوبٌ متَنافِرة، تَعبد الأَصنامَ وتخضَع للأَوثان، وتخنَع لِلأَنصابِ وتَنصاعُ للأَزلام.

هذا ما كان يَجري مِثله في أعظَمِ قوَّة كانَت لها السَّطوة علَىٰ العالمِ في ذلك العَصرِ السَّحيق، مِثل الدَّولتَين ذَواتَي الشَّوكة يومئذ، دَولتا الرُّومِ والفُرس، وضِف إِلىٰ ذلك شَعب الأنقلوساكسُون في غاراتِه علَىٰ سَواحِل بَحر الشَّمال، وما

(1) قال محمَّد بن عمر الأسلمي (رحمه الله تعالىٰ): «ترك عبد الله أُمَّ أَيمن وخَمسةَ جِمال وقطعةً مِن غنَم، فوَرث ذلِكَ رسول الله ﷺ مِن أَبيه»، انظر: سبل الهدىٰ والرَّشاد (1/ 332) لأَبي عبد الله محمَّد بن يوسف الصَّالحي (ت: 942هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمَّد معوض، دار الكتب العلميَّة (بيروت)، ط/ 1، سنة 1414هـ/ 1993م.

(2) لعلَّه يشير إِلىٰ حديث أَبي هريرةَ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «ما بعثَ اللهُ نبيًّا إِلَّا رعَىٰ الغنَم، فقال أَصحابُه: وأَنت ؟ فقال: «نَعم، كُنتُ أَرعاها علَىٰ قَراريطَ لِأَهلِ مكَّة»، رواه البخاري (2262)، كتاب الإِجارة، باب رعي الغنم علىٰ قَراريط.

وقَع مِن الحروبِ المُزمنة يَومئذٍ بينَ أَولادِ **كلوفيس** (ملك الفرنجة)، وما أَصابَ الإِمبراطورية المسيحيَّة يَومئذٍ مِن تَدهوُر وتخلُّف... إلخ.

يقولُ المستشرِق الإِنجليزي **موير** [1] صاحب كتاب (**حياة محمَّد**): «إِنَّ النَّصرانيةَ في القرن السَّابع ـ وهو عصرُ النَّبيِّ ـ قَد أَصبَحت فاسِدَة ومشوَّهة».

ومثلُه المؤَرِّخ **جيبون** [2]، يقول: «إِنَّ النَّصرانيةَ في القَرن السَّابع قَد استَحالَت إِلىٰ وثَنيَّة».

وتنكَّرت كلٌّ مِن هذه الطَّوائف والفِرَق لبَعضِها بَعضا، ممَّا دعَا ذلك إِلىٰ التَّعصُّبِ البغيض، والجمود القاتِل، فقالت اليَهود: ليسَت النَّصارَىٰ علَىٰ شَيء،

---

(1) هو المستشرق الإِنجليزي وليم موير (William Muir)، ولد سنة 1819 في قلاسقو، واشتغل لمدَّة طويلة لحساب شركة الهند الشَّرقية بالهند، وتقلَّد بها مناصب كبيرة، تعلَّم العربية وعُني بالتَّاريخ الإِسلامي، وكان شديد التعصُّب للمسيحيَّة، لهذا أَسهم بقوَّة في البعثات التَّنصيريَّة التي كانت تقوم بها الجمعيَّات الدِّينية المسيحيَّة، ألَّف كتابه: (حياة محمَّد) ﷺ، بطلبٍ أَحد المتعصِّبين ضِدَّ الإِسلام ليكون مرجعًا للمسيحيِّين الحاقدين علىٰ رسول الإِسلام ﷺ، توفي سنة 1905م، له مؤلَّفات تسودها نزعة مسيحيَّة شديدة التعصُّب، انظر: موسوعة المستشرقين (ص: 578 ـ 579) للأُستاذ عبد الرَّحمن بدوي، دار العلم للملايين (بيروت)، ط/ 3، سنة1993م.

(2) هو المؤَرِّخ الإنجليزي إِدوارد جيبون(Edward Gibbon)، ولد سنة 1737م، تعلَّم بأكسفورد، ثمَّ لوزان، وقام بزيارة روما وألَّف كتابه: (اضمحلال الإِمبراطورية الرُّومانية وسقوطها)، في ستَّة مجلَّدات، توفي سنة 1794م.

وقالَت النَّصارىٰ: لَيسَت اليهودُ علَىٰ شَيء، وفي الجزيرة العَربيَّة نفسها يُصرِّح **جعفَر بن أَبي طالب** أَمامَ مِلك الحبشَة حينما كان مفوَّضا مِن طَرفِ قُريش لَدىٰ مِلك الحبشَة لتَسليمِ المُهاجِرين الأوَّلين، فقال في الجواب لَه عَن تساؤُلاتِ المِلك الحبشي عَن الكيانِ العَربي بِالجزيرة يَومئِذ، فقال له: «أَيها المِلك، كنَّا أَهلَ جاهِليَّة، نعبُد الأَصنام، ونأكلُ المَيتة، ونأتي الفَواحِش، ونقطَع الأَرحام، ونُسيءُ الجِوار، ويأكلُ القويُّ مِنَّا الضَّعيف... إلخ» [1].

هكذا كان وَضعُ المجتمع البشَري عِندَ العَربِ والعَجمِ شَرقًا وغَربا حيثُ النُّبوَّة والرِّسالة.

فَفي عبابِ بَحرِ هذا الظَّلام الدَّامِس، وفَحمتِه السَّوداء، ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾(النور: 39).

فكانَ مِن رَحمتِه سبحانه وتعالَىٰ بِعباده ورأفَتِه بِخلقِه أَن كشفَ عنهم هذه الكُربة، وأَقلعَ هذه الغُمَّة، وقشعَ عنهم هذه الظلمة، ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ (الجمعة: 2)، وهذا ما شرحَه **جعفر** بعدُ **للمَلِك الحبشي**، فقالَ في مجرَىٰ كلامِه: «حتَّىٰ بعثَ الله إِلينا رَسولًا مِنَّا، نَعرِفُ نَسبَه وصِدقَه، وأَمانتَه

(1) رواه الإِمام أحمد في مسنده (1740) من حديث أُمِّ سلَمةَ (رضي الله تعالىٰ عنها) زَوج النبيِّ ﷺ في حَديثٍ طَويل حسَّنه محقِّق المسند الشَّيخ شعيب الأَرناؤوط.

وعَفافَه، فَدَعانا لتَوحيد الله، وأَن لا نُشرِكَ بِه شَيئا، ونَخلَع ما كنَّا نَعبُد مِن الأَصنام، وأَمر بِالصِّدقِ والكفِّ عَن المحارِم والدِّماء، ونَهانا عَن الفَواحِش وقَولِ الزُّور وأَكلِ مالِ اليتيم، وأَمرَنا بِالصَّلاةِ والصِّيامِ والزَّكاةِ والحجِّ، فآمنَّا بِه وصدَّقناه» (1).

ثمَّ كان مِن محمَّدٍ في شأن المِلك الحبشي ما كان، نعَم، فإِلى هذا كان يدعو محمَّد ﷺ، حتَّى اشتَهر بينَ قَومه بِالأَمين.

وناهيكم ـ أَيُّها الإِخوة الكِرام ـ بهذا الوصف الجميل كَمالا وجَلالا، واستَوى عِنده في دَعوته هذِه، المِلك والسُّوقة، والرَّئيس والمرؤُوس، والحرُّ والعَبد.

وراسَل في ذلك قَياصِرةَ الرُّوم، وهم على عُروشهم متكِؤون، وأَكاسِرةَ الفُرس، وهم في غَفلتهِم عَمون، غَير هيَّابٍ ولا مُرتاع، رافِعًا صوتَه الرَّخم النَّديّ الكَريم قائِلا: يا قَوم، اليوم ينتهي تاريخ، ويبتَدئ تاريخ، وليس بعدَ اليومِ ملك ولا كاهِن ولا سلطان، ولا متجبِّر ولا قاهِر، فالنَّاسُ سَواسِية كأَسنانِ المُشط، إِنَّما العبادةُ لله، والقيادة للرَّسول، والسِّيادةُ للدِّين، والدُّنيا للجَميع، ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟

(1) تقدَّم.

﴿اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 63).

وإذا بِهذا الصَّوتِ النَّديِّ يقرعُ الأَسماعَ فَيملأُ الدُّنيا دَوِيّا، ويعمُّ الأَرجاءَ زكيّا، وإذا بِصاحبِه يكوِّنُ أُمَّة، ويؤَسِّس دَولةً ذات شَوكة وعظَمة، وإذا بِهذه الدَّولةِ العَربيَّة المسلِمة تَسير مختالةً تحتَ رايةِ وليد اليوم والرَّجل المِثالي العَظيم في الغَد، فتَمتدُّ دولته شَرقًا إِلىٰ أَقصَىٰ بِلادِ الهِند، وغَربًا إِلىٰ إِسبانيا وأَعماقِ إِفريقيا.

وما لبثَ أَن تغَيَّرت المعايير، وتَبدَّلت الظُّروفُ والأَحوال، وتَوالَت الأَحداثُ وتلَوَّنت، ولكن هذا الوليد الذي انتقلَ مِن ظُلمِ اليُتمِ إِلىٰ ظِلِّ العِزِّ والمَجد، لم يتغيَّر مَوقفُه، فمَعاشُه هو هو، ومَسكنُه هو هو، وملبسُه هو هو.

آمِرا بِالمَعروف، ناهِيًا عَن المنكَر، مُبالِغا في النَّصيحة، آتيًا بِالهِداية، منقِذًا مِن العِماية والظَّلالة، وداعيًا إِلىٰ الفَلاح، مبيِّنا السَّبيلَ إِلىٰ النَّجاح.

أَنبِؤُوني ـ أَيها الإِخوة الكِرام ـ أَنبِؤُوني... فأَيُّ كَرمٍ أَجوَد مِن كَرمِه ؟ وأَيّ أَفضالٍ أَعمّ مِن أَفضالِه ؟ وأيّ نِعَمٍ أَفضل مِن نِعَمه ؟ وأَي نَوالٍ أَتمّ مِن نَوالِه ﷺ ؟

هذا ما نَراه مُعترَفا به ومقَرًّا بِه، حتَّىٰ عِندَ مخالِفيه مِن المنصِفين مِن بني عمِّه، فَفي عَصرِ الجاهِلية نَرىٰ ونَسمعُ كَما يحدِّثنا التَّاريخُ أَنَّ **الوليدَ بن المغيرة** ـ وهو مِن أَكبَر خُصومِه المشرِكين ـ يذكُر محمَّدًا فَيقولُ لِصَديقٍ لَه: «والله، لقَد سَمِعتُ مِن محمَّدٍ كلامًا ما هو مِن كلامِ البشَر، ولا هو مِن كلامِ الجِنِّ، وإِنَّ لَه لَحلاوة، وإِنَّ

علَيه لَطلاوَة، وإِنَّ أَعلاه لَمثمِر، وإِنَّ أَسفلَه لمغدِق، وإِنَّه يَعلو ولا يُعلَىٰ علَيه»، فبلَغ ذلك أَبو جَهل، فغَضبَ لَه، ويعودُ **الوليد بن المغيرة** إِلىٰ المكان، فَيقول لهؤُلاء: «يا قَوم، إِنكم تزعُمون أَنَّ محمَّدا مجنُون ! فهَل رأَيتُموه يختَنِق قَطّ ؟ قالوا: اللَّهمَّ لا، قال: تَزعُمون أَنَّه شاعِر ! فَهل رأَيتُموه يتَعاطَىٰ الشِّعر ؟ قالوا: اللَّهمَّ لا، قال: تَزعُمون أَنه كاهِن ! فَهل رأَيتُموه يتكَهَّن؟ قالوا: اللَّهمَّ لا، قال: تَزعُمون أَنه كذَّاب ! فَهل جرَّبتُم علَيه كذِبا ؟ قالوا: اللَّهمَّ لا، ما جرَّبنا علَيه كذِبا» (1).

وهَذا **هِرقل** عَظيم الرُّوم، يومَ اجتَمع بِه **أَبو سفيان** حينَما كان في تجارةٍ لَه بِأَرضِ الشَّام، وكان لَه حِوارٌ معَ هِرقل حَولَ محمَّدٍ ﷺ، فقالَ هرقل بعدَما أَنصتَ إِلىٰ كلامِ أَبي سفيان ـ وكِلاهُما كان حينئذٍ غَير مُسلم ـ فَقال: «اعلَم يا أَبا سفيان، فإِن كان ما تقُول ـ عَن محمَّدٍ ـ حقًّا، فَسيَملِكُ مَوضعَ قدَمَيَّ هاتَين، وقَد كنتُ أَعلَم أَنه خارِج، ولم أَكُن أَظنُّه مِنكم، فلَو أَنِّي أَعلَم أَنِّي أَخلُص إِليه لتَجشَّمتُ لِقاءَه، ولو كنتُ عِندَه لغَسلتُ عَن قدَمِه»، كما أَوردَ ذلك **البخاري** (2).

فَهذا كلامٌ في نِهاية التَّقدير والإِعجابِ بِمُحمَّد، ويزيدُنا عَجبًا كَون ذلِك صادِرًا مِن غَير مُسلم، والمخاطَبُ بِه كذلِك كان غَير مُسلمٍ أَيضا.

---

(1) رواه بِنَحوه البيهقي في الدَّلائل (2/ 198)، باب اعتِرافِ مُشرِكي قُريش بِما في كتابِ الله تعالىٰ مِن الإِعجاز وأَنَّه لا يُشبِه شيئًا مِن لغاتِهم مع كونِهم مِن أَهلِ اللُّغة وأَرباب اللِّسان.

(2) رواه البخاري (7)، باب بدء الوحي.

ولنَنتقِل إلى العَصرِ الحديث هذا، لِنَنقُل لكُم ما يشهَد بِه بعضُ الأَعيانِ مِن كبارِ رِجالِ الثَّقافةِ والفلسفَة والعلمِ والأَدبِ والسِّياسة بِأُوروبا وغَيرها، وهُم غيرُ مسلِمين.

فنَرىٰ أَحدَ المنصِفين مِنهُم يقُول ما تَرجمته وتَعريبه ما يلي: «إِذا كان جَلال الهدَفِ وضآلة الوَسائل وعِظَم النَّتائج هي المقاييس الثَّلاثة التي تُقاس بِها عَبقريَّة الإِنسانية، فمَن ذا الذي يجرُؤ علَىٰ مقارَنة أَيّ عَظيمٍ كان مِن عظماءِ التَّاريخ بِمُحمَّد !؟» (1).

هذه كلمة الشَّاعر والكاتبِ الفرنسي الكبير، والسِّياسي الخطير، في القرن (19): **لامارتين.**

ويستَمِرُّ **لامارتين** في حَديثه هذا عَن محمَّد ﷺ، فيقُول: «إِنَّ أَعظمَ مَشاهير الرِّجال نَراهم في إِبداعِهِم لم يخلقوا ولم يؤَسِّسوا شيئا علَىٰ الإِطلاق، وإن كانوا قَد أَسَّسوا شيئًا سوىٰ قوَّة مادية تَراءت في أَغلَبِ الأَحيانِ علَىٰ مَرأًىٰ مِن أَعينهِم فقَط، أَمَّا هَذا الرَّجل ـ وهو يَعني بِه محمَّد ﷺ ـ فإِنَّه لم يحرِّك الجيوشَ والتَّشريعات والإِمبراطُوريات والمُلُوك فحَسب، ولكِنَّه حرَّكَ ملايِين مِن النَّاسِ في ثلُثِ الدُّنيا المَعمورة آنذاك، وأَشاعَ حضارةً في زَمنٍ قَليل، وأَكثَر مِن هذا فإِنَّ زلزلتَه قَد عمَّت

(1) انظر: مختارات من كتاب حياة محمَّد (ص: 122) لألفونس دي لامارتين، ترجمة د. محمَّد قوبعة، مراجعة واختيار د. أحمد درويش، مؤسَّسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين (الكويت)، سنة2006م.

الجميع، ولقَد غطَّت تَعاليمه المنابِر والأَصنام والدِّيانات، والأَفكار والعقائِد والأَرواح، وعلَىٰ أَساسٍ مِن كتابٍ أَصبَحت كلُّ كلِمةٍ فيه قانُونا متَّبعا، واستَطاعَ أَن يحقِّق روحانيةً مزَجَت بينَ شُعوبٍ متَعدِّدة الأَلسُنِ والأَجناس، وقَد خلَّف لنا الميزةَ الباقية للقَومية المسلِمة، أَلا وهي كَراهية الآلهة المزيَّفة، والتَّوجُّه السفر نَحو إِله واحِد منزَّه عَن التَّجسيد، وقَد كوَّنَت هذِه الوطنيَّة الرُّوحية الثَّائرة علَىٰ كلِّ منتَهِك لحرمَةِ السَّماء عُنصرَ الخير في أَتباع محمَّد، كما أَنه كان مُعجزةً عظيمة، أَو بِالأَحرىٰ هذه لم تكُن مُعجِزةَ رَجل، ولكِنَّها مُعجزة الفِكر، لقَد كانت فِكرة التَّوحيد التي صدَع بِها محمَّد وَسطَ الأَساطير الخرافية مُعجزة باهِرة، إِذ ما فاهَت بِها شفَتاه حتَّىٰ حطَّمت كلَّ المعابِد القَديمة لِلأَصنام، وأَلهبَت النَّار في ثلُثِ الأَرضِ ضِدَّ الأَوثانِ ولَدىٰ كلِّ متكبِّر جبَّار، مِن إِنسٍ أَو جانٍّ.

فإِنَّ حياتَه وتأَمُّلاتِه وشَجاعتَه في تَسفيه خُرافاتِ قَومه، وجُرأَته في تحدِّي شَراسة الوثَنية، وثَباتَه في احتمالِ أَذاها قرابةَ خَمسةَ عشَر عامًا بِمكَّة، وتَضحيَّته ورضاه بِأَن يكونَ مَوضعَ سُخرية النَّاس، حتَّىٰ لقَد كادَ أَن يذهَبَ ضَحيَّة جَهلِ بني وَطنِه.

نعَم، كلُّ هذا وقَع، ثمَّ هِجرتُه وخُطبُه المتَواصِلَة وكفاحُه ضِدَّ العَراقيل، وإِيمانُه بالِانتِصار وهدوؤُه عِند الشَّدائِد هدُوءًا يفوقُ طاقةَ البشَر، وعفوُه عِندَ الِانتصار، وطُموحُه الذي كان مكرَّسا لِفكرة واحِدة، لم يكُن يسعىٰ وراء [تحقيق] إِمبراطورية أَو مُلك، وصَلواتُه التي لا تَنقَطع، ومُناجاته لمولاه، ثمَّ

انتِصاراتُه علَىٰ أَعدائِه حتَّىٰ بعدَ مَوته، فإِنَّ كلَّ هذا لا يدلُّ علَىٰ ادِّعاء، بل علَىٰ إِيمانٍ ثابِت» [1].

ويُتابع **لامارتين** كلامَه هذا، فَيقُول عَن النَّبيِّ [ﷺ]: «هو فَيلسوفٌ وخَطيب، ورَسولٌ مشَرِّع، ومحارِبٌ هازِمُ أَفكار، باعِثُ عقيدَةٍ منزَّهة مِن الأَخيلة والصُّوَر، ومؤَسِّسُ عِشرين إِمبراطُوريَّة وواحِدَة روحيَّة، وذاك هو محمَّد... أَلا يحقُّ بعدَ هذِه المَعايِير والمقايِيس التي تقاسُ بِها عظَمة الرِّجال أَن نَتساءل: هَل ثمَّةَ رَجل أَعظَم مِن محمَّد ؟» [2].

نعَم، محمَّد [ﷺ] هو ذلِك الرَّسول ﴿ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرِىٰةِ وَٱلإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ (الأَعراف: 157)، ولله درُّ مَن قال [3]:

كفاكَ بِالعلمِ في الأُميِّ مُعجِزةً في الجاهِلِيَّةِ والتَّأديبِ في اليُتُمِ

هذا نظَر **لامارتين** مِن فرنسا يقُول هكذا، وهو ما سمِعتُموه، وتجِدونَه في كتابِه: **تاريخ تركيا** (ج/ 2، ص: 276 ـ 277)، ط/ باريس (1854)، وتوفي

---

(1) مختارات من كتاب حياة محمَّد (ص: 122 ـ 124).

(2) مختارات من كتاب حياة محمَّد (ص: 124).

(3) بيتٌ مِن قصيدة البُردة الشَّهيرة لأَبي عبد الله محمَّد بن سعيد بن حماد البوصيري (ت: 696هـ).

في(1869م).

وهناك آخرون في بلادٍ بعيدةٍ أُخرىٰ مِن غَير المسلمين، مِن أُممِ الغَربِ يذكرونَ مِثلَ ذلك أَو أَغرب أَو أَعجَب، مِثل: **طولوطسي** الرُّوسي، و**توماس كرليل**، و**واشنطن**، و**أرفيخ** الأَمريكي، و**جورج برنارد شو**، وغيرهم.

ومِن المتأخِّرين وأَسلموا: **إِتيان ديني**، أَو نقُول: الحاج **ناصر الدِّين**، المتوفَّىٰ سنة (1348هـ/ 1929م)، رفيق بلدةِ بوسعادة (رحمه الله)، والكاتب العالِم **قارودي**، وهو مِن الأَحياء (شكرَ الله سعيَه).

وجاءَ في مجلَّةِ (**الشِّهاب**) القَسنطينيَّة التي كان يُشرِف علَيها العلَّامة الشَّيخ **عبدالحميد ابن باديس** (طيَّب الله ثَراه) في عدَدِها الصَّادر في شَهر أُكتوبر (1932م)، روايةً عَن الرَّاهب أَو القِسِّ المُسمَّىٰ: **لوزون**، إِذ قال هذا القِسُّ: «اِعلَموا ـ أَيها النَّاس ـ أنَّ محمَّدًا ليسَ نبيّ العَربِ وحدَهم، بل هو أَفضلُ نَبيٍّ قالَ بِوَحدانيَّة الله تعالىٰ... ولقد كتبَ الأَميرُ عبد القادر الجزائري، وهو الذي قاتَلَ الفرنساويِّين، فعرفَ مِقدارهم وفضائلَهم (كذا) ما نصُّه: ولَو أَصغَىٰ المسلِمون والنَّصارىٰ إِليَّ، لأَزلتُ كلَّ خِلافٍ بينَهم، فأَصبَحوا إِخوانًا باطِنًا وظاهِرا» [1].

---

(1) مجلَّة الشِّهاب، الجزء العاشر ـ المجلَّد الثَّامن، جمادىٰ الثَّانية 1351هـ/ أكتوبر 1932م، ص:512، ليس محمَّدٌ نبيَّ العرب وحدَهم بل هو أَفضل نبيٍّ قال بِوَحدانية الله، بقلم =

وهكَذا نَرىٰ **جَريدة الوطن** البَيروتيَّة ـ وصاحِبُها مَسيحي ـ اقتَرَحَت يَومًا علىٰ كتَّابِها أَن يكتُبوا آراءَهم في أَعظَمِ رَجلٍ ظهَر في العالمِ، ولماذا كان عَظيما ؟ فأَجابَ كاتِبٌ مِن أَحرار الطَّائِفة المَسيحيَّة، فقال: «إِنَّه هو محمَّد»، قال: «فهو أَعظمُ رِجالِ العالمِ علَىٰ الإِطلاق، ذلك لأَنه رَجلٌ وَضعَ في عَشرِ سِنين دينًا وفلسفةً وشَريعةً اجتماعيَّة، وقَوانين مدَنيَّة، وغيَّر شَريعةَ الحرب، وأَنشأَ أُمةً ودولةً طاولَت الدَّهرَ وهو أُميٌّ، ذاك هو محمَّد ابن عبد الله بن عبد المطَّلب بن هاشِم العَربيّ القُرشي نَبي المسلِمين، ﴿هُوَ ٱلذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ (التَّوبة: 33).

وهذا ما نلمَحُه مِن فَحوَىٰ ما تشير إليه الآية الكريمة مِن سُورة سَبأ، آية:6: ﴿وَيَرَى ٱلذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾ (سبأ: 6)

قال المفسِّرون: «هُم علماءُ أَهلِ الكِتاب، أَو مؤْمنُو أَهلِ الكتاب».

ولكِن، ما لَنا نحن المسلمون نلتَجِئ أَو نلتَمِس الحجَجَ عِندَ أَهلِ الكتابِ أَو غَيرهِم مِن النَّاس !؟ فحَسبُنا ما جاءَ بِه ﷺ مِن البيِّنات والهدَىٰ، وأَنَّ الله سبحانه وتَعالىٰ صلَّىٰ علَيه، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ﴾ (الأَحزاب: 56)، وأَمرَنا بالصلاة عليه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ

= القِسِّ لوزون الفرنساوي.

تَسْلِيماً﴾ (الأحزاب: 56).

أَوَلا يكفي هذا في جلال وتقدير عظَمتِه ومنزِلته الرَّفيعة عِند الله جلَّ جلالُه ممَّا لم يَبلغ إِليه غَيره مِن الأَنبياءِ والمُرسَلين (عليهِم الصَّلاةُ والسَّلام)، ولا الملائِكةُ المقرَّبون ؟ أَوَلَم يُقسِم الله عزَّ وجلَّ بِحَياته ؟ إِذ قال عزَّ وجلَّ في الآية: 72، مِن سورة الحجر: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ (الحجر: 72)، أَي: حَياتك، وهذا قَسمٌ صَريحٌ صادِرٌ عَن ربِّ العِزَّة، فعَن **أَبي هريرة** (رضي الله عنه) قال: «ما حلفَ اللهُ بِحَياةِ أَحدٍ إِلَّا بِحَياةِ محمَّدٍ ﷺ»، وقال **ابن عباس** (رضي الله عنه): «ما سمِعتُ أَنَّ الله تعالىٰ أَقسمَ بِحَياةِ أَحدٍ غَيره» [1].

كما أَثنىٰ علَيه الله في قَوله جلَّ جَلالُه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4)، كما أَنه أَمرَنا بِتَعزيزه وتَوقيره وتَعظيمه، فقال مِن سورة الفتح، آية: 9: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ (الفتح: 8 ـ 9)، قال **ابنُ عبَّاس**: «تعزِّروه، أَي: تجِلُّوه»، وقال **المبرد**: «تبالغوا في تعظيمه».

وقال **عياض**: «إِن حُرمةَ النبيِّ ﷺ بعدَ مَوته وتَوقيره وتَعظيمه لازِمٌ كما كان

---

(1) انظر: تفسير القرطبي (10/ 39 ـ 40) لأَبي عبد الله محمَّد بن أحمد القرطبي (ت: 671هـ)، دار الكتب المصرية (القاهرة)، ط/ 2، سنة 1384هـ/ 1964م.

في حياتِه» [1].

فعلَىٰ هذِه المقاييس والمعايِير السَّديدة الرَّشيدة قامَت فِكرة إِحياء ذِكرىٰ تَعظيم لَيلة ميلاده (عليه الصَّلاة والسَّلام) في العالمِ الإِسلامي، لا علىٰ أَنَّها شَعيرةٌ دينيَّة، ولا علَىٰ أَنَّها دينٌ يتَّبع، ولا علَىٰ أَنها مطلوبةٌ مِن المستحبَّات أَو مِن المندوبات فيما اصطلَح عليه الفقهاء، ولا أَنَّها عقيدةٌ مِن عقائِد الإِسلام الأَساسية، ولا نَقول إِنَّها عبادةٌ يُرجَىٰ ثَوابُها، ولا هو عملٌ تَعبُّديٌّ تَعبَّدنا الله بِتكراره، كلَّا.

وإِنَّما الأَعمالُ بِالنِّيات، وإِنَّما الأَمرُ فيها يَرتكِز علَىٰ أَنَّها مجرَّد رَمز وتَعبير عاطِفي عَن محبَّته وعَن تَقدير مقامِ النُّبوَّة، ومجرَّد إِعلان شُعور باطِني بإِظهار وإِشهار فَرحة المسلمين بِذكرىٰ عَودة لتاريخ هذا اليوم واللَّيلة المباركة التي وُلد فيها هذا النبيُّ الكريم ﷺ، الذي كان الأَنبياءُ والرُّسل قبلَه يُبشِّرون بإِتيانه، ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ (سورة الصف، الآية: 6)، وتحقَّقت البِشارة، والحمدُ لله.

ثمَّ إِنَّه كان لمولدِه كما لا يخفَىٰ إِرهاص وخَوارق للعادة، ممَّا يدلُّ علَىٰ عظَمةِ هذا الحدَثِ الجليل.

---

(1) انظر: الشِّفا بِتَعريف حقوق المصطفىٰ (2/ 91) لأَبي الفضل عياض بن موسىٰ بن عياض السَّبتي (ت: 544هـ)، دار الفيحاء (عمان)، ط/ 2، سنة 1407هـ.

ومِمَّا يلتَمس ليُستأنسَ بِه للتَّدليلِ علَىٰ وُجود هذا الاِهتمام بِالذِّكريات والعِناية بِها عِند الأَنبياء، أَنه لَمَّا سُئِل عَن صَومه يوم الاثنين ؟ قال: «ذلك يومٌ أُنزِل عليَّ فيه»، أَو قال: «بُعِثتُ فيه»، أَو قال: «ذلك يومٌ وُلِدتُ فيه»، رواه **مسلم** [1].

أَليسَ هذا نَوعٌ مِن نَوع الاِهتمام بالذِّكريات ؟

ومضَت القُرون الخمسة الهِجرية الأُولىٰ مِن ميلادِ النبيِّ ﷺ، ولم يكُن لهذه الذِّكرىٰ العبِقة ذِكر في التَّاريخ، إِلىٰ أَن حلَّ القَرن السَّادس الهِجري، فكان أَوَّل مِن أُلهِمَ إِلىٰ الاِحتفال والاِحتِفاء بهذه الذِّكرىٰ السَّعيدة هم: العزفيُّون بِالمغرب، والفاطميُّون بِالمشرِق، وأَهلُ الموصل بِالعراق، في أَزمانٍ متَقارِبة.

ويقول صاحب (**الموسوعة العربية**): «إِنَّ ذلك يَرجع إِلىٰ القَرن الرَّابع الهِجري».

ويذكُر أَهلُ التَّاريخ بِالتَّحديد أَنه يَرجع إِلىٰ مُستَهلِّ القرنِ الخامِس الهِجري، أَيام السُّلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي، صاحب **غزنة** (عاصمة أفغانستان)، سنة (421هـ/ 1030م)، والذي امتدَّت سُلطنَته مِن أَقصىٰ الهِند إِلىٰ نيسور، ونظم هذا الاِحتفال مِن قبل أَهلِ السُّنة ليقابل بِه نيسا نحاة الشيعة في تهاليليهم

---

(1) صحيح مسلم (1162)، كتاب الصِّيام، باب استِحباب صِيامِ ثلاثةِ أَيَّامٍ مِن كلِّ شهرٍ وصَومِ يومِ عرَفة وعاشوراءَ والاِثنَين والخميس.

وتهاويلهم في ذكرىٰ ميلاد **الحسين** السبط (رضي الله عنه).

وروَىٰ **أَبو شامة** المتوفَّىٰ في (665هـ/ 1267م) في كتابِه: (**الباعث**)، فقال: «إِنَّ أَوَّل مَن قام بإِقامة إِحياءِ ذكرىٰ المولد الشَّريف في كلِّ عام هوالشَّيخ عمر بن محمَّد الملا أَحد الصَّالحين المشهورين في مدينة أربل بأَرض الموصل بِالعراق، وكان يظهِر فيه أَنواعا مِن البرِّ التي لم تُعهَد في الصَّدر الأَوَّل مِن الصَّدقات والمعروف، وإِظهار الزِّينة والسُّرور، مع إِلىٰ ما في ذلك من الإِحسانِ إِلىٰ الفقراء، وإِعلان كامِل مُشعِر بِمحبَّة النبيِّ ﷺ وتعظيمه وإِجلاله في قلبِ فاعِله، وشكرا لله تعالىٰ علىٰ ما مَنَّ بِه علىٰ عبادِه مِن إِيجاد رَسوله الذي أَرسله رحمةً للعالمين صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبِه وعلَىٰ جَميع الأَنبياءِ والمرسلين» [1].

وبِه اقتدَىٰ الأَمير المِلك المظفَّر أَبو سعيد كوكبري بن أَبي الحسن صاحب إِربل من أَرض الموصل بالعراق المتوفَّىٰ سنة (630هـ/ 1233م) [2].

---

(1) هو الملك أَبو سعيد مظفَّر الدِّين كوكُبري ابن الأَمير زين الدِّين أَبي الحسين علي بن بكتبين التُّركماني، صحاب إربل ولد في قلعة الموصل سنة 549هـ/ 1154م، وولي إربل بعد وفاة أَبيه، وتوفي بها سنة 630هـ/ 1233م، انظر: الأَعلام (5/ 237).

(2) انظر: الباعث علىٰ إِنكار البِدع والحوادث (ص: 23 ـ 24) لأَبي القاسم عبد الرَّحمن بن إِسماعيل المقدسي، الشَّهير بأَبي شامة (ت: 665هـ)، تحقيق: عثمان أحمد عنبر، دار الهدىٰ (القاهرة)، ط/ 1، سنة 1398هـ/ 1978م، مع تقديم وتأخير، وتصرُّف يسير من المحاضِر.

فَيا تُرىٰ ماذا كان يصنَع في هذه المناسبة الطيِّبة !؟

قال **ابن خلكان** بعدَما ذكَرَ نُبذةً صالحةً مِن مَحاسن هذا المِلك الجليل، فقَال: «وأمَّا احتِفاله بِمَولدِ النبيِّ ﷺ، فإنَّ الوصفَ يقصر عَن الإِحاطة بِه، لكن نذكُر طَرفا مِنه»، فقال: «إنَّ أَهلَ البِلاد كانوا قَد سمِعوا بحُسنِ اعتقادِه في النَّبي ﷺ، فكان في كلِّ سنة يصِل إِليه مِن البِلاد القَريبة مِن إِربل، مثل: بغداد والموصل، والجزيرة، وسنجار، ونصيبين، وبِلاد العَجم، وغيرها مِن النَّواحي خلق كبير مِن الفقهاءِ والصُّوفية والوعَّاظ والقُرَّاء والشُّعراء، ولا يزالون يتَواصلون مِن المحرَّم إِلىٰ أَوائل شَهر رَبيع الأوَّل، ويتقدَّم مظفر الدِّين ـ وهو الملك ـ بِنَصبِ قِبابٍ مِن الخشَب، كلُّ قبَّة أَربع أَو خَمس طَبقات، ويَعمل مِقدارِ عشرين قبَّة وأَكثَر، منها قبَّة له، والباقي للأُمراءِ وأَعيانِ دَولتِه، لكلِّ واحِدٍ قبَّة.

فإِذا كان أوَّل صفَر زيَّنوا تلك القِباب بِأَنواع الزِّينة الفاخرة المستَجملة وقعدَ في كلِّ قبَّة جوق مِن المغاني، وجوق مِن أَرباب الخيال، ومِن أَصحابِ الملاهي، ولم يتركوا طبقةً مِن تلك الطِّباق حتَّىٰ رتَّبوا فيها جوقا، وتبطل مَعايش النَّاس في تلك المدَّة، ولا يبقَىٰ لهم شُغلٌ إِلَّا التفرُّج والدَّوران علَيهم، وكانت القبابُ منصوبةً مِن باب القلعة إِلىٰ بابِ الخانقاه المجاورة للميدان، فإِنَّ مظفر الدِّين ينزِل كلَّ يَومٍ بعدَ صلاةِ العصر، ويقف علَىٰ قبَّة قبَّة إِلىٰ آخِرها، ويَسمع غِناءَهم ويتفرَّج علَىٰ خِيالاتهِم وما يفعَلونه في القباب، ويبيتُ في الخانقاه ويعمل السَّماع فيها، ويركَب عقِبَ صلاةِ الصُّبح ويتصيَّد، ثمَّ يَرجع إِلىٰ القلعة قبلَ الظُّهر.

هكَذا يعمَل كلَّ يَومٍ إلى لَيلة المولد، وكان يعمَله سنةً في الثَّامن، وسنةً في الثَّاني عشرة، للاختِلاف الذي فيه، فإذا كان قبلَ المولد بِيَومَين أَخرجَ مِن الإبل والبقَر والغنَم شيئًا كثيرا زائدًا عَن الوَصف، وزفَّها بِجَميع ما عِندَه مِن الطُّبول والمغاني والملاهي، حتَّى يأتي بِها إلى الميدان، ثمَّ يشرعون في نَحرِها، وينصبون القُدور، ويطبخون الأَلوان المختلِفة مِن الطَّعام، فإذا كانَت ليلة المَولد عمِل السَّماعات بعدَ أَن يصلِّي المغرب في القلعة، ثمَّ ينزِل وبينَ يدَيه الشُّموعُ المشتَعلة شيءٌ كثير، وفي جُملتِها شَمعتان أَو أَربع ـ أشكُّ في ذلك ـ مِن الشُّموع الموكبِيَّة التي تحملُ كلَّ واحدةٍ منها على بغل، ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل، حتَّى ينتَهي إلى الخانقاه. فإذا كان صَبيحة يَومِ المولد، أَنزلَ الخلع مِن القلعة إلى الخانقاه على أَيدي الصُّوفية، علَى يَد كلِّ شخصٍ مِنهم بقجة، وهم متَتابعون، كلُّ واحدٍ وَراء الآخر، فينزِل مِن ذلك شيءٌ كثير، لا أَتحقَّق عدَده، ثمَّ ينزل إلى الخانقاه وتَجتَمع الأَعيانُ والرُّؤَساءُ وطائفةٌ كبِيرةٌ مِن بَياضِ النَّاس، وينصب كرسيٌّ للوَعظ، وقَد نصب لمظفر الدِّين بُرج خشَبٍ لَه شَبابيك إلى المَوضع الذي فيه النَّاس، وكُرسي وشَبابيك أُخر للبُرج أَيضا إلى الميدان، وهو ميدانٌ كبيرٌ في غاية الاِتِّساع، ويجتَمع فيه الجند، ويعرضم ذلك النَّهار، وهو تارةً ينظُر إلى عَرضِ الجند، وتارةً إلى النَّاس والوعَّاظ، ولا يزالُ كذلِك حتَّى يفرُغ الجندُ مِن عَرضهِم، فعِندَ ذلك يقدم السِّماط في الميدانِ للصَّعاليك، ويكونُ سِماطًا عامًّا، فيه مِن الطَّعامِ والخبز شيءٌ كثير لا يحدُّ ولا يُوصَف، ويمدُّ سماطا ثانيا في الخانقاه لِلنَّاسِ

المجتَمِعين عِندَ الكُرسي، وفي مدَّةِ العرضِ ووَعظ الوعَّاظِ يطلبُ واحِدًا واحِدا مِن الأَعيانِ والرُّؤَساء والوافِدين لأَجلِ هذا الموسمِ ممَّن قدَّمنا ذِكرَه مِن الفُقهاءِ والوُعَّاظِ والقُرَّاءِ والشُّعراء، ويخلَع علَىٰ كلِّ واحِدٍ مِنهُم، ثمَّ يعودُ إِلىٰ مكانِه، فإِذا تكاملَ ذلك كلّه، حضَروا السِّماط وحَملوا مِنه لمن يقَع التَّعيين علَىٰ الحمل إِلىٰ دارِه، ولا يَزالون علَىٰ ذلك إِلىٰ العَصر أَو بعدَها، ثمَّ يَبيتُ تِلك اللَّيلة هناك، ويعمَل السَّماعات إِلىٰ بكرة، هكَذا دأبُه في كلِّ سنَة».

قال: «وقَد لخصتُ صورةَ الحال، فإِنَّ الإِستِقصاءَ يطُول، فإِذا فَرغُوا مِن هذا المَوسمِ تجهَّز كلُّ إِنسانٍ لِلعودَة إِلىٰ بلَدِه، فَيدفَع لكلِّ شَخصٍ شَيئًا مِن النَّفَقة» (1).

وكان ممَّن حضَر هذا الإِحتفالَ مِن كبارِ العلماءِ الحافِظُ أَبو الخطَّاب عُمر بن الحسين البلَنسي الأَندلسي قاضي مَدينة **دانيا** المتوفَّىٰ (633هـ/ 1235م)، فأُعجِبَ بِما رآه وشهِدَه مِن اهتمامِ المِلك المظفر فيما قامَ بِه مِن الأَعمالِ الجليلة كما ذكَرنا، وكان ذلك سببًا في كَتبِه كتابَه: (**التَّنوير في مَولدِ السِّراج المنير**).

قال **ابن خلكان**: «وقرأَه علَيه بنفسِه، وسمِعناه علىٰ المِلك المعظَّم في سِتَّة

(1) وفيات الأَعيان وأنباء أبناء الزَّمان (4/ 117 ـ 119) لأَبي العباس أَحمد بن محمَّد ابن خلكان (ت: 681هـ)، تحقيق: إِحسان عباس، دار صادر (بيروت)، ط/ 1، سنة 1971م.

مَجالِس في جمادىٰ الآخر مِن سنة (625هـ/ أبريل 1228م)»[1].

وكان هذا أوَّل كتابٍ أُلِّف في هذا الموضوع.

وذكر **ابن الجوزي** أنَّ ما كان ينفِقُه هذا الملِك في هذا اليوم السَّعيد ما يَبلُغ (3.000.000) دينارا ذهبيًّا، وكان ينحَر في هذا اليوم مِن الغنَم (5000) شاة، و (10000) دَجاجة.

وكذلك هذا الأَمر كان يجري مثله أَو ما يشبهه بِمَدينة القاهرة أَيَّام تملُّك الدَّولة الفاطميَّة بِمصر طيلةَ ما يزيدُ علىٰ مدَّة قَرنَين كامِلَين، أَي ما بين سنة (359 إِلىٰ 566هـ/ 970 ـ 1170م)، وكان يحضُره الخليفة الفاطِمي وحاشيَّته، ثمَّ جَميع النَّاس، كما أَنه كانت لهم هناك مَواليد خَمسة في تَواريخ مختلِفة، يحتفِلون بِها حَسب تَقاليدهِم المتَّبعة، كإِحياء ميلاد علي بن أَبي طالب، ومَولد فاطمة، ومَولد الحسن، ومَولد الحسين، ومَولد الخليفة الحاضِر، ويجري فيها ما هو مفصَّلٌ في تاريخِهم.

وكان أوَّل مَن احتفلَ بِالمولدِ النَّبويِّ بِمصرَ بعدَ الفاطمِيِّين هو الملِك الكامِلُ الأَيُّوبي (ملِك دَولة المماليك)، وذلِك في أَواسطِ القَرن (08هـ/ 14م)، كَما اشتَهر عَن الملِك **الظَّاهرِ برقوق** أوَّل مَن ملَك مِصرَ مِن الشَّراكِسة، كان يُنفِقُ في هَذا المَوسمِ (10000) دِرهما، وكانَت وَفاتِه سنة (801هـ/ 1398م) هكَذا كان العملُ يَجري في الاِحتفالِ بِمَولدِه في المَشرِق.

(1) وفيات الأَعيان (3/ 440).

وأَمَّا في مَغرِبنا ـ المغرِب العَربي الإِسلامي الكَبير هذا ـ فكان أَوَّل ما ظَهرت هذِه المنقَبة الجميلة الجليلة وَسطعَ نُورُها في الآفاقِ أَن ظَهرَت بِمَدينة **سَبتة** بِالمغرِبِ الأَقصىٰ.

كان أَوَّل مَن وُفِّق لها الفقيهُ الصَّالح أَبو العبَّاس أَحمد بن محمَّد بن الحسين العزفي السَّبتي في مطلَع القَرنِ السَّابع الهجري (13م)، فحازَ بِذلك قَصبَ السَّبقِ في هذه المكرمة الجليلة، فأَحيا ذِكرَها في المغرب، ورفعَ اسمَها فيما بين المواسِم والأَعياد وبنُو العزفي هؤُلاءِ هم مِن أَشهَر أَعيانِ بُيوتاتِ مَدينة **سَبتة** في القرن (7هـ) بِالمغرِب رِياسةً وعِلما ودينا، وسياسةً ومُلكا كبيرا.

وفي هذا الموضوع نَرىٰ علَّامة الجزائر سيِّدي **أَحمد ابن عمَّار الجزائري** [1] كتَبَ في رِحلتِه (**نِحلة اللَّبيب بِأَخبار الرِّحلة إِلى الحبيب**)، وهو مِن أَعيانِ علماءِ أَواسِط القَرنِ الثَّاني عشَر الهِجري/ أَواسِط القَرنِ الثَّامِن عشَر الميلادي، يقولُ فيما قامَ بِه أَبو العبَّاس العزفي نَحو ذِكرىٰ المَولدِ الشَّريف ما يلي: «وهو الذي سنَّ عملَ

---

(1) هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عمر بن عبد الجزائري، الأَديب المحدِّث الفقيه، مفتي الجزائر في عصره، حجَّ في أوائل سنة 1166هـ وجاوَر بمكَّة إلىٰ ما بعد سنة 1172هـ، من آثاره: نحلة اللَّبيب بِأَخبار الرِّحلة إِلىٰ الحبيب، ولواء النَّصر في علماء العصر، وله ولوع بالشِّعر والأَدب، توفي نحو سنة 1205هـ، انظر: معجم أَعلام الجزائر (ص: 97) لعادل نويهض، مؤسَّسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر (بيروت)، ط/ 2، سنة1400هـ/ 1980م.

المولدِ الشَّريفِ بِبلادِ المغرِب، وأَتى في ذلِك بِزُلفى تُدنيه إِلى الله وتقرِّب، واقتفَى النَّاسُ سَننَه، وتقلَّدوا مِننَه، تَعظيما لِلجَنابِ الذي وَجبَ لَه السُّموّ، وثَبتَ له العلُوّ، فالله يُجازِيه خَيرًا بِحُسنِ نيَّته، ويثيبَه علَى تَعظيمِ هذا المَوسمِ الذي شرَّفَ الوُجودَ بِلَيلته» (1).

وأَقبلَ النَّاسُ يَومئذٍ علَى تَقدير واحترامِ يَوم أَو ليلة ذِكرَى مَولدِ النَّبيِّ الكَريم، ذي الخلُقِ العظيم ﷺ، وشَرعُوا في الاِحتِفالِ بِها وتَعظيمها أَفراد وجَماعات، وأَيَّدتها مَراسيم ملُوكيَّة صدَرَت عَن السُّلطانِ أَبي يعقوب يُوسُف بن عبد الحقِّ (ملِك الدَّولة المَرينيَّة بِالمغرب) سنةَ (691هـ/ 1291م)، يؤَكِّد فيها العملَ علَى وُجوبِ التَّزيين وإِظهارِ إِشاراتِ الاِبتهاج والفَرح، وفي هذِه اللَّيلة المُباركة وهَذا اليَوم السَّعيد قرَّر ضَرورةَ التَّشديد علَى المُتهاوِنين بِأَمرِه هذا، والضَّربَ علَى أَيدي المُهمِلين لِشأنِ هذِه الذِّكرَى الجليلة.

وشَرعَ السُّلطانُ بِنفسِه بإِقامةِ حَفلٍ رَسميٍّ بِقُصور السُّلطنَة المَرينيَّة بِمَدينة **فاس**، ودَعا لهذا الحفل الكَبير أَعيانَ وعلماءَ وفُقهاءَ المغرِب، وكان فيمَن حضَر هذا الحفل البَهيج العلَّامة **أَبو يحيى بن أَبي الصَّبر**.

ثمَّ تَتابعَ ملوكُ هذه الدَّولة علَى إِقامة هذِه الذِّكرَى في أَبهَج مظهَر، وأَفخَر

(1) نحلة اللَّبيب بأَخبار الرِّحلة إِلى الحبيب (ص: 100) لأَبي العباس أَحمد بن عمار الجزائري، تصحيح: محمَّد ابن أبي شنب، مطبعة بيار فونتانة (الجزائر)، ط/ 1، سنة 1902م.

منظَرٍ ومخبَر، وكانوا يستَعِدُّون لها بِأَلوانٍ مِن اختراع وإِبداع، ولقَد أَشارَ **المقري** في كتابِه: (**أَزهار الرِّياض**) [1] إِلى ذلِك الدِّينار الضَّخمِ الذي يُصنَع سنَويًّا خصِّيصا لهذه المناسَبة بِأَمرٍ مِن السُّلطانِ أَبي عنان فارس بن أَبي الحسن المريني ليُقدَّم بِيَد السُّلطانِ نفسِه إِلى شَريفِ **سَبتة** يَومئذٍ **أَبي العبَّاس**.

وقَد بلَغت هذه الحفَلات المَولديَّة أَوجَ عِزِّها وقمَّة رَونقها ورَوائها علَى عَهدِ السُّلطان **أَبي الحسَن علي بن عثمان المريني** (المتوفَّى سنة 732هـ/ 1352م)، وفي عُهود أَبنائِه مِن بعدِه أَبي عنان، فأَبي سالِم، فأَبي فارس... إلخ».

ولقَد خصَّص لوَصفِ هذِه المَظاهِر الجميلة العلَّامة الرَّئيس **ابن مرزوق الخطيب** ـ المعروف بِالجدِّ، ولد عام: (711هـ/ 1322م)، وتوفي عام: (781هـ/ 1379م)، عن عُمرٍ يُناهِز السَّبعين سَنة ـ فَصلاً في كتابِه الحافلِ المسمَّى: **المسنَد الصَّحيح الحسَن في مآثرِ مَولانا أَبي الحسَن**خلَّد فيه مآثرِ السُّلطان **أَبي الحسَن**، وذكر ما كان يجري حدوثه في هذه اللَّيلة المباركة (ليلة المولد) مِن أَنواع التأَنُّق في إِظهار البهجة والسُّرور بِمَولدِ بَدر البدُور ﷺ، فقال: «هذه مكرُمةٌ خصَّ الله بِها هذِه المملكة الشَّامخة، والسُّلطنة المرينية»، فقال: «وإن حاكَها غيرهم، فَما أَشبهَ ولا قرب، أَثار الفقيهُ العزفي (رحمه الله) صيدَها فَصادوه، ونبَّه

---

(1) انظر: أَزهار الرِّياض في أَخبار القاضي عياض (1/ 39) لأَبي العباس أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني (ت: 1041هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والتَّرجمة والنَّشر (القاهرة)، سنة 1358هـ/ 1939م.

علىٰ الخير فمضَوا عليه واعتادوه، وزادَ فيها هذا المولَىٰ (رضي الله عنه) مِن المحاسن ما صيَّرها مثلا، وألبسَها مِن سِيرته الجميلة حُلَلا» [1].

وهنا يحسُن بِنا أَن نَنقُل لكُم ما كان يجري داخِلَ القُطر الجزائري في هذه الآونة التي نؤَرِّخها، لا سيما أَيام دَولة بني عبد الواد الزيانية بِتلمسان، عاصِمة الوطَن الجزائري مِن سنة (633هـ/ 1359م).

قال **يحيى ابن خلدون** (أَخُ المؤرِّخ الفيلسوف الشَّهير عبد الرَّحمن ابن خلدون) ـ وقَد كان ممَّن شهِدَ الحفلَ وحضَره هو بِنَفسِه ـ فقال: «وأَطلَّت ليلةَ الميلاد النَّبويِّ الشَّريف (علَىٰ صاحبِها أَفضل الصَّلاةِ وأَزكَىٰ التَّسليم)، فأَقام لها بِمشور دارِه العليَّة مَدعىٰ كَريما وعُرسًا حافلة، احتَشدَت لها الأُمم، وحشِر بِها الأَشرافُ والسُّوقة، فَما شِئتَ مِن نَمارِقَ مصفوفة، وزَرابي مَبثوثة، ومشامع كأَنَّها الأُسطوانات القائِمة علَىٰ مراكز الصّفر المموّهة، والخليفةُ (أَيَّده الله) صَدر مجلِسها، مُمتَطيا سَريرَ مُلكِه، يسرُّ النَّاظرين رواؤُه، ويثلجُ الصُّدورَ عِزُّه، وتَحار في كمالاتِ خِلاله النُّهىٰ، حفافيه ملأ التجلَّة مِن قَومه وأَعيان الطَّبقات مِن أَهلِ حَضرة خِلافتِه علَىٰ مَقاعِدَ عيَّنها الاختِصاص، ورتَّب بعضَها فوقَ بعضٍ المَناصِب، تخالُهم قِطَع الرِّياضِ النَّضِرات، قَد أَغضىٰ الجلال مِن أَبصارِهم،

---

(1) المسند الصَّحيح الحسن في مآثر مولانا أَبي الحسن (ص: 152) لأبي عبد الله محمَّد ين محمَّد ابن مرزوق التِّلمساني (ت: 781هـ)، تحقيق: د. ماريا خيسوس بيفيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر)، ط/ 1، سنة 1981م.

وخفضَت المَهابة مِن أَصواتِهم، فَلا تُبصِر إِلَّا جَمالا، ولا تَسمع إِلَّا هَمسا، يطوفُ علَيهِم وِلدان أُشعِروا أَقبيةَ الخزِّ الملوَّن، وبِأَيديهِم مَباخِر ومرشَّات، يغيم دخان عنبر تلك المفغم للأَنافِ الجو، فتمطر هذا الحفل وابِلا مِن ماءِ الوَردِ المنسوبِ إِلى نَصيبِين وخِزانة المنجانه [1] ذات تَماثيل اللُّجَين المُحكَمة، قائِمة المصنع، تجاهه بِأَعلاها أَيكة تحمِلُ طائِرا، فَرخاه تحتَ جَناحَيه، ويخاتله فيهِما أَرقمٌ [2] خارجٌ مِن كوَّة بِجذر الأَيكة صعدا، وبِصَدرها أَبوابٌ مجوَّفة، عدَد ساعاتِ اللَّيل الزَّمانية، يُصاقِبُ طَرفَيها بابانِ مُوجفان، أَطوَل مِن الأُولى وأَعرَض، فَوق جَميعها ودوَين رأس الخِزانة قَمرٌ أَكمل، يَسيرُ علَى خطٍّ استواء سَير نَظيره في الفلك، ويُسامِت أَوَّل كلِّ ساعة بابها المرتجّ، فينقضُّ مِن البابَينِ الكبيرَينِ عقابان بِفي كلِّ واحدٍ مِنهُما صنجة صفر، يلقيها إِلى طستٍ مِن الصفر مجوَّف، بِوَسطِه ثقبٌ يفضي بِها إِلى داخل الخِزانة، فيرن وينهش الأَرقَمُ أَحدَ الفَرخَين، فيُصفِّر لَه أَبوه، فَهنالِك يفتح باب السَّاعة الرَّاهِنة، وتَبرز مِنه جارِية محتزمة كأَظرَفِ ما أَنت راء، بِيُمناها أَذبارة [3] فيها اِسم ساعتها الحاضِرة منظوما، ويُسراها مَوضوعة علَى فيها،

---

(1) المنجانة: آلة لمعرفة الوقت، مثل السَّاعة في هذا العصر، ظهرت بالأندلس، ومخترِعها هو عباس بن فرناس التَّاكرني، كما في المقتبس من أنباء أَهل الأندلس (ص: 282) لابن حيان القرطبي.

(2) الأَرقم: أَخبث أنواع الحيَّات.

(3) أي: قطعة أو لوحة بِها كتابة.

كالمبايِعة بِالخلافة لأَمير المؤمنين (أَيَّده الله)».

قال: «حِيَلٌ أَحكَمت يدُ الهندَسةِ وَضعها، وراضَ تَدبير الخِلافة (أَعلَىٰ الله مقامَه) شماسها» (1).

وفيما سمِعناه مِن وَصفِ آلة **المنجانة** هذه يُدرك العقلَ أَيَّة قِمَّة شمَّاء بلغَ إِليها العقلُ الإِسلامي والعَربي في الجزائر في حِقَبٍ تاريخيَّة مضَت، بل في حقَبِ التَّاريخ علَىٰ إِطلاقِه.

[ثمَّ قال]: «والمسمع قائمٌ صدرَ عترته، علَىٰ بُعدٍ مِن الخليفة مقدَّر، يُردِّد نغَماتِ الأَلحان، ويُرتِّبُ رنَّات الإِيقاع، ويُنشِد خِلال ذلك أَمداحَ سيِّد الرُّسل، وخاتمِ النَّبيِّين محمَّد بن عبد الله ﷺ».

وهنا أَورَد **يحيى بن خلدون** قَصيدةً مِن نظمِ السُّلطانِ أَبي حمو، وقعَ إِنشادُها في تِلك اللَّيلة، وهي تحتَوي علىٰ أَربَع وأَربعين بَيتًا مِن بَحر المتدارك، وطليعتُها (2):

نامَ الأَحبابُ ولم تَنَم عَيني بِمُصارَعةِ النَّدَم

---

(1) بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد (2/ 100 ـ 104) لأَبي زكرياء يحيىٰ ابن خلدون (ت: 1379م)، تحقيق: بوزياني الدراجي، دار الأمل (الجزائر)، ط/ 1، سنة 2007م.

(2) بغية الرواد (2/ 104).

وأَوردَ بعدَها قَصائِدَ أُخرىٰ لِشُعراء ذلك الحفل، ثمَّ قال: «وعلَىٰ هذا الأُسلوب مرَّت المَواليد النبويَّة بعدَ هذا في مُدَّتِه ـ أَي: أَبو حمو الثَّاني ـ السَّعيدة (طالَت أيَّامه، وانتشَرت في هِضابِ المعالي أَعلامه)» [1].

ولم يكُن ليَختلِف الاحتفال بِعاصمة الجزائر عَن صِفة الاِحتِفال بِتلمسان إِلَّا في كَونه شَعبيًّا لا دخلَ للقُصور فيه، وإِليكُم صورةً عَن ذلك فيما حكاه مفتي عاصِمة الجزائر **أَحمد بن عمَّار** في أَواسِط القَرنِ الثَّاني عشَر الهِجري (1752م) في تأليفه: (**نِحلة اللَّبيب بِأَخبار الرِّحلة إِلى الحبيب**).

قال: «هَذا، وقَد جَرت عادة أَهلِ بلدِنا الجزائر، حَرسَها الله مِن الفِتَن، وحاطَها مِن الدَّوائر، أَنَّه إِذا دخلَ شهر ربيع الأول انبَرىٰ مِن أُدبائها وشُعرائها مَن إِليه الإِشارة وعلَيه المُعوَّل، إِلىٰ نَظمِ القَصائِد المديحيَّات، والمُوشَّحاتِ النَّبويَّات، ويلحِّنونَها علىٰ طَريقِ الموسيقىٰ بِالأَلحانِ المُعجَبة، ويقرؤُونَها بِالأَصواتِ المُطرِبة، ويَصدَعون بِها في المحافِل العَظيمة، والمجامع المَحفوفةِ بِالفُضلاءِ والرُّؤَساء والنَّظيمة، مِن المساجِد والمكاتبِ والمَزارات، وهُم في أَكملِ زينة وأَجملِ زيٍّ وأَحسنِ شارات، تَعظيما لهذا الموسِمِ الذي شرُف بِه الإِسلام، واحتِفالًا بِمَولدِه (عليه الصَّلاةُ والسَّلام)» [2].

---

(1) بغية الرواد (2/ 123).

(2) نحلة اللبيب (ص: 15 ـ 16).

قال: «فلمَّا استهلَّ هذا الشَّهر الشَّريف، مِن هذه السَّنة (1166هـ/ 1752م)، ولاحَ هِلاله المصبي المُنيف، لِعَينٍ لم تكتَحِل بِسَنة، أَنشأتُ هذه القَصيدة الموشَّحة، جعلها الله لمنصب القبول مرشَّحة، طالِتُعها:

يا نَسيما باتَ من زَهرِ الرُّبا يقتَفي الرُّكبانِ
احمِلَنْ منِّي سَلامًا طيِّبًا اِقرأَنْ مِنِّي لأُهَيلِ البانِ
سَلاما عَبِقًا إن بدَت نَجدُ
إنَّ لي قلبا إليها شيِّقًا شفَّه وَجدُ
وفُؤادي يَجتنيها حُرقًا وضَنًى يعدو

..... إلخ» [1].

وله غَير هذا مِن الموشَّحات والقصائِد والأَشعار كثير.

آخِر مَن عَرفناه مِن علماءِ العاصمة سارَ على المنهاج مفتي الجزائر الشَّيخ **علي بن الحفَّاف** [2] المتوفَّى سنة (1307هـ/ 1890م)، ومِن موشَّحاتِه في الموضوع،

---

(1) انظر: نحلة اللَّبيب (ص: 16 ـ 17).

(2) هو علي بن عبد الرحمن بن محمد، المعروف بابنِ الحفَّاف الجزائري، الفقيه المقرئ مفتي المالكية بالجزائر، ولد بمدينة الجزائر وبها نَشأَ وتعلَّم، وحجَّ فأَخذَ عَن علماءِ الحِجاز، اتَّصل بِالأَمير عبد القادر وتولَّى رئاسة ديوان الإنشاء بمليانة، ثمَّ تولَّى منصب الإِفتاء بمدينة البليدة والجزائر بعد نهاية مقاومة الأَمير، توفي سنة 1890م، من آثاره: مِنَّة المتعال في تكميل الاستِدلال، في القراءات السَّبع، والدَّقائق المفصَّلة في تحديد آية البسملة، انظر: =

قَوله في طالع موشَّح:

يا قاصِدَ البَيتِ الحرامْ بِالله إِن جِئتَ المقامْ
سلِّم على بَدرِ التَّمامْ وصِفْ لَهُ فَرطَ السِّقام

وخاتـمتهُم شيخُنـا المنعَّم المبـرور الأُستاذ عبد **الحليم بن سمـاية** [1]

=

الأَعلام (ص: 121) للزركلي.

(1) هو الشَّيخ العلَّامة الأَديب عبد الحليم بن علي بن عبد الرَّحمن بن حسين خوجة ابن سماية الجزائري، تنتمي أُسرته إِلى آل سماية، وهي أسرة تركية عريقة بمدينة الجزائر، يعتبر مِن أوائل المصلِحين الجزائريِّين المعتنِقين لمذهبِ الأُستاذ الإِمام محمَّد عبدُه (ت: 1905م)، ولد بالجزائر العاصمة سنة 1283هـ/ 1866م، وحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ حسين أبي شاشية، وأخذَ اللغة العربية والفقه والتَّوحيد عن والده، والمنطق والبلاغة عن الشيخ الطاهر تيطوس، والحساب والفَرائض عن صهره علي بن حمودة، كان له إلمام باللغة الفرنسية ومعرفة باللغة العبرية، وكثيرا ما كان يجادل أصحابها في دينهم ويناظِر أَحبارَهم ورُهبانَهم ويَسوقُ لهم الأَدِلَّة والنُّصوصَ مِن كتُبِهِم، تولَّى خطَّة التَّدريس بالجزائر العاصمة سنة 1896م، ثمَّ بالجامع الجديد سنة 1900م، واشتهر أُستاذا بارزا بالمدرسة الثَّعالبية حيث تخرَّج على يده جيلٌ مِن المثقَّفين، توفي بمدينة الجزائر سنة 1933م، بعدما أُصيب بمرضٍ عَقلي لشدَّةِ وَيلات الاستعمار واضطهادِه إِياه، مِن آثاره: اهتزاز الأطواد والرُّبى من مسألة تحليل الرِّبا، رسالة طبعت سنة 1911م، ورسالة في التَّوحيد والردِّ على شُبه المبطِلين والملِحدين، ورسالة في التصوُّف بعنوان: الكنز المدفون والسِّر المكنون، وكتاب: فلسفة الإِسلام، وله عدَّة مقالات كتبها في الصحافة العربية، كما أن له عِدَّة

=

المتوفَّىٰ سنة (1351هـ/ 1933م)، وهو الذي تَرىٰ صورتَه جالِسًا إِلىٰ جَنبِ الأُستاذِ الإِمامِ الشَّيخ **محمَّد عَبدُه** يومَ زارَ الجزائر سنة (1903م)، فيما نشَره الأَخُ الكريم الأُستاذ **أَحمد توفيق المدني** في الجزء الثَّاني مِن كتابِه النَّفيس: **حياة لكفاح** (ص: 48) [1]، وهذا مطلعُ موشَّح لَه (رحمه الله) [2]:

يا روح سارٍ تَعطَّر مِن نَشرِ أَهلِ الخِيامِ
بِالله سِر تَتخطَّر واحمِل إِلَيهِم سَلامي

ولقد حضَرنا مِرارا إِنشادَ هذه الموشَّحات بِمَساجِد العاصمة بِمناسَبة ذِكرىٰ يَوم المولد النَّبوي الشَّريف.

= قصائد، انظر ترجمتَه في: تاريخ الجزائر العام (4/ 400 ـ 420) للشَّيخ عبد الرَّحمن الجيلالي، ونهضة الجزائر الحديثة (1/ 106) للشَّيخ محمَّد علي دبوز، ومعجم أعلام الجزائر (ص: 178 ـ 179) للأستاذ عادل نويهض، وجريدة النَّجاح: الأَعداد: 1406، 1407، 1412، ومجلَّة التِّلميذ: العدد: 3 ـ 4، رمضان/ شوال 1351هـ/ جانفي/ فيفري 1933م، ص: 10 ـ 17، ومقال: الشَّيخ عبد الحليم ابن سماية، العالِم الربَّاني الوطني قبل الحركة الوطنية، بقلم الأُستاذ أحمد ڤـريـڤ اَحسن، مجلة العصر: العدد الأول، رمضان 1439هـ/ ماي 2018م.

(1) انظر: حياة كفاح (ص: 81) لأَحمد توفيق المدني، دار البصائر (الجزائر)، ط/ 1، سنة 2009م.

(2) وقد نشرنا هذه المولودية بتمامها عن نسخة مخطوطة بخطِّ ناظمِها الشَّيخ ابن سماية في مجلَّة العصر، الصَّادرة عن مؤسَّسة العصر، التَّابِعة لوزارة الشُّؤون الدِّينية والأَوقاف، العدد التَّجريبي، سنة 2018م.

أَمَّا في تونس بينَما نَرىٰ **محمَّد بن خوجة** يذكُر في (**رزنامتِه**)[1] لسنة (1320هـ/ 1902م)، أَنَّ بدءَ الِاحتفال بِالمولد كان سنة (1257هـ/ 1841م) علَىٰ عَهد المشير **أَحمد باشا**، وإِذا بابنِ أَبي دينار صاحب (**المؤنس**) نجِده يتقدَّم بِه إِلىٰ أَوَّل السَّنة الثَّامنة للهِجرة، أَي: علىٰ عهدِ الحفصيِّين، وهذا نصُّ كلامِه.

قال: «ومن أَعيادهم المشهورة، ومَواسِمهم المذكورة، ومَساعيهم المشكورة، تعظيمهم ليلةَ المَولـــــــدِ الشَّريف، وذلك لأَجـــــــــلِ محبَّتِهم لمن وُلد فيه، وهو سيِّدُ الكائِناتِ ﷺ.

وكان أَوَّل مَن اعتنَىٰ بِتَعظيمه في البلادِ الغَربيَّة وأَظهَر فيه شعائِرَ الوِلادة المحمَّديَّة السُّلطانُ أَبو عنان المريني (شكَر اللهُ سعيَه)، ثمَّ اقتدَىٰ بِه بنو أَبي حَفص في الدِّيارِ التُّونسيَّة، وأَوَّلهم أَمير المؤمنين أَبو فارس عبد العزيز، وكان في أَوَّل المائة الثَّامنة (14م)، واحتفلَ بِتشييد شَعائر هذا اليوم المبارك (جعلَ الله ثَوابَه في صَحائِفِه، وأَظلَّه في ظِلِّ النَّجاةِ يومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظلّ عَرشه)، واقتدَت بِه بنو أَبي حَفصٍ مِن بَعدِه، ولم تَزل عادتهم مُستمِرَّة علَىٰ تَعظيمه (عاملَهم الله بِنيَّاتِهم)، فإِنَّهم يُعظِّمون ليلةَ الثَّاني عشَر مِن شَهر رَبيع الأَوَّل، وينشدون الأَشعار في المكاتب، ويحتفِلون لتِلك اللَّيلة ويزيِّنون المكاتب وربَّما يجعلون ديدبانات وهي

---

(1) انظر: صفحات من تاريخ تونس (ص: 236 ـ 246) لمحمَّد بن الخوجة التونسي، تحقيق: حمادي السَّاحلي والجيلاني بن الحاج يحيىٰ، دار الغرب الإِسلامي (بيروت)، ط/1، سنة1986م، وقارن بينه وبين ما نقلَه الشَّيخ الجيلالي (رحمه الله تعالىٰ) عنه من (رزنامته).

المعبَّر عنها بِالاصطلبات، وتُقرأ فيها التَّخاميس، وتُنشَد الأَبيات الشِّعريَّة التي تضَمَّنت مَدائح خير البريَّة، وتُوقَد القناديل، وتُسرَج الشُّموع، وتكونُ تِلكَ اللَّيلة أَشهَر ليالي سنَتِهِم، ويصنَعون الأَطعِنةَ الفاخرة احتسابًا لله، وربَّما يجعلُها بعضُهم للمُباهاةِ والتَّفاخُر، ولكلِّ امرءٍ ما نَوىٰ، وتكونُ لَيلة عُظمىٰ بِدار نَقيبِ الأَشراف، يحضُرها الأَجِلَّةُ مِن النَّاسِ والقُرَّاءِ والفقهاء، ويقَعُ فيها السَّماع والأَناشيد بِالمدائح النَّبويَّة، ويَهرعُ النَّاسُ إِليها مِن أَطرافِ البلَد، وتكونُ عِندَهم مِن اللَّيالي العُقم.

ولنَقيبِ الأَشرافِ عادة يأخذها مِن السُّلطنة، من زَيتٍ وشَمع وما يَحتاجُ إِليه، وهذه العادة جارية مِن زَمنِ بني أَبي حفص ـ يعني الدَّولة الحفصية (603 ـ 893هـ/ 1206 ـ 1487م) ـ ودامَت هذِه الدَّولة علَيها».

قال: «وأَدركنا قبلَ اليوم بِالزَّاويتَين المشهورتَين (القشاشية، والبكرية) محاسِن جمَّة، بِحَيث تَدوم زِينتهما خَمسةَ عشر يَوما لا تخليان مِن المدائح، وتَهرعُ النَّاسُ للتفرُّج والمَبيت، وأَمَّا غَيرهما مِن الزَّوايا، فبِحَسبِ الإِمكانِ والأَوقات، وهذا الشَّهر المبارك لَه حُرمة عِند أَهلِ الحضرة، لتَعظيمِهِم لهذا اليوم، زادَ الله في حَسناتِهِم» [1].

(1) المؤنس في أَخبار إِفريقية وتونس (ص: 290 ـ 291) لأبي عبد الله محمَّد بن أبي القاسم الرعيني (توفي نحو سنة 1690م)، مطبعة الدَّولة التونسية (تونس)، ط/ 1، سنة 1286هـ.

وهكذا استَمرَّ العملُ علَىٰ هذا النَّمط مُطَّردا في الجزائر منذ زَمنٍ علَىٰ هذا النَّسق إِلىٰ عهدِ إِمارة **الأَمير عبد القادر الحسني** الجزائري (طيَّب الله ثَراه)، فإِنَّه كان كذلك يهتمُّ كثيرا بِذكرىٰ يومِ المولد النَّبوي الشَّريف ويخصِّصه بِالعِناية التَّامَّة، فيَحتفِل بِه احتِفالا عَظيما، حكاه عنه ولدُه **محمَّد** في كتابِه: (**تحفة الزَّائر**)، فَقال: «كان ـ والدي ـ يحتَفِل للمولد النَّبويِّ الشَّريف أَيام إِمارته احتِفالًا عَظيما، فيَخرُج يومَ المولد الشَّريف هو وخاصَّتُه وأُمراء جَيشه إِلىٰ أَرض فَيحاء متَّسعة، ثمَّ تصنَع العسكر فيها شِبه مُحارَبة، بِحيث تقِفُ العسكر المُشاة المنظَّمة كهَيئة قلعَةٍ مُربَّعة الأَركان، ويضَعون ما يحتاجونَ إِليه مِن البارود والذَّخائر وَسطَ تِلك القلعة، ويجعلُون في كلِّ رُكنٍ مِن أَركانها مدفعَين، ثمَّ تأتي فِرقة من الخيالة فتُحيطُ بِتلك القلعة، فتخرجُ إِليها شِرذمة مِن القلعة لتَردَّها عنها، فتَبعد عَن القلعةِ نَحو عَشر دقائِق، وتُطلِق البارودَ علَىٰ الخيول المقابِلة لها، فتهجُم الخيولُ عليها، وتطلق النِّيران حتَّىٰ تقرب مِنها، فتَرجع تلكَ الشِّرذِمة إِلىٰ وَراء، وهي لا تفتَر عَن إِطلاقِ النَّار، حتَّىٰ تَدخل القلعَة وتَقِف في مكانها الذي خَرجَت منه، ثمَّ تُطلق عَساكرُ القلعةِ النِّيرانَ المُتتابِعة علىٰ تِلكَ الخيول، وتُطلِق مدفعًا واحِدًا أَو مدفعَين مِن الرُّكن الذي يليها، فتَرجع الخيالة عنها، ثمَّ تخرُج شِرذمة أُخرىٰ مِن الجِهة الثَّانية إِلىٰ ما يليها مِن الخيالة فتَهجم عليها فِرقة مِن الخيالة المقابِلة لها بِجَميع قوَّتها، حتَّىٰ تَردَّها إِلىٰ مكانها الذي خرجَت منه، بِحيث يخيَّل للنَّاظِر أَنَّها لم تخرُج منه أَصلا، ثمَّ تُطلق النِّيران المتتابِعة علىٰ الخيالة، ويُطلق المدفع عليها مِن الرُّكنِ المقابل لها، حتَّىٰ

تَرجع القَهقري، وعلَىٰ هذا المِنوال يفعل أَصحاب الجِهة الثَّالثة والرَّابعة مِن الأَفعال، ويَستغرق هذا العَمل مِقدار ساعتَينِ مِن النَّهار، فيُشاهد النَّاظر مِن تلك الأَفعال ما تقرُّ له الأَعيُن وتَبتَهج بِه النُّفوس، وتقول في حقِّه الأَلسُن لا عِطرَ بعدَ عَروس، وهكَذا كان العملُ في أَيامِ الأَعيادِ بعدَ الفَراغ مِن الصَّلاة» [1]، مَدنيًّا وعَسكرِيًّا.

أمَّا زَمننا الحاضِر هذا، فَهو كما نحن نُشاهِد جَميعًا، في كلِّ سنة مرَّت يُقتَصر فيه علَىٰ اجتماع جَماعة تَتلو فيه قَصائِد ومُوشَّحاتٍ مَديحيَّة، تَحتَوي علىٰ مآثِره الفعَّالة، ومُعجِزاتِه العظيمة (صلهم) [2]، وعلَىٰ شَيءٍ مِن سيرتِه الطيِّبة، وشَمائِله الكَريمة، وفيها ما قَد يلقىٰ هناك مِن خُطبٍ أَو محاضَراتٍ مفيدة، يُوردُ صاحِبُها فيها ما يجلِّي عَظمةَ وجَلالَ هذا النَّبيّ المُصطفىٰ الكريم ﷺ مِن جَوانب شتَّىٰ، وذلك لنتَّخِذَ مِن سِيرته وأَقوالِه وأَفعالِه مَواعِظا وعِبَرا، ونَعرضَ أَنفُسَنا علَيها لِنَزِنَ بِه أَعمالَنا نحن اليوم أُمَّة محمَّد، القائِل فيما نصَحَنا بِه وأَرشدَنا وهَدانا إِليه،

(1) تحفة الزَّائر في مآثر الأَمير عبد القادر وأَخبار الجزائر (1/ 203 ـ 204) لأبي عبد الله محمَّد باشا بن الأَمير عبد القادر الجزائري، المطبعة التِّجارية (الإِسكندرية)، ط/ 1، سنة 1903م.

(2) كره العلماء استعمال مثل هذا الرَّمز في رسمِ الصَّلاة والسَّلام عليه ﷺ، ومثله حرف الصَّاد (ص)، انظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (3/ 71 ـ 73) لأبي الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن السَّخاوي (ت: 902هـ)، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنَّة (مصر)، ط/ 1، سنة1424هـ/ 2003م.

مِنها قوله (عليه السَّلام) فيما رَواه **أَبو داود** في (**سُنَنه**) و**البهيقي** في (**دلائل النبوة**) عَن **ثَوبان** مرفُوعًا، قال: قال (عليه الصَّلاةُ والسَّلام): «يُوشك أَن تَداعىٰ عليكم الأُمم، كما تَداعىٰ الأَكلةُ إِلىٰ قَصعتِها، فقال قائل: ومِن قِلَّةٍ نحن يومئذٍ !؟ قال ﷺ: بل أَنتم كثير، ولكِنَّكم غُثاء كغُثاء السيل، ولينزعن الله مِن صدور عدوِّكم المهابة منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن، قال قائل: يا رسول الله، وما الوهَن ؟ قال: حبُّ الدنيا وكَراهية الموت»[1]، أَورَده **الثَّعالبي** في تفسير (**الجواهر الحِسان**)[2].

وعلَّق علَيه الأَمير **شَكيب أَرسلان** (رحمه الله) بِقَوله: «إِنَّ مَعناه ظاهِر، وهو أَنَّ المسلمينَ يأتي علَيهِم يومٌ يَصيرون فيه مأكلَة، وتَمتدُّ إِليهِم الأَيدي مِن كلِّ جِهة، فَهذا العَصر الذي نحنُ فيه هو ذلك اليَوم، وأَنَّ المسلمين لا يكونُ عَيبُهم يَومئذٍ مِن قِلَّة [العدَد، بل يكونُ عددُهم كثيرا، وإِنَّما لا تُغنيهِم كثرتُهم شَيئا، لأَنَّ] الكثرةَ بِنفسِها لا تُفيد إِن لم تقتَرِن بِجَودة النَّوع، والكمِّية لا تُغني عَن الكَيفيَّة،

---

(1) رواه أَبو داود (4297)، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأُمم علىٰ الإِسلام، والبيهقي في الدَّلائل (6/ 534)، وإسناده حسن كما في تخريج المسند (37/ 83).

(2) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (2/ 120) لأبي زيد عبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف الثَّعالبي (875هـ)، تحقيق: محمَّد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط/ 1، سنة 1418هـ.

وعِلَّة العِلَلِ في ضعفِ المسلمين ذلك اليوم هو: الجبن والبُخل» [1].

والإِسلامُ دينُ القوَّة، «والمؤمنُ القوِيُّ خَيرٌ وأَحبُّ إِلى الله مِن المؤمنِ الضَّعيف، وفي كلٍّ خَير»، (الحديث) [2].

وأَخلَصَ لنا ﷺ، فَجاءَنا بِأَكملِ نَصيحة، وأَشملِ هِداية، فعَن **عليِّ بن أَبي طالب** قال: قال سَمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّها ستكونُ فِتنة ! قلتُ: ما المَخرجُ منها يا رسولَ الله ؟ فقال: كتابُ الله، فيه نَبأُ ما قَبلكُم، وخَبرُ ما بعدَكُم، وحُكمُ ما بَينكُم، وهو الفَصلُ ليسَ بِالهزل، مَن تَركَه مِن جبَّارٍ قَصَمه الله، ومَن ابتغَى الهُدَى في غَيره أَضلَّه الله، هو حَبلُ الله المتين، وهوَ الذِّكرُ الحكيم، وهوَ الصِّراطُ المستقيم، هو الذي لا تَزيغُ بِه الأَهواء، ولا تلتَبِسُ بِه الأَلسِنة، ولا تَشبَع مِنه العلماء، ولا يَخلَقُ على كَثرة الرَّدِّ، ولا تَنقَضي عَجائبُه، هو الذي لم تَنتهِ الجِنُّ إِذ سَمِعَته حتَّى قالوا: ﴿إِنَّاسَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً ۝١ يَهْدِے إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ (الجن: 1 ـ 2)، مَن قالَ بِه صدَق، ومَن عَمِلَ بِه أُجِر، ومَن حكَمَ بِه عَدل،

---

(1) لماذا تأَخَّر المسلمون؟ ولماذا تقدَّم غيرهم؟ (ص: 84 ـ 86) لأَمير البيان شكيب بن حمود بن حسن أرسلان (ت: 1366هـ/ 1946م)، مراجعة: الشَّيخ حسن تميم، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت)، وما بين المعقوفتين ساقط من الطبعة المعتمدة في التحقيق.

(2) رواه مسلم (2664)، كتاب القدر، باب في الأَمر بِالقُوَّة وتركِ العَجز والاِستِعانة بالله وتفويضِ المقادير لله، مِن حديث أبي هريرة (رضي الله تعالى عنه).

ومَن دَعا إِليه هَدَىٰ إِلىٰ صِراطٍ مُستقيم»، رَواه **التِّرمذي** [1].

فهل اِتَّعظنا !؟ وهل اعتَبرنا !؟ وهل حقَّقنا معنَىٰ الذِّكرىٰ !؟

فأَين الأُسوة للمأمورين بها قُرآنا وسُنَّة !؟

﴿قُلِ اِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: 31)،

﴿لَّقَد كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأَحزاب: 21).

فأَين هذا التأَسِّي !؟ ولا يصلح آخِر هذه الأُمَّة، إِلَّا بِما صلحَ بِه أوَّلها، وبِالله التَّوفيق.

(1) رواه الترمذي (2906)، في أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، وقال: هذا حديثٌ غَريبٌ لا نعرِفُه إِلَّا مِن هذا الوَجه وإِسنادُه مجهول، وفي الحارِث مَقال.

محتويات الكتاب

كلمة تصدير لمعالي السيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف 05
مقدِّمة التَّحقيق..... 09
القسم الأوَّل: القسم الدِّراسي 15
الفصل الأوَّل: في التَّعريف بِالمؤلِّف 17
الفصل الثَّاني: في التَّعريف بآثاره 21
الفصل الثَّالث: في التَّعريف بكتابِه (فتح المجيب) 29
سببُ تأليف الكتاب 29
عنوان الكتاب 32
مضمون الكتاب 33
مصادر الكتاب 35
القسم الثَّاني: قسم تَحقيق النَّصِّ 37
أولا: التَّعريف بالنُّسخ المعتمدَة في تحقيق الكتاب 39
ثانيا: منهج تحقيق الكتاب 46
الإِهداء..... 49
نصُّ الكتاب..... 51
مقدِّمة المؤلِّف 51
الفَصل الأوَّل: في الكلامِ علىٰ السُّنةِ والبِدعة، والدَّليل علَىٰ أَنَّ مِن البِدَع ما يُسمَّىٰ

بِدعة حَسنة 56
الفصل الثَّاني: بَيانُ الأَدِلَّة على جَواز الاِحتفالِ بِالمولد، وأوَّلُ مَن أَحدَثَه..... 75
الفصل الثَّالِث: ذِكرُ المصنَّفاتِ حَولَ الذِّكرى، وكيفَ ينبغي لنا أَن نحتفِلَ بِها، وذِكرُ بعضِ العَوائد، ونَماذج بعضِ البِلادِ الإِسلامية في الاِحتفالِ بِالمولد..... 111
الفصل الرَّابع: لمحةٌ مِن السِّيرة النَّبويَّة عَبر التَّاريخ 145
خاتمة.....189
مراجع الكتاب.....193
القسم الثَّالث: قسم الملاحق..... 195
الملحق الأول: محبَّة الرَّسول في طاعتِه والأُسوة بِه للشَّيخ أَحمد حماني..... 199
الملحق الثَّاني: المولد النَّبويُّ الشَّريف في الجزائر عبر العُصور للشَّيخ عبد الرَّحمن الجيلالي 227